كتاب
الجمهورية

فاروق ملك مصر

(حياة لاهية.. وموت مأساوى)



تأليف / وليم ستادين
ترجمة / أحمد هريدى

كتاب الجمهورية

عـــدد نوفمبر ٢٠٠٧

www.gombook.net.eg

رئيس مجلس الإدارة

محمد أبو الحديد

E-mail:abuelhaded@eltahrir.net

رئيس التحرير

على هاشـــم

E-mail:aly_hashem@gitc.com.eg



فاروق ملك مصر

(حياة لاهية.. وموت مأساوى)

تأليف: وليم ستادين

ترجمة: أحمد هريدى

عدد خاص

دار الجمهورية للصحافة

١١١ ـــ ١١٥ ش رمسيس

ت: ٢٥٧٨٣٣٣٣

إذا وجدت أى مشكلة
فى الحصول على
«كتاب الجمهورية»
وإذا كان لديك أى مقترحات أو
ملاحظات
فلا تتردد فى الاتصال على أرقام :
٢٥٧٨١٠١٠ ٢٥٧٨٣٣٣٣
http://www.eltahrir.net

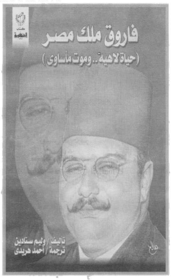
عـــدد نوفمبر ٢٠٠٧

أسعار البيع فى الخارج

سوريا	١٠٠ ل. س
لبنان	٤٠٠ ل. ل
الأردن	١,٥ دينار
الكويت	١ دينار
السعودية	١٠ ريال
البحرين	١ دينار
قطر	١٠ ريال
الإمارات	١٠ درهم
سلطنة عُمان	١ ريال
تونس	٢ دينار
المغرب	٣٠ درهم
اليمن	٣٠٠ ريال
فلسطين	٢ دولار
لندن	٢ جك
أمريكا	٥ دولار
استراليا	٥ دولار استرالى
سويسرا	٥ فرنك سويسرى

الاشتراك السنوى

داخل جمهورية مصر العربية
٦٠ جنيهاً
الدول العربية ٣٠ دولاراً أمريكيا
اتحاد البريد الأفريقى وأوروبا
٣٨ دولارا أمريكيًا
أمريكا وكندا
٤٥ دولارا أمريكيًا
باقى دول العالم
٥٨ دولارا أمريكيًا



تصميم الغلاف الفنان : صــالح البــرص
بعض الصور إهداء من الشاعر :
أحمــد الشــهاوى

سكرتير التحرير
ســـيد عبد الحفيـظ

تقـــــــديم

أثار سقوط فاروق ملك مصر، الذى لم تكن الصحافة العالمية رحيمة به. فضول الكاتب الأمريكى «وليم ستادين» لمعرفة آثار ذلك السقوط على فاروق وعلى العالم العربى، الذى كان فى وقت من الأوقات ينظر إلى الملك فاروق باعتباره القائد الذى تعلق عليه الآمال، وعلى ضوء ما مر بمصر منذ آلاف السنين من فراعنة وسلاطين وخديوية وملوك، يتساءل «وليم ستادين» مؤلف كتاب «فاروق ملك مصر: حياة لاهية وموت مأساوى»: كيف خسر الملك فاروق كل ما كان له؟ وكيف غيرت خسارته تلك كثيرا من ظروف الشرق الأوسط..؟

كتابة سيرة حياة الملك فاروق مثلت لـ«وليم ستادين» تحديا كبيرا، ففاروق لم يترك وراءه دفتر يوميات، سواء وهو فى الحكم أو فى المنفى، وكان نادرا ما يكتب خطابا، إذ لم يكن قد كتب أى خطاب فى حياته على الاطلاق، وصديقه الوحيد لم يكن غير كهربائى القصر قليل الثقافة والمعرفة، وحتى أتباعه الآخرون القريبون منه لم يكونوا غير حراسه الألبان، وخدمه النوبيين، وأفراد مطبخ القصر، وجميع هؤلاء رحلوا ولم يترك أحد منهم أية مذكرات.

فى الوقت الذى كانت صحف التابلويد الأجنبية تتناول الملك فاروق وتصوره باعتباره نموذجا لحياة البذخ والثراء والاسراف كانت الصحافة المصرية تتعرض لقيود شديدة، خاصة فيما يتعلق بالملك وكان من المتعذر أيضا الحصول على أية معلومات تتصل بفاروق من الإدارات الحكومية المختلفة لذلك لم يكن متاحا أمام «وليم ستادين» الكاتب الأمريكى غير بعض التقارير الدبلوماسية البريطانية والأمريكية التى تعرضت لاحداث متفرقة من حياة الملك فاروق حتى أن المحاولات التى بذلها من أجل الاطلاع على

أرشيف واشنطن اعتمادا على قانون حرية المعلومات، لم تسفر إلا عن حرية مشكوك فيها ومعلومات ضئيلة.

لم يكن أمام «وليم ستادين» غير المصادر الشفاهية للمعلومات وكان البحث عن الاشخاص الذين عرفوا فاروق جيدا يتطلب جهدا ومشقة كبيرين لأن فاروق كان واحدا من الاسماء المتداولة والمألوفة إلى الدرجة التى لا أحد يعلم عنها شيئا، كما لم يكن فى مصر أدنى اهتمام بالحديث عن فاروق الذى أصبح مجرد حاشية فى كتاب، فلا أحد يريد تذكر ماضى الملكية أو تذكر فاروق، وكانت الاجابات حول الأسئلة التى تتصل بحياة فاروق تتسم بالازدراء والاشمئزاز والجهل المتغطرس، وهى إجابات أدلى بها أشخاص لم يكونوا على صلة من قريب أو بعيد بفاروق.

إن محاولات البحث والتحرى عن الذين عرفوا فاروق وجها لوجه، تلك المحاولات التى تشبه إلى حد كبير طريقة شرلوك هولمز، قادت المؤلف إلى سفر متصل لا يهدأ وإلى معلومات تستحق الجهد الذى بذل من أجل الحصول عليها، فقد روى له الارستقراطيون المصريون الذى ينتمون إلى النظام الملكى القديم والمنتشرون فى أنحاء العالم قصصا كثيرة الفائدة، تماما مثل القصص التى روتها له خليلات وعشيقات فاروق اللاتى أصبحن أميرات ونجمات أوبرا وروائيات، كما تجمعت لدى المؤلف حكايات عن فاروق على ألسنة رجال أثرياء أصبحوا فقراء ورجال فقراء أصبحوا أثرياء، كل تلك الحكايات تحدثت عن فاروق آخر يختلف كثيرا عن فاروق صحف التابلويد.

إذا كانت هناك ملامح صورة ذهنية مشوهة قد انطبعت فى أذهان الكثيرين عن فاروق ملك مصر فان ملامح صورة أقرب إلى الحقيقة لفاروق الإنسان الملك تشكلت أخيرا أمام المؤلف «وليم ستادين» وضمنها كتابه «فاروق ملك مصر: حياة لاهية وموت مأساوى» الذى يقدمه «كتاب الجمهورية» للقارىء المصرى والعربى.

أحمد هريدى

مقـــــدمة

الملك فاروق

المسلسل التليفزيوني.. والكتاب المترجم

لماذا أصبح «فاروق» آخر ملوك مصر، مثار اهتمام المصريين بعد إذاعة المسلسل التليفزيوني المسمى باسمه على قناة الـMBC الفضائية السعودية، التي قامت بانتاجه من تأليف الدكتورة لميس جابر، واخراج السوري حاتم علي..؟ هل لأن المسلسل التليفزيوني «الملك فاروق» قدم لأول مرة صورة مختلفة وأكثر إنسانية للملك الذي ظلمه التاريخ وظلمته الدراما..؟ هل لأن المسلسل التليفزيوني أظهر الجانب الآخر المضيء للملك فاروق وسلط الضوء على مساحات لم تفارقها العتمة لعقود وصحح وقائع نالها التشويه، وأعاد الاعتبار للملك وللملكية..؟

هذا الاهتمام المفاجيء والاستثنائي بالملك فاروق بعد إذاعة المسلسل التليفزيوني مباشرة، حتى أن صحفا مصرية أصدرت أعدادا وملفات خاصة عن فاروق والملكية في التاريخ والدراما.. ما مبرراته..؟ هل لأن صور الفساد الآن بعد أكثر من نصف قرن من انتهاء الملكية أكثر شراسة ووحشية من صور الفساد التي سادت فترة حكم الملك فاروق..؟ هل لأن انظمة الحكم الجمهورية التي جاءت بعد الملكية فشلت فشلا ذريعا في تصحيح وتفادي الأخطاء التي صاحبت عصور الملكية..؟ هل لأن الاقطاع في العصر الملكي الذي كان القضاء عليه على رأس مبادىء ثورة يوليو ١٩٥٢ أصبح الآن لا غبار عليه بعد أن سمح للمستثمرين المتوحشين بامتلاك اقطاعيات من الأراضي الشاسعة، تتواضع أمامها ما كان في حوزة كبار الاقطاعيين قبل الثورة..؟

حالة من الارتباك والحيرة شملت شرائح عديدة من المصريين عامة والشباب منهم خاصة الذين تلقوا لسنوات طويلة عبر الكتابات التاريخية والدرامية، صورة ذهنية ثابتة عن فساد الملك والملكية وهى حالة الارتباك والحيرة التى جعلتهم يطرحون السؤال نفسه الذى سبق أن أجاب عنه الكاتب محمد حسنين هيكل فى كتابه «سقوط نظام»: لماذا كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ لازمة..؟

هل يهدف المسلسل التليفزيونى «الملك فاروق» على حد قول أستاذ التاريخ الدكتور قاسم عبده قاسم إلى هدم شرعية ثورة يوليو، وإلى تجميل وجه الملك فاروق..؟

وهل يسعى المسلسل، فى رأى أستاذ التاريخ عاصم الدسوقى إلى إرضاء خصوم يوليو، وإلى تجميل وجه حكومات ما قبل الثورة..؟

إن هذه الموجة من الحنين إلى العصر الملكى التى روج لها المسلسل التليفزيونى «الملك فاروق» - يقول الكاتب سعد هجرس ليس لها ما يبررها، فكل الملابسات التى سبقت قيام ثورة يوليو تبين أن سقوط الملكية كان أمرا مفروغا منه، بصرف النظر عن تاييد هذه الثورة أو معارضتها، ورغم ما لها وما عليها، وأن الملكية كانت أشبه بالثمرة المعطوبة التى تنتظر السقوط من أول نفخة ريح. وفى السياق نفسه يعجب الكاتب صلاح منتصر من أن كاتبة السيناريو والحوار للمسلسل الدكتورة لميس جابر والمخرج حاتم على قد تمكنا من إضاءة آلاف الشموع والأنوار للكشف عن أجمل وأحلى ما فى فاروق الإنسان دون الجانب الفاسد فى حياته ولإيصال فكرة انه عاش ملاكا وعزلوه مظلوما ومات شهيدا..!

فى الكتابين المؤلفين للدكتورة لطيفة محمد سالم أستاذ التاريخ «الملك فاروق وسقوط الملكية فى مصر» و«ملك مصر بزوغ واعد وأفول حزين»، كان الملك فاروق ملكين لا ملكا واحدا وعاش حياتين لاحياة واحدة وانتهج منهجين فى فترة حكمه لا منهجا واحدا .

● تقول الدكتورة لطيفة محمد سالم: «تنقسم معظم الكتابات التى ظهرت حتى الآن عن الملك فاروق إلى حزبين.. حزب يراه ملكا فاسدا خائنا، اتبع هواه ، وأدى بالبلاد إلى الخراب، وحزب آخر رأى فيه ملكا صغيرا غرر به وافترى عليه وله جوانب مضيئة تم حجبها.

ما ورد فى كتابى الدكتورة لطيفة محمد سالم يتفق معه أستاذ التاريخ الدكتور رءوف عباس الذى يقول: «إن الملك فاروق شخصية تستحق الجدل والخلاف الدائر من حولها، خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار عوامل التنشئة

الأولى، فضلا عن انه قد جلس على عرش مصر وكان عمره ستة عشر عاما وحظه من التعليم محدود وما حصله من علم لم يكن كافيا على نحو يؤهله لكى يكون ملكا، وكان لرجال القصر فى هذه الفترة دور كبير بل كانوا هم صناع القرار، مثل حسن حسنى باشا سكرتير الملك الخاص الذى كان ينحدر من أسرة مرتبطة بالعرش ذات أصول تركية، كما كان حاصلا على دكتوراة فى التاريخ الحديث من فرنسا، وكان هذا الرجل وراء فكرة «الملك الصالح» ليحببه إلى الناس باعتبار شعب مصر متدينا بطبيعته، وبناء على هذا كان الملك حريصا على أداء صلاة الجمعة فى رمضان وكان يقيم الحفلات الدينية فى سرادقات ويدعو إليها سائر طوائف الشعب».

هذه الصفحة فى رأى الدكتور رءوف عباس قد انطوت مع بزوغ سلطات رجال القصر من أمثال حسن يوسف باشا ثم حافظ عفيفى إلى أن حدثت نقطة التحول الجوهرية وأصيب فاروق بالاحباط لأن الانجليز فرضوا عليه وزارة النحاس بالقوة فاعتراه ما يشبه الانكسار، عندما أحس انه اصبح العوبة. فى ذلك الوقت اقترب منه أكثر كريم ثابت والياس اندراوس ولم يكن لكليهما فى البداية مناصب رسمية لكنه حرص على تصعيد نفوذهما داخل القصر. وهذه المرحلة الثانية من حياة فاروق فى تصور الدكتور رءوف عباس كان المسئول عنها كريم ثابت وشويكار الزوجة الأولى للملك فؤاد التى أفسدته من حيث علاقاته النسائية وهى المرحلة التى كان فيها فاروق ضحية لعبة التوازنات البريطانية فضلا على الضغوط العديدة التى تعرض لها.

مشكلة العمل الفنى أو الأدبى الذى يتناول حياة الملك فاروق، فى رأى المؤرخ الدكتور يونان لبيب رزق هى التأثر بالمرحلة النهائية فى حياته الملكية التى تكونت وفقا لها الصورة التى ارتسمت فى اذهان الناس، ووصفوه خلالها بأنه فاسد وزير نساء ومدمن للقمار.. وفى رأيه أيضا أن حياة الملك فاروق فى الفترة من عام ١٩٤٦ وحتى ١٩٥٢ شكلت الصورة النهائية التى ارتسمت فى أذهان الناس وان الاختلاف كان واضحا بين مرحلتى حياته لدرجة يبدو فيها وكأن هناك فاروقين.

هل صحيح أن كاتبة السيناريو والحوار للمسلسل التليفزيونى انطلقت من كتابتها للمسلسل من أن الملك فاروق تعرض للظلم فانصفت فاروق وظلمت التاريخ..؟ يقول الدكتور عاصم الدسوقى: المسلسل ملىء بالاخطاء القاتلة

منها مثلا حادث ٤ فبراير الذى دخل فيه السفير البريطانى على الملك ووضع أمامه الاستقالة، حيث أغفلت الكاتبة أن السفير خير فاروق بين وزارة النحاس أو التنازل عن العرش أو نشر صوره الفاضحة التى اصطحبها معه إلى الديوان الملكى، كما اغفلت الكاتبة أيضا ذكر أن الملك فاروق أقال شيخ الأزهر عبدالمجيد سليم؛ لأنه قال: «تقتير هنا وإسراف هناك» وكان يقصد ما يقوم به الملك بانفاقه وببذخه فى مارسيليا والشانزليزيه.

المشكلة فى رأى الكاتب أسامة أنور عكاشة بدأت عندما انطلقت أقلام عديدة لتقدم للجمهور الملكية باعتبارها العصر الذهبى، وثوار يوليو باعتبارهم مجرمين، والملك باعتباره طيب القلب وطنيا يحب مصر ويتساءل: إذا كان الوضع بهذا الشكل فلماذا ثار المصريون..؟

وفى معرض تأكيد الكاتب صلاح عيسى أن المسلسل هو الوجه الآخر لحملة التاريخ الدعائى لسيرة الملك فاروق، والتى جعلت منه على مدار نصف قرن شيطانا، وهى الحملة التى قادها بعض الصحفيين للتقرب من ثورة يوليو، فإن المسلسل فى رأيه اظهر الايجابيات وأخفى العيوب والدليل على ذلك ان الوجه السيىء للملك فاروق لم يظهر إلا بعد حادثة ٤ فبراير عندما اعتبر فاروق نفسه هو الدستور.

يتفق الكاتب سعد هجرس مع رأى الكاتب صلاح عيسى الرامى إلى أن مسلسل الملك فاروق لم يكن متوازنا فى تناوله لشخصية الملك فاروق، ويضيف ان المسلسل التليفزيونى بقصد أو بدون بقصد، جعل هذه الحقبة كما لو كانت الفردوس المفقود، يقول الكاتب سعد هجرس: كيف لا وهذا ملك شاب وسيم وبسيط يقود سيارته بنفسه، ويجلس على المقاهى والنوادى العامة، ثم انه ديمقراطى لدرجة أن وزيرا بالحكومة يستطيع أن يرفض طلباته التى هى طلبات بسيطة جدا، مثل تعيين أو نقل رئيس مصلحة الجوازات أو حتى إعطائه سلفة مالية، ثم أن نماذج الفساد التى رصدها المسلسل فى هذه الحقبة تبدو مقارنة بأحوالنا الحالية بالغة التفاهة، فكل ما احتواه الكتاب الأسود من فضائح لم تتجاوز شراء فراء للسيدة زينب الوكيل حرم مصطفى النحاس باشا وترقية أحد أقارب زعيم الأمة من الدرجة السابعة إلى الدرجة السادسة حتى نقاط الضعف التى رصدها قلم الدكتورة لميس جابر وعين المخرج حاتم على كانت هفوات إنسانية جدا يمكن التسامح معها والتماس العذر للملك الشاب فى التورط فيها.

هذا من حق المؤلفة والمخرج فهذه فى النهاية رؤيتهما لهذا العرض لكن - يؤكد الكاتب سعد هجرس - من حقنا أيضا أن نلفت نظر المشاهد إلى أن العصر الملكى حتى بفرض صحة كل هذه الوقائع لم يكن الفردوس المفقود وان نظام الملك فاروق تحديدا كان مقترنا بظلم اجتماعى فادح وكل هذه الابهة التى رأيناها على الشاشة كانت مقصورة على مجتمع النصف فى المائة أى أهل القمة فقط بينما الأغلبية الساحقة من الشعب المصرى كانت ترزح تحت نير الفقر والجهل والحفاء والسخرة ولم تكن هناك فرصة لأمثالنا من العوام وأبناء الفلاحين فى الالتحاق بقطار التعليم أصلا، كذلك الصورة الليبرالية المخملية التى يروج لها المسلسل تتناقض مع حقائق أساسية أهمها أن حزب الوفد الذى هو حزب الأغلبية وصاحب الشعبية الكاسحة لم ينعم بالحكم سوى ست سنوات تقريبا وفيما عدا هذه الفترة القصيرة كان الحكم لأحزاب الاقلية وأهواء السراى والسفارة الإنجليزية وكان تزوير الانتخابات هو الاصل ومؤامرات البلاط هى القاعدة.

فى كتاب «فاروق ملكا» للكاتب أحمد بهاءالدين: لم يترك فاروق برلمانا واحدا يتم مدته الدستورية وأمضى سنوات حكمه يعتدى على الدستور ويتلاعب به وينتهك حدوده، دون أن يضطر إلى إيقافه صراحة، حتى اختفت مسئولية الوزارات وأصبح الملك يملك ويحكم فى كل كبيرة وصغيرة، واستطاع ان يحقق أغراضه من الاستبداد بالناس ونهب الثروات وحماية المجرمين من خلصائه، وكان السخط الشعبى على هذه التصرفات يتزايد مع ارتفاع الشعور الوطنى، وفى منطقة أخرى من الكتاب يقول أحمد بهاءالدين: لابد ان فاروق كان معجبا بجده إسماعيل لانه اغتال وزير ماليته إسماعيل المفتش، ونجح فى اخفاء جريمته، وانه كان يعجب بجده الأكبر محمد على لانه دبر للمماليك مذبحة القلعة وروى عن الملك فاروق انه قال فى إحدى جلساته انه لايحسد أكثر من حاكم جزيرة «كميران» الذى دعا وزراءه إلى وليمة على ظهر باخرة ثم ربط كلا منهم فى حجارة ثقيلة وألقاهم فى قاع البحر واستراح من الوزراء إلى الأبد.

ويلقى المستشار طارق البشرى ظلالا كثيفة من الشك حول ما جاء فى المسلسل من تصوير السرايا باعتبارها قوة وطنية قائلا بعدم صحة ذلك، حيث لم تكن السرايا كذلك سواء أيام فؤاد أو فاروق، ففى عهد فؤاد كان الاحتلال الانجليزى هو الذى اختاره سلطانا لمصر فى عام ١٩١٧ ودعم

سلطته ولم تحدث صراعات حقيقية بينهما كما أن الاحتلال الانجليزى هو الذى اختار فاروق بشكل أو بآخر ولم تكن السرايا فى عهده قوة سياسية فى المجتمع تعالج القضايا الأساسية كالاحتلال والاستبداد، بل على العكس وطدت علاقتها بالاحتلال وكرست الاستبداد، وإذا نظرنا إلى علاقة الملك فاروق بالانجليز نجد أنه بعد محاولة الوفد تقليص دور الملك بعد معاهدة ١٩٣٦ ترك الانجليز الوفد للملك يفعل فيه ما يشاء فما كان منه إلا أن أقاله وزور الانتخابات لصالح الأحرار والسعديين وعندما دخل الألمان مصر، ظن فاروق أن الألمان سيكسبون الحرب، فأراد أن يكون رجل المحتل المنتصر بدلا من رجل المحتل المهزوم، وما أن أدرك فاروق خطأ ظنه حتى عاد للتحالف بينه وبين الانجليز مرة أخرى لدرجة أن الانجليز سحبوا سفيرهم اللورد «كلرن» الذى أحرج الملك.. ووضعوا سفيرا جديدا ليبدأ علاقه جديدة مع فاروق.

***

ولما كان الاهتمام المفاجىء والاستثنائى الذى أثاره المسلسل التليفزيونى «الملك فاروق» الذى بثته قناة الـ MBC الفضائية السعودية قد تجاوز الرأى العام المصرى إلى العربى فإن «كتاب الجمهورية» يسعده أن يقدم لقارئه وجهة نظر غير مصرية وغير عربية فى الملك فاروق من خلال اصدارها كتاب «فاروق ملك مصر: حياة لاهية وموت مأساوى» للكاتب الأمريكى «وليم ستادين» ترجمه إلى العربية الكاتب والمترجم «أحمد هريدى».

وفى إطار حرص «كتاب الجمهورية» على اطلاع قارئه على مختلف الآراء ووجهات النظر التى تناولت الملك فاروق والملكية فى مصر، فى أعقاب الانتهاء من بث المسلسل التليفزيونى «الملك فاروق» فقد خصص صفحات فى نهاية «الكتاب» لنشر مختارات لما نشر فى صحف مصرية وعربية وعلى مواقع الانترنت من كتابات ألقت مزيدا من الضوء على شخصية الملك فاروق آخر ملوك مصر، هذه الشخصية المثيرة للجدل.



- مصر فى أوائل الخمسينيات بين وصاية الإنجليز وغضب الشعب وتوتر الملك
- فاروق يذعن لتهديد المدافع البريطانية ويعين النحاس رئيساً للحكومة المصرية
- ناريمان تقضى عاما فى روما لتعلم اللغات قبل زواجها من الملك

هياج وغضب فى صيف القاهرة الحار والخانق، فى ذلك الصيف من عام ١٩٥٢ حيث مكث الإنجليز داخل ثكناتهم ولم يبرحوها، فقد تحولت عاصمة النيل المتلألئة التى كانت الصورة الشرق أوسطية لروما وباريس ولندن إلى فوضى، بسبب مشعلى الحرائق والقلاقل والاضطرابات المعادين للوجود الإنجليزى.

فى يوم السبت الأسود ٢٦ يناير، كان الملك فاروق فى قصر عابدين يتقدم ستمائة من أصحاب المقام الرفيع إلى مائدة عامرة بأطيب وأفخر أنواع الطعام والشراب، احتفالا بمولد ابنه ووريث عرش مصر، الأمير فؤاد.

قصر عابدين، المكون من خمسمائة وخمسين حجرة مؤثثة بالأثاث الفاخر، ومزينة بالحلى والجواهر والأعمال الفنية يقع مكانه وسط حى مزدحم بالمصريين الفقراء، وكأنه قصر باكنجهام، لكن فى الجانب الفقير من لندن، وليس فى حى سان جيمس الراقى.

ومن تلك البيوت الصغيرة الفقيرة المزدحمة التى تحيط بقصر عابدين، خرج الآلاف من الطلبة الراديكاليين والقوميين والشيوعيين والأصوليين الدينيين، وكلهم تصميم على استئصال الإمبريالية من البلاد، وبصفة خاصة الإمبريالية البريطانية.

فى نهاية السبت الأسود كانت الحرائق قد أتت على معظم المؤسسات الأجنبية التى أعطت للقاهرة سحرها وصورتها الدولية، والتى جعلتها أشبه بمدينة سيبارس الاغريقية القديمة فى الثراء والترف.

دمرت الحرائق فندق شبرد الفاخر بما يضمه من رياش فاخر وزخارف عربية وإسلامية، والبار العتيق الذى جلس إليه ستانلى ليفنجستون، والجنرال جوردون، ولورانس العرب، وفيربانكس، وبيكفورد.. كما اشتعلت النيران فى محلات جروبى وشيكوريل.

القاهرة التى تفتحت وازدهرت على مدى القرن، مثل حديقة أوروبية للبهجة والسرور ، أصبحت فى يوليو ١٩٥٢ بلا حياة وبلا بهجة مثل مقابر المماليك تنذر بالشر فى مدينة الموتى.. وكان أن جمع الملك فاروق مائتين من أفراد حاشيته من مصففى الشعر، والخدم الخصوصيين، والأطباء والترزية والسائقين، والمسئولات عن ترتيب الحجرات، وسافر الوفد الحكومى الرسمى - فى هجرة صيفية - إلى مدينة الإسكندرية التى تنخفض درجة حرارتها بعض الشىء عن حر القاهرة.

فمنذ وقت الخديو إسماعيل، جد الملك فاروق الذى بنى قناة السويس، وجعل مصر قطعة من أوروبا، تعد الإسكندرية العاصمة الصيفية لمصر طوال أشهر الصيف من يوليو وحتى أكتوبر وهى الأشهر التى فيها كانت الحكومة تدير شئونها من قصرين فاخرين على البحر المتوسط، أحد هذين القصرين هو قصر رأس التين الرسمى الذى بنى على الطراز الإيطالى ويطل على موقع منارة فاروس، والمكتبة الشهيرة التى جعلت الإسكندرية أعظم مركز تعليمى فى العالم القديم.

القطن، والمال، والنفوذ، كانت لهم كل الأهمية فى مدينة الإسكندرية الشبيهة بمدينة «كان» قلادة خضراء بلون قوس قزح من الفيلات والفنادق ذات الطابع الفيكتورى، تصطف على الكورنيش الممتد بطول ١٢ ميلا على البحر بألوانه التى تتراوح بين الفضى والأزرق والأخضر.

وفى الإسكندرية لا أحد لديه المال والنفوذ، مثل ما لدى الملك فاروق الشاب، السادر فى حياة الرفاهية ورغد العيش فى قصر المنتزه قصر الاحتفالات على الكورنيش عند الطرف البعيد عن قصر رأس التين.

فى ذلك الوقت بالتحديد من شهر يوليو ١٩٥٢ كانت البلاد فى وضع ينذر بالانفجار، وعلى الملك فاروق أن يقوم بنزع الفتيل، وأن يمسك بزمام الأمور، لكن الملك كانت لديه زوجة جديدة عمرها ١٧ عاما وابن جديد، وكان يشعر أنه يقوم بعمله على ما يرام، فهذه صورته على غلاف مجلة «تايم» قبل شهور ومن خلفه الأهرامات وأبوالهول، والعنوان الكبير يثنى عليه باعتباره الأمل المشرق فى الشرق الأوسط، و«القاطرة» الجوال، المحب للاستمتاع، ذا الحيوية البالغة التى تجعله لا يستقر فى مكان.

كتبت الصحف العالمية كثيرا فى وصف حفل عرسه الأوروبى الذى استغرق ثلاثة شهور، ووصف بأنه أكثر حفلات العرس فى التاريخ بذخاً وثراء، ذلك الحفل الذى جمع فيه فاروق حاشيته المكونة من خدمه المطيعين ونجمات السينما وبنات الهوى والأصدقاء من أصحاب اليخوت وسيارات رولزرويس، وراحوا يرتادون أعظم الفنادق والمطاعم والكازينوهات فى القارة الأوروبية.. وكان أن كرر فاروق فى شهور عسله الأربعة ما حدث فى حفل العرس من جولات شاركته فيها عروسه الجديدة.

كان العالم يدخل عصر ايزنهاور، عصر الازدهار والاستهلاك، كان فاروق بحجمه الضخم، الغارق فى متع الحياة، هو عنوان ذلك العصر، لقد كان الملك فاروق قبل أعوام طويلاً ورشيقا وأنيقا وشديد الجاذبية إلى حد أنه كانت تحكى عنه الحكايات فى أوروبا باعتباره الملك الصبى الجميل فى أرض الفراعنة، فهو وإن تحول إلى ما هو عليه الآن، فلا شىء يقلل من كونه ملكا، فكل بوصة فيه تدل على أنه ملك، ودائما يفعل الملوك ما يحلو لهم، وأيضاً كان التفسخ والاستغراق فى الملذات والشهوات امتيازاً ملكياً.

بالرغم من حريق يناير ومن مشعلى النيران فى القاهرة، فإن فاروق كان يشعر أن مقدرات مصر يمسك بها فى قبضته أكثر من أى وقت آخر.. ربما كان شعوره هذا لأن أحداث «السبت الأسود» لم تكن موجهة إلى الملك، وإنما كانت موجهة ضد البريطانيين!.. ربما لأن الملك كان يرغب فى خروج البريطانيين من مصر تماماً مثل رغبة أى فلاح مصرى وطنى شاب ممن اشتركوا فى أحداث حريق القاهرة؟

منذ عام ١٨٨٢ الذى استهل فيه البريطانيون احتلالهم المؤقت لمصر لكى يحافظوا على استقرارها بعد أن أوصلها الخديو إسماعيل جد فاروق إلى الإفلاس، وهم لا يكفون عن تقديم الوعود بمغادرة البلاد، لكن البريطانيين كانوا حريصين على التواجد لحراسة قناة السويس لأنها تصلهم بامبراطوريتهم فى الهند، وتمدهم بالقطن شديد الأهمية لمصانع النسيج فى لانكشاير، وكانوا غيورين على قناة السويس أكثر من غيرة الخديو إسماعيل من نوبى معقم يحرس الحريم الملكى.

حول الإنجليز مصر إلى «دولة وصاية» وهو التعبير الامبريالى المهذب

لكلمة «مستعمرة»، وقاموا ببناء أندية لرجالهم القادمين من مكاتب الحكومة البريطانية فى حى «بال مال» بلندن ولعبوا البولو والكريكيت فى نادى الجزيرة الرياضى المحظور دخوله على المصريين وحتى على أفراد الطبقات الاجتماعية العليا فى مصر.. والكلمات الوحيدة التى كانوا يعرفونها من اللغة العربية هى «ولد» و«كرة».

كان فاروق يكره الإنجليز لغرورهم وصلفهم وعجرفتهم، وكان شديد الكراهية لسفير بريطانيا فى القاهرة لوقت طويل «سير مايلز لامبسون» الذى سمى فيما بعد «لورد كيلرن» لأنه كان يعامل فاروق معاملة فيها التقليل من شأنه، وكان يطلق عليه لقب «الصبى».. وكانت أكبر حادثة مهينة تعرض لها فاروق فى حياته كانت على يد سير مايلز لامبسون أيضا، وذلك عندما رفض فاروق تعيين مصطفى النحاس رئيساً لوزراء مصر طبقا لاختيار «لامبسون» أثناء الحرب العالمية الثانية، فما كان من السفير البريطانى لامبسون إلا أن طوق قصر عابدين بدبابات بريطانية وأجبر «الصبى» تحت تهديد المدافع على الاذعان للرغبة البريطانية.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبداية غروب شمس الامبراطورية البريطانية، بدأت القوات الإنجليزية انسحابها من المدن وتركزت فى منطقة القناة، وقد أمل الكثيرون فى أن يوم السبت الأسود ربما يجعل القوات البريطانية فى مصر تعيش فى خوف يؤدى بها حتما إلى اختفائها من مصر نهائيا، كان فاروق ذكيا فى تعامله مع البريطانيين بعد يناير ١٩٥٢، فبالرغم من أنه قد استحسن فى سره النتائج التى أسفرت عنها أحداث السبت الأسود، إلا أنه فى العلن عبر للبريطانيين عن مواساته لهم فى أنديتهم ومؤسساتهم التى أتى عليها الحريق.

فى سره أيضا كان فاروق يقول: دع البريطانيين يلومون الشيوعيين والأصوليين المتشددين لكن لا تدعهم يلومون القصر فيما وقع لهم من أضرار.. وإذا كان البريطانيون لا يزالون فى حاجة إلى مصر وقطنها وقناتها، فهم أيضا فى حاجة إلى صديق، ليكن ذلك الصديق أنا.. وضحك فاروق فى سره.

وما كان يفكر فيه فاروق قد حدث.. فهذا جورج السادس يقلده لواء

شرفية فى الجيش البريطانى، وهو تشريف لم يحصل عليه فاروق من أية دولة أخرى.. واستقر فى يقين فاروق بعد ذلك أنه كلما تزايدات ضغوط أعداء الامبريالية فإن التاج يمكنه الاعتماد على التاج الآخر، كما أن البريطانيين الذين مازالوا لديهم جيش ضخم فى السويس يمكن لفاروق عند الضرورة أن يستخدمه فى قمع أية قلاقل مصرية.

حالة ركود عانى منها اقتصاد إنجلترا بعد الحرب جعلها تتراجع بعض الشىء عن دورها فى العالم الذى ظلت تؤديه طوال قرن كامل.. حدث ذلك فى وقت بدأت تبرز فيه الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة الدولية باعتبارها الشقيق الأكبر الديمقراطى.

وأمريكا، التى من المفترض كونها حليفة أخرى لفاروق، كانت شديدة الاهتمام بالشرق الأوسط بسبب النفط، وبسبب إسرائيل، وبسبب عيون موسكو الطامعة فى دول الشرق الأوسط المتأهبة للثورة بفلاحيها الفقراء المقهورين.

كان فاروق يكره الشيوعية، ولم يكن يريد للروس أن تكون لهم سفارة بالقاهرة، لكنه أجبر على ذلك من قبل سير مايلز لامبسون السفير البريطانى فى القاهرة الذى قال له «الروس هم حلفاؤنا» بالرغم من أن فاروق كان متأكدا من تمويل الروس لجماعة الإخوان المسلمين لمساعدتهم على قيام ثورة فى مصر تحت غطاء دينى، وكان ذلك الأمر هو العامل الرئيسى فى رأى فاروق وراء أحداث السبت الأسود.

بالنظر إلى جموع الفلاحين المصريين الجياع وإلى التفرقة الشديدة بين الطبقات فى مصر، وإلى عدم المساواة فى اقتسام الثروات، فإن لمصر كل الحق فى التوجه إلى الشيوعية، لكن مصر لم يكن لديها الميل إلى ذلك التوجه، لقد فهم فاروق جيدا البلاد التى يحكمها، وأدرك أنها من أكثر البلاد ولاء وسلاماً، وأكثر الشعوب طيبة ورضاء بما هو مقدر لها.

خمسة آلاف عام من الولاء والطاعة، كانت طوع يمين الملك فاروق، فرعيته هم أحفاد المصريين القدماء الذين بجلون الفرعون ومجدوه كإله، وشيدوا الأهرامات ومعبدى الأقصر والكرنك ووادى الملوك، تحت أكثر الظروف قسوة وقصماً للظهور.

وكان فاروق ملكا للمصريين، وكان ملكاً لمصر مستودع أقدم التقاليد الملكية على وجه الأرض.. كان فاروق هو مصر وكان هو الشرق الأوسط.. وكان الحصن ضد أى تمرد شيوعى قد يجرى بين فقراء مصريين.

وجاء إلى مصر سفير أمريكا الجديد جيفرسون كافرى، لطيف، ومتحدث لبق، وارستقراطى من ولاية لويزيانا فى الجنوب الأمريكى، كانت حقول القطن فى دلتا النيل بالنسبة له شبيهة بالحقول القادم منها فى دلتا المسيسبى، وكما كان لدى الأمريكى كافرى السود فى الجنوب الأمريكى، كان للملك فاروق الفلاحون، وكان الاثنان يشتركان فى حب السفر والتجوال.. فمن غير الملك فاروق يمكن أن يؤيد الأمريكيين؟ الزعماء السياسيون فى مصر الذين لم تتم تصفيتهم فى موجة من موجات الاغتيالات التى لم تتوقف فى السنوات الماضية، تفرقت بهم السبل، وزج بالكثيرين منهم فى عمليات فساد كبرى، وفى النهاية لم يتبق على الساحة غير الطلبة الثائرين بالشيوعية، الذين أحرقوا القاهرة فى يوم السبت الأسود، وغير الضباط الأحرار.

تنظيم الضباط الأحرار، لم يكن سوى خلية راديكالية صغيرة من داخل الجيش المصرى، الذى لم يتخلص ضباطه من احساس الذل والمهانة لهزيمتهم أمام إسرائيل فى حرب ١٩٤٨، وكانوا يلومون الملك فاروق على هزيمتهم تلك، لأنه باعهم هناك فى البحر الأحمر إلى تجار حرب زودوهم بأسلحة فاسدة كانت السبب فى خسارتهم الحرب.

قليل من استطاع أن يفهم كيف انتهت قصة الحب الرومانسى بين فاروق وفريدة، إلى دخوله سلسلة علاقات متصلة لا تنتهى مع نساء أميرات، وروائيات،ونجمات سينما، وراقصات، وفتيات استعراض.

وقليل أيضا، من استطاع أن يفهم لماذا فاروق الذى لديه وفرة فى النساء الثريات الجميلات، يستقر على الزواج من مراهقة صغيرة قابلها فى متجر مجوهرات بينما كانت هى وخطيبها فى ذلك الوقت يشتريان خاتم الزفاف.

بالنسبة إلى ناريمان البورجوازية، فإن اهتمام فاروق الرومانتيكى بها كان أشبه بفوزها بالورقة الرابحة من أوراق اليانصيب.

أما بالنسبة إلى فاروق، فهل كان زواجه من ناريمان محاولة منه للتقرب إلى الشعب؟.. أم أنه كان طرفا فى عرض جديد لرواية بيجماليون؟

قبل زواجهما أرسل فاروق ناريمان إلى روما لمدة عام من أجل تعلم اللغات وقواعد التشريفات وآداب السلوك وحتى يعيد صياغتها من جديد لتلائم الطراز الملكى..ربما وقع فاروق فى الحب حقيقة؟.. ربما حدث هذا بالفعل، عندما أعطته ناريمان الشىء الذى لم تمنحه له فريدة، الوريث الذكر الذى يضمن له استمرار سلالته الحاكمة؟



● البيت الأبيض يقدم شروطه وفاروق يماطل فتشتعل الأحداث المأساوية

● الملك يرفض التخلص من أصدقائه الإيطاليين واليونانيين فتعطى «السى آى إيه» الضوء الأخضر للضباط الأحرار للقيام بثورتهم

● نازلى تجبر الطفل فاروق على ارتداء ملابس النساء وتختار له فريدة زوجة وهو شاب

كان إنجاب فاروق لوريث يخلفه على العرش، نقطة تحول فى حياته جعلته ولأول مرة فى حياته يستشعر أنه رب أسرة.. فمن مستقره الصيفى بقصر المنتزه، كان يخرج مع ناريمان والأطفال فى نزهات للسباحة على الشاطىء، وفى رحلات لصيد السمك على ظهر أحد اليخوت ولمشاهدة أحد الأفلام التى أرسلت إليه من هوليوود، مثل فيلم «أعظم استعراض فى العالم» للمخرج سيسل دى ميل، وفيلم «الظهر العالى» الذى كان فاروق يحب مشاهدته بسبب تعلقه ببطلة الفيلم الشابة فى ذلك الوقت، جريس كيلى.

كان فاروق يظل مؤرقا فى بعض الأحيان، رغم أن كل من فى القصر ينام، فيوقظ أقدم وأخلص صديق له وهو الإيطالى أنتونيو بولى، الكهربائى السابق فى قصر عابدين، الذى كان يصلح له قطاراته عندما كان صغيرا.. ومعا يستقلان واحدة من مائتى سيارة يملكها فاروق.

فى شهر يوليو، يكون فاروق فى حالة انتعاش وحيوية تجعله يهبط إلى الجراج الملكى، ويستقل سيارته الكاديلاك الجديدة الحمراء ذات السقف المتحرك وينطلق بها فى صوت كالزئير على كورنيش الإسكندرية، دون أى اعتراض من شرطة المدينة، فهناك قانون سنه فاروق يقصر اللون الأحمر على سيارات القصر فقط.

أول وجهة كان فاروق يتوجه إليها، وهو يقود سيارته فى سباقه الكبير على الكورنيش هو نادى السيارات الملكى الأنيق.. وهناك وتحت الثريات الفخمة من الكريستال، يلعب فاروق البكاراه وأنواعا أخرى من ورق اللعب مع أثرياء الإسكندرية الأجانب، ومع مجموعة من اليونانيين واليهود، كان يحرص فاروق على أن يخسر لصالحهم بعض آلاف من الدولارات.. ثم يواصل فاروق الفقرة النهائية فى البرنامج الليلى، إلى حيث مستشفى المواساة.

فى البداية، أجبر فاروق نفسه على اتباع نظام غذائى لإنقاص وزنه، وخلال أشهر النظام الغذائى استورد بالطائرة كميات من المحار البحرى من الدنمارك، وهو الطعام الذى يزوده بالبروتين الخالى من الدهون، فضلا عن فوائده المشهورة عنه فى استثارة القدرة الجنسية عند الرجال، ومع ذلك كان الملك مازال يتناول ١٢ بيضة فى طعام الإفطار.

فى كل صباح يدخل الملك صالات التمرينات الرياضية فى القصر، لكى تقوم كتيبة من النوبيين والسودانيين والخادمات الجركسيات بعمل مساج له لكى يفقد أرطالا من وزنه بالإضافة إلى عمل مساج آخر لفروة رأسه مع إضافة دواء يرجع إلى أيام الفراعنة من أجل اكتساب بعض الشعيرات فى الرأس.

وبالإضافة إلى التحسينات التى كان يحاول إدخالها على جسده، كانت هناك تحسينات أخرى بدأ فى إجرائها لكى تجلب له سلام العقل.. فقد عانى فاروق كثيرا من أمه الملكة نازلى، التى أجبرته وهو صبى صغير على ارتداء ملابس بنت صغيرة، وعلى تركه وسط الحريم فى عزلة تامة عن أى صبى صديق قد يتصادف وجوده بشكل مؤقت، وكانت تسيطر عليه سيطرة كاملة حتى يعتمد عليها اعتمادا كاملا.. إلى أن أرسله والده إلى مدرسة عسكرية فى انجلترا وهو فى الخامسة عشرة.

وكانت رغبة الأم نازلى كبيرة فى تزويج فاروق من فريدة، لأنها شعرت بأنها يمكنها السيطرة على فريدة، لكن نازلى لم تستطع فرض سيطرتها على فريدة، مثلما لم يستطع فاروق كذلك أن يفرض سيطرته عليها، وقد سبب ذلك ألما كبيرا للملك فاروق أكثر.

لم يتعرض فاروق للإحباط من زوجته فقط، ولكن أيضا من أمه التى كانت لها علاقاتها الخاصة مع معلم فاروق العسكرى أحمد محمد حسانين، ولم يتوقف عبث الملكة نازلى عند حسانين، بل بدأت علاقة أخرى مع دبلوماسى أنيق صغير السن وهو المسيحى القبطى رياض غالى، الذى زوجته فيما بعد لابنتها الأميرة فتحية شقيقة فاروق الصغرى فى فندق فيرمونت فى سان فرانسيسكو.. وكان أن تحولت الأم وابنتها من الدين الإسلامى إلى الدين المسيحى، وعاشتا فى بيفرلى هيلز بالولايات المتحدة الأمريكية.

واستشعر فاروق خزيا وعارا بسبب ما اقترفته أمه وشقيقته من عدم توقيرهما للعائلة أو للدين الإسلامى، فحرم عليهما دخول مصر إلى الأبد، وصادر ممتلكاتهما، لكنه من ناحية أخرى، لم يغفل عن تقوية روابطه بأفراد عائلته، فقد لبى طلب فوزية أكبر شقيقاته وأكثرهن جمالا، بأن رتب طلاقها من شاه إيران، وأعادها إلى مصر، وزوجها من ضابط شاب أنيق مسلم عينه فاروق وزيرا للحربية.

كانت محاولات فاروق المستمرة من أجل التوصل إلى تشكيل حكومى مستقر، أصعب كثيرا من محاولاته جلب الاستقرار إلى عائلته.. ففى الشهور الستة التى تلت السبت الأسود الذى شهد حريق القاهرة، قام فاروق بتغيير أفراد حكومته ورئيسها أربع مرات، مستقرا فى النهاية على صديقه المليونير ورجل الصناعة حسين سرى ليرأس الحكومة الجديدة مع تفويضه بإجراء إصلاحات ديمقراطية واقتصادية تقلل من الارتفاع الشديد فى تكاليف الحياة، وتحسن فى الأوضاع المؤسفة التى يعيشها الفلاحون، وترفع المعاناة عن الفقراء الذين بدأت الأفكار الشيوعية تنتشر بينهم.

لكن إسرائيل ظلت تمثل مشكلة لفاروق، فبعض أفضل أصدقائه المقامرين كانوا يهودا، كذلك بعض خليلاته المفضلات لديه، وهناك يهود من أعمدة الاقتصاد المصرى، وآخرون يعدون نجوما اجتماعيين، وعدد كبير من الأثرياء والمضاربين فى بورصة القطن وملاك المصانع الذين يكونون طبقة الباشوات، كلهم يهود.

من جانب آخر، فى عام ١٩٤٥، أنشئت جامعة الدول العربية التى تكرس نفسها للإبقاء على فلسطين دولة عربية، وأصبح مقر الجامعة فى القاهرة، فى ذلك الوقت كان البعض يدهش لدخول مصر الجامعة العربية، فمصر فى رأيهم لم تكن حقيقة دولة عربية مثل الدول التى تقع شرق السويس مثل سوريا واليمن والعراق، فضلا عن أن أسلاف فاروق نفسه لم يكونوا عربا، وإنما كانوا يونانيين وأتراكاً وألباناً من جانب الأب، وكان فاروق من جانب الأم مصريا فرنسيا.

مجموعتان فقط فى مصر لم يكن قد جرفهما تيار الإعجاب والولاء الشديد للملكية باعتبارها الشىء الثابت غير القابل للتغيير والتحول تماما

كالأهرامات و«أبوالهول» إحداهما كانت تنظيم الضباط الأحرار الساخطين، وعلى رأسهم ناصر والسادات، والمجموعة الثانية فكانت وكالة الاستخبارات الأمريكية «سى. آى. إيه».

وفقا لعقيدة ترومان فإن أمريكا كانت منزعجة للسيرك المتعدد الحلقات فى الشرق الأوسط، الأمر الذى كان يفرض عليها مهمة السيطرة عليه.. لكن كيف يمكن للمنطق الأمريكى أن يتغلب على وضع يتسم باللامنطق إلى حد كبير؟ وكان السبيل هو تدخل وكالة الاستخبارات الأمريكية «سى. آى. إيه» فى شخص تيدى روزفلت المتفاخر المتباهى المتهور فى منطقة الشرق الأوسط.

كان روزفلت يناصر فاروق عندما كان فى أضعف أوقاته كملك أثناء الحرب العالمية الثانية، خاصة عندما أجبره لامبسون على قبول أوامره تحت تهديد المدافع البريطانية، وكان قد أثار غرور فاروق عندما حدثه بأن أياما أفضل قادمة بعد الحرب، وذلك بعد أن يغادر البريطانيون مصر، ويصبح فاروق حاكم مصر الحرة.

عندما عاد روزفلت إلى القاهرة فى بداية عام ١٩٥٢ كرجل وكالة الاستخبارات الأمريكية فى المنطقة، أظهر فاروق ترحيبه الحار فى البداية بهذا العضو من العائلة الملكية الأمريكية، الذى كان لديه جدول أعمال خاص يتركز فى جعل منطقة الشرق الأوسط منطقة آمنة للديمقراطية الأمريكية، ولضمان أن خطوط أنابيب النفط الشديد الأهمية للاقتصاد الأمريكى لن تكف عن الضخ إليها.

وكان روزفلت ووكالة الاستخبارات الأمريكية كانوا يتنبأون بما كان سيحدث من نقص فى النفط فى السبعينيات، فضلا عن أن أمريكا لم تكن تريد لروسيا، التى هى أيضا فى احتياج شديد إلى النفط، أن تكون لها اليد العليا على رمال الصحراء العربية.

وقد استقر فى يقين أمريكا أنها إذا لم تستطع فرض سيطرتها الكاملة على منطقة الشرق الأوسط، فعلى الأقل عليها أن تخلق حالة من التوافق والانسجام بينها وبين الدول العربية، وبصفة خاصة مصر باعتبارها أكثر دول المنطقة تحضرا وباعتبار أنها أرفع مقاما وأكثر هيبة.

لقد جاءت تقديرات روزفلت ووكالة الاستخبارات الأمريكية فيما يتصل بفاروق مغالية بشكل يدعو للرثاء، فقد كتبوا فى تقاريرهم كم: هو مطيع ذلك الملك الشاب، فربما كان يهمس روزفلت فى أذن فاروق بشىء، وربما فاروق كان يهز رأسه فى لطف وذوق، وبعد ذهابه كان فاروق يفعل شيئا مختلفا تماما عن توجيهات وتوصيات روزفلت الحكيمة التى أسرها فى أذنه.

لم يكن فاروق على استعداد أن يدع روزفلت ليصبح مايلز لامبسون آخر، فالملك كان مهذبا لدرجة أنه لا يقول «لا»، وكان شديد الشعور بالاستقلالية وشديد الإحساس بنفسه ومكانته لدرجة أنه لا يقول «نعم»، ومن هنا كان قيام فاروق بتغيير رئيس الوزراء أربع مرات فى فترة قصيرة، قد أغضب روزفلت الذى كان يرغب فى حالة من الاستقرار تأكد له أنها لن تتم بشروطه.

وتزايد سخط روزفلت على فاروق بسبب رفضه طرد أفراد وزارة مطبخ القصر، وهم مجموعة من غير المسلمين، لم تكن تمثل البلاد أو تتفق مع طموحات روزفلت.. زعيم هذه المجموعة الكهربائى الإيطالى أنتونيو بولى المعروف باسم «القلق»، لقدرته على النوم بعمق، وهو واقف على قدم واحدة، وإيطالى آخر كان مصدر ثقة الملك هو مصفف الشعر بترو ديللا فاللى.

من هذه المجموعة أيضا، رئيس مستشارى فاروق الاقتصاديين، إلياس أندراوس، اليونانى المتورط فى مشروعات أراض مشكوك فى أمرها، واللبنانى أدمون جالهان المتخصص فى تدبير ما تحتاج إليه الذات الملكية، والتاجر المتجول الذى تشير مزاعم إلى أنه وراء صفقة الأسلحة الفاسدة فى الحرب ضد إسرائيل.. والعبقرى الشرير، الصحفى المكروه من قبل الصحفيين أنفسهم، كريم ثابت، الماكر كميكافللى، ابن مالك صحيفة المقطم التى كانت تصدر يومية فى مصر.

أناشيد المديح والشكر والتسبيح للملك الشاب، التى كان ينشرها كريم ثابت، حققت له الفوز بمنصب الوزير الملكى للإعلام، فى موقعه هذا حصل ثابت على المعلومات أكثر كثيرا مما كان يعطى، وأثرى ثراء كبيرا مع الوقت باعتباره أحد التجار من داخل القصر.

كان روزفلت يعتقد أنه من المهم أن يذهب كل هولاء، لكن فاروق كان شديد الإخلاص لأصدقائه، ولم يجرؤ على أن يرتكب فى حقهم مثل هذا

الإثم، وفى النهاية قاد الغضب والحنق روزفلت إلى أحضان الضباط الأحرار.

كان الضباط الأحرار يستشعرون خزى وعار هزيمتهم من دولة مزعومة ضعيفة مثل إسرائيل فى عام ١٩٤٨، وبالرغم من افتتاح الجيش المصرى للكلية الحربية الملكية ليدخلها فلاحون مصريون مثل السادات، الذى كان والده فلاحا، وأفراد من الطبقة تحت المتوسطة، مثل ناصر الذى كان والده موظف بريد، إلا أن مثل هؤلاء الضباط الشباب لم يكن مسموحا لهم بالترقى، وبسبب أن المناصب العليا فى الجيش المصرى، كان يشغلها ضباط الحرس القديم غير المتعلم والذين استاءوا كثيرا من دخول الفلاحين وأبناء الطبقات الفقيرة الكلية الحربية الملكية.

أما غضب الضباط المصريين الشباب فقد تجسد فى القائد الأعلى للقوات المسلحة، الفريق حيدر، الذى كان يطلق عليه لقب «السجان»، كما تجسد غضبهم أيضا فى عدد من اللواءات الذين أجبروا بعد ذلك على التقاعد فى سلسلة إصلاحات بدأت فى عام ١٩٥٠ لتهدئة الاضطرابات التى نشأت فى أعقاب قضية الأسلحة الفاسدة فى عام ١٩٤٨، وهو الشىء الذى سعد له الضباط المصريون، لكن سعادة الضباط المصريين الشباب لم تستمر غير وقت قصير، فقد قام فاروق المخلص دائما لأصدقائه بإعادة تعيين كل اللواءات الذين تقاعدوا إلى مناصبهم القديمة.

وفى مظاهرة احتجاج قام بها الضباط الأحرار، طالبوا بأن يخوض رجلهم الأشيب الشعر الذى يدخن البايب، الضابط الذى تجاوز سن الأربعين والحائز على ثقة الجميع اللواء محمد نجيب، انتخابات نادى ضباط القاهرة فى عام ١٩٥٢ ضد الفريق حيدر، واللواء حسين سرى عامر، وكان شعار الحملة الانتخابية المطبوع، والذى وزع على نطاق واسع فى كل أرجاء مصر: «الجيش يقول لا لفاروق».

كانت انتخابات رئيس نادى ضباط القاهرة التى فاز فيها اللواء محمد نجيب بأغلبية كبيرة، قد قدمت نموذجا رمزيا لتحريض الشعب ضد القصر، ومن هنا كان إسراع فاروق فى إلغاء نتيجة الانتخابات متعللا بجماعة ناصر

الذين قاموا بإطلاق ١٤ طلقة نارية صوب اللواء حسين سرى عامر فى ليلة الانتخابات، وهى الطلقات التى أخطأته ونجا منها.

بالرغم من ذلك، فلقد استشعر الضباط الأحرار أن بإمكانهم الكثير من العمل، وبدأ نشاطهم يتخذ وسيلتين: المنشورات من ناحية وطلقات الرصاص من ناحية أخرى.

وجمع فاروق مستشاريه فى بساتين المنتزه الغناء، لكى يناقش معهم كيف يمكنه التخلص من إزعاج الضباط الأحرار له.. لكن الملك، مع هذا لم تبد عليه علامات ضيق أو انزعاج شديدين، لأنه كان يشعر أن لديه الوقت الكافى حتى شهر أكتوبر لكى يضع خطته.. فلا أحد فى اعتقاده يمكن أن يقوم بعمل شىء فى مصر فى الصيف، وبشكل خاص القيام بعمل ثورى، لأنه ببساطة شديدة الطقس فى مصر حار جدا فى شهور الصيف.

كان خطأ فاروق المميت، ربما فى عدم تقديره التقدير الصحيح لمقدرة الفلاحين المصريين على الحركة والعمل فى صيف مصر الحار.

فى شققهم السكنية بالقاهرة استمع ناصر والسادات كثيرا إلى القطعة الموسيقية شهر زاد للموسيقى الروسى رمسكى كورساكوف، التى كانت النغمة المصاحبة لتنظيم الضباط الأحرار.. لقد استقر فى يقين ناصر أن فاروق على وشك القيام باغتيالهم، وكان القرار هو أن ينالوا منه قبل أن ينال هو منهم.

لكن كيف؟.. والملك يسيطر على كل جيش مصر، فى حين أن جماعة الضباط الأحرار لا يزيدون على ٣٠٠ ضابط، من بينهم عدد لا يتجاوز ١٤ ضابطا هم أهل الثقة فيما يخططون له.

كان هناك وعد الأمريكيين بمساعدة الضباط الأحرار.. فبعد أن أجرى تيدى روزفلت لقاءات سرية مع رجال ناصر والسادات، نقل انطباعاته الإيجابية عنهم إلى رئيسه دين اتشيسون وزير الخارجية فى حكومة ترومان، قائلا إنهم مجموعة من الشباب العسكرى المتعلم يمكن لأمريكا التعاون معهم والسيطرة عليهم.

فى التقرير الذى قدمه روزفلت إلى رئيسه اتشيسون، ذكر أن إسرائيل لم

تقدر جيدا قدر ناصر والسادات وسط قائمة لديها يتصدرها الملك فاروق وجنرالات الحرس القديم والأثرياء من غير المصريين والبريطانيين، وأن أمريكا يمكنها وهى تسيطر على الضباط الأحرار أن تتابع سياسة تأييدها لإسرائيل فى الشرق الأوسط من دون تدخل يذكر من القاهرة.

فضلا عن ذلك، فإن الأمريكيين كانوا يرون أن فلسطين ليست هى محور اهتمام كبير لدى الضباط الأحرار، وإنما الذى كان يهمهم بالدرجة الأولى هو الطريقة المهينة التى خسروا بها حرب ١٩٤٨ ضد إسرائيل، كذلك كان فى اعتقاد الأمريكيين أن فاروق هو عدو الضباط الأحرار وليست إسرائيل، ومما يؤكد للأمريكيين تصورهم هذا، هو أن جمال عبدالناصر - الذى أصبح فيما بعد زعيما للعالم العربى - لم تكن تبدو عليه فى تقديرهم فى ذلك الوقت أية اتجاهات قومية خارج حدود مصر.

لم يكن فى نية روزفلت تقديم دبابات أو طائرات أو صواريخ للضباط الأحرار، وإنما كل الذى كان فى نيته تقديمه لهم، هو فقط عمل من أعمال غض البصر واللامبالاة.. فإذا حدث وقام انقلاب فإن أمريكا لن تتدخل بأى شكل لإنقاذ الملك.

لم يكن الوعد الأمريكى للضباط الأحرار يحمل الشىء الكثير، لكن ربما ترك ذلك الوعد الأمريكى شيئا من الاطمئنان لدى هؤلاء المقدمين على مغامرة مشكوك فى نجاحها.



- أطلقت المدفعية ٢١ طلقة وغادر فاروق إلى نابولى على اليخت المحروسة
- رئيس الحكومة يحذر الملك وهو يلعب القمار من انقلاب عسكرى وشيك للضباط الأحرار
- فرامل سيارة عبدالناصر كادت تحبط الثورة قبل قيامها

فى ٢٠ يوليو ١٩٥٢، خرج فاروق بعد منتصف الليل من قصر المنتزه، فى جولة من جولاته المعتادة بسيارته المرسيدس المكشوفة الحمراء، متجها إلى نادى السيارات الملكى، وبينما هو جالس إلى مائدة القمار، جاءته محادثة تليفونية عاجلة من رئيس وزرائه حسين سرى، يحذره فيها من محاولة انقلاب وشيكة الحدوث، وقدم حسين سرى للملك خيارين، الخيار الأول هو أن يعين فاروق اللواء محمد نجيب، أكبر الضباط الأحرار سنا، وزيرا للحربية، والخيار الثانى، هو أن يقوم الملك على الفور بإلقاء القبض على اللواء نجيب وبقية الضباط المتآمرين.

مع دوران ذراع عجلة لعبة الروليت، والجلبة التى تحدثها حركة أوراق اللعب والنقود، والضوضاء المنبعثة من الفائزين والخاسرين على حد سواء، طلب فاروق من رئيس وزرائه أن يقرأ عليه قائمة بأسماء وهويات المتآمرين، وبعد أن انتهى حسين سرى من قراءة أسمائهم وهوياتهم، ضحك فاروق فى استهزاء، ولم يعر للأمر أى اهتمام، وعاد من جديد إلى مائدة القمار.

فى صباح اليوم التالى، أقال فاروق رئيس الوزراء حسين سرى، وعين إسماعيل شيرين الشاب الوسيم، وزيرا للحربية، والأخير لم يكن سوى زوج شقيقة فاروق فوزية بعد طلاقها من شاه إيران.

بعد ذلك راح فاروق يستحم فى مياه البحر المتوسط عند شاطىء قصر المنتزه، التى كانت تمنحه إحساسا عميقا بالقوة والحيوية فى صيف الإسكندرية الجميل.

علم ناصر متأخرا فى ٢٢ يوليو، وهو فى القاهرة، بخبر تعيين شيرين البالغ من العمر ٣٣ عاما وزيرا للحربية، فحاول الإسراع فى تنفيذ مخططه، واجتمع ثمانية من الضباط الأحرار، ووضعوا الخطة النهائية للهجوم التى تتركز فى

خطوتين أساسيتين: الخطوة الأولى استهدفت حصار المقر الرئيسى لهيئة أركان الجيش فى القاهرة فى ساعة الصفر، والتى كانت محددة بالساعة الواحدة من صباح اليوم التالى، والخطوة الثانية استهدفت إلقاء القبض على فاروق فى قصره بالإسكندرية، وكانت كلمة السر «نصر»، وكان من المقرر أن يكون ٩٠ ضابطا من الموثوق فيهم على علم بمخطط الانقلاب، من بين ٣٠٠ ضابط يكونون تنظيم الضباط الأحرار.

كان معيار الثقة عند ناصر، المهندس الأول والأساسى للثورة، هو الرزانة والاعتدال، وكان الاشتراك - فيما هو مأمول - أن تكون ثورة مجيدة، تقتصر على من لا يتناولون المشروبات الكحولية.

ونظرا لوجود جواسيس فاروق فى كل مكان، شدد الضباط الأحرار الثمانية على عدم استخدام التليفونات فى مهام الاتصال، كما شددوا على عدم إعلام أى شخص بالمخطط، وبصفة خاصة زوجات الضباط أنفسهم، وبدأت تتوالى فصول كوميديا الأخطاء.

بعد أن انفض اجتماع الضباط الثمانية، ذهب ناصر مباشرة إلى منزل السادات ليخبره بمهمته التى تتركز فى قطع خطوط الاتصالات عن مقر قيادة ضباط أركان الجيش، لكن السادات لم يكن بالمنزل، فقد خرج بصحبة زوجته وابنته إلى واحدة من دور السينما بالقاهرة، وترك ناصر رسالة ورقية للسادات أسفل باب منزله.

توجه ناصر بعد ذلك إلى منزل ضابط آخر من الضباط الأحرار الذى كان مسئولا عن تزويدهم بالسلاح، فلم يجده بالمنزل، لأنه أيضا كان قد توجه إلى دار للسينما.

فجأة، يقوم رجل شرطة من فوق دراجته البخارية بإصدار أمر لناصر بالوقوف، فى البداية اعتقد ناصر أن جواسيس الملك قد كشفوا كل شىء، لكن تبين له أن رجل الشرطة لاحظ عيبا فى سيارة ناصر الأوستن السوداء المتداعية، الشىء الذى أزعج الشرطى لم يكن مستقبل مصر، إنما أضواء فرامل سيارة ناصر التى لم تكن تعمل، وعد ناصر الشرطى بإصلاحها، وقاد سيارته فى اتجاه ساعة الصفر.

فى الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم، كان جواسيس الملك قد أبلغوه

بمخطط الانقلاب، وفى الساعة التاسعة، أصدر الملك أوامره بإلقاء القبض على كل الضابط الأحرار.

اثنان من هؤلاء الضباط الأحرار كان مقرهما مدينة الإسكندرية، هرعا إلى قصر المنتزه وطلبا العفو الملكى.

فى ذلك الوقت بالقاهرة، كان كبار ضباط الجيش مجتمعين فى مقر هيئة الأركان العامة المحاط بقوة كبيرة من جنود الحراسة.

وكان من الواضح أن الثورة قد انتهت قبل أن تبدأ.

فيما كان ناصر يقود سيارته فى ضاحية هليوبوليس بمصر الجديدة وإلى جانبه رفيقه، أحاطت بهما قوة عسكرية، وأمرهما ملازم أول تحت تهديد السلاح بالهبوط من السيارة، لكن على الفور ظهر رجل فى بدلته العسكرية، عندما شاهده ناصر علت وجهه ابتسامة عريضة.. كان الرجل العسكرى هو يوسف صديق أحد زعماء الضباط الأحرار الذى تولى أمر قوة عسكرية مسلحة، وكان فى طريقه متوجها إلى مقر هيئة الأركان للاستيلاء عليه فى الساعة الثانية عشرة، التى كان يعتقد أنها ساعة الصفر.

كان تحديد ساعة الصفر، ساعة قبل وقتها المحدد، من الأسباب التى ساعدت على نجاح ثورة الضباط الأحرار فقد كان جنرالات الجيش الكبار مجتمعين فى مقر قيادة هيئة الأركان، وقاموا بالفعل بإرسال من يقوم بمهمة إلقاء القبض على الضباط الأحرار.

هاجمت القوة العسكرية المسلحة بقيادة يوسف صديق مقر هيئة الأركان، وقتلت اثنين من الحراس، وجرحت اثنين آخرين، وألقت القبض على عشرين من أكبر جنرالات الحرس القديم فى البلاد.. وسيطر رجال جمال عبدالناصر على المقر، وبدأوا فى إصدار أوامرهم إلى ضباط الأركان وإلى كل القوات بالاستسلام.

لم يخرج فاروق فى جولته المعتادة فى الساعات الأولى من ذلك الصباح إلى موائد القمار فى نادى السيارات الملكى، أو لقضاء وقت فى استراحته بالطابق الأخير فى مستشفى المواساة، لكنه ظل بالقصر يحادث السفير الأمريكى كافرى، والسفير البريطانى لامبسون، طالبا منهما إنقاذ حياته وإنقاذ سلالته

الحاكمة، ومهددا بأنه إذا لم يستجيبوا لطلبه فسوف تتحول مصر إلى دائرة نفوذ شيوعى.

الأمريكان من جانبهم كانوا قد اتخذوا قرارهم ولم يتراجعوا عنه، والسفير البريطانى تحدث إلى رئيس الوزراء أنتونى ايدن فى لندن وتلقى أوامره، ربما كانت انجلترا قد منحت فاروق من قبل رتبة جنرال شرف فى الجيش البريطانى، لكن التشريف كان كل ما لدى انجلترا لكى تقدمه لملك مصر.

تذكر فاروق فى شيء من الحزن السرعة التى أرسلت بها إنجلترا دباباتها إلى قصر عابدين فى عام ١٩٤٢، وانجلترا الآن مازال لها مصالح فى السويس وتربطها بمصر روابط عاطفية ومالية، فأين هى الآن؟.

عندما تأكد فاروق من أن انجلترا لن يتحرك لها ساكن، راح يضغط على السفير الأمريكى لكى يفعل شيئا .. وفى نفس الوقت كان الضباط الأحرار قد أصدروا أول أوامرهم لفاروق، وهو تعيين على ماهر رئيسا للوزراء.

تحدث رئيس الوزراء البريطانى أنتونى ايدن مع الرئيس الأمريكى ترومان ووزير خارجيته اتشيسون، ولم يكن ترومان على استعداد لأن يغير موقفه ويساعد فاروق.

وفى القاهرة التقى القائم بأعمال السفارة البريطانية اللواء محمد نجيب وأخبره أن انجلترا لن تتدخل فى شأن الانقلاب.

ضباط هيئة أركان الجيش المصرى، كان قد تم إلقاء القبض عليهم بواسطة الضباط الأحرار الذين أصبح الجيش يأتمر بأمرهم.

حضر على ماهر إلى الإسكندرية لمقابلة فاروق، وسلمه خطابا من أربع صفحات من اللواء محمد نجيب يحوى مطالب أخرى للضباط الأحرار: أن يقوم فاروق وبأقصى سرعة بطرد حكومة مطبخ القصر، وبتعيين اللواء محمد نجيب رئيسا لأركان القوات المسلحة، وقبل فاروق مطالب الضباط الأحرار، لكنه أصر على الاحتفاظ بأفضل صديق له أنتونيو بولى، وبخادمه الشخصى محمد حسن السليمانى.

وانتهى فاروق إلى أنه إذا لم يكن أمامه فرصة للدفاع عن عرشه، فعليه أن يدافع عن حياته وكان أن جمع الملكة ناريمان وابنه فؤاد ومربيته الإنجليزية آن

تشير مسايد داخل المقعد الخلفى للسيارة المرسيدس الحمراء، التى لا يخترقها الرصاص، وجلس فى مقعد القيادة وبصحبته بندقية آلية وضعها على ركبتيه، وقاد فاروق سيارته من المنتزه إلى رأس التين، القصر الأكثر منعة وتحصينا، والذى ربما يشهد موته فى معركة لا مفر منها، أو قد يكون وسيلته للهرب من أرض الفراعنة.. وأقلت السيارة المرسيدس الثانية أنتونيو بولى وبنات فاروق الثلاث ومربيتهن الفرنسية سيمون تابوريت.

كانت وحدات جيش ناصر على وشك الوصول إلى الإسكندرية، لذلك قاد فاروق سيارته بسرعة ٨٠ ميلا فى الساعة فى الطرق الخلفية الخالية تماما بسبب فرض حظر التجوال، واتخذت السيارة الأخرى التى تقل بناته طريقا آخر مختلفا.. ووصلت السيارتان فى أمان إلى قصر رأس التين الذى كانت تحرسه عدة وحدات عسكرية تابعة للبحرية المصرية، التى ظلت موالية للملك.

كذلك ظلت على إخلاصها للملك مجموعة من الحرس السودانيين الأشداء، وأفراد قوة عسكرية قوامها أكثر من ٨٠٠ جندى مزودين بالأسلحة اتخذوا مواقعهم خلف السواتر ونوافذ القصر تأهبا للدفاع عن حياة الملك.

فكر فاروق فى الهرب عن طريق الجو، وأرسل بالفعل قائد طائرته إلى مطار الماظة لكى يجهز له طائرة من بين ١٣ طائرة كان يملكها للطيران بها من مصر، لكن جيش ناصر كان قد استولى على القاعدة الجوية وكل الطائرات جاثمة على أرض المطار.

قتل، أو لا قتل؟ ذلك كان السؤال الذى تناقش حوله الضباط الأحرار.. هل يتخلصون من فاروق فى الحال ودون محاكمة، أو عليهم إبعاده خارج مصر عن طريق البحر.. خيار المحاكمة ألغى على الفور لأن المحاكمة تمنح فاروق وقتا كافيا لكسب التأييد الدولى، والضباط الأحرار كانوا على وعى بمواطن الضعف العديدة فيهم.

كان رأى المعلم والناصح للضباط الأحرار، اللواء عزيز المصرى، هو إنهاء دموى لحياة فاروق، وأشار على ناصر وصحبه قائلا: «عليكم بالقتل قتل الآلاف من أجل أن تتطهر البلاد».

لكن ناصر فى لحظة من لحظات الإلهام النادرة، لم يوافق على تعاليم المعلم عزيز المصرى، فقد كان فى اعتقاد ناصر أن حمام الدم الذى يحرض عليه

عزيز المصرى من أجل التخلص من النخبة الحاكمة سيؤدى فى النهاية إلى نزيف دم ربما لا يمكن إيقافه.

لم يكن ناصر يريدها حربا أهلية، كما أنه لم يرد أن يجعل من فاروق شهيدا، لذلك فقد طلب إجراء تصويت بين الضباط الأحرار، وجاءت نتيجة التصويت بفارق صوت واحد أبقى على حياة فاروق.. وأنهى ناصر النقاش مؤكدا: «التاريخ هو الذى سيحكم على فاروق بالموت».

فى ساعة متأخرة من صباح يوم ٢٥ يوليو، وصلت قوات ناصر رأس التين، واتخذت من اسطبلات القصر سواتر تحميها وبدأ تبادل إطلاق النيران، وقتل عدد من الجنود المهاجمين بواسطة رجال الحرس السودانيين، أما فاروق المقامر فقد وقف فى الشرفة وأسقط على الأقل أربعة أفراد من القوات المهاجمة وفى الجانب الآخر لقى جواد السباق الأبيض الخاص بالأميرة فريال ابنة فاروق مصرعه.

وفى جناح الحريم، كانت الملكة نا ريمان تداعب طفلها فؤاد مقلدة له أصوات الطلقات النارية التى كان يتبادل الجانبان إطلاقها، بينما كانت الأجساد تتساقط فى الخارج.

من جهته طلب قائد الوحدات العسكرية التابعة للبحرية، من فاروق السماح له بالضرب، لكن فاروق أدرك أن مثل هذا العمل يعد انتحارا، لأن عدد أفراد بحريته لا يتكافأ مع الجيش المسيطر على ميناء الإسكندرية، وبدلا من ذلك تحادث فاروق مع كافرى، سائلا أمريكا هذه المرأة إنقاذ حياته، وأذعن السفير الأمريكى لطلبه تحت ضغط من روبرت سيمبسون صديق فايزة.. وتم الاتفاق على وقف إطلاق النار فى رأس التين.

فى صباح اليوم التالى ٢٦ يوليو، وصل على ماهر إلى رأس التين ومعه صيغة التنازل عن العرش التى كتب مسودتها السادات، ووقع عليها اللواء محمد نجيب:

نظرا لسوء حكمكم وخرقكم للدستور وازدرائكم لرغبات الشعب والوطن، أصبح المواطن غير آمن على حياته وممتلكاته وشرفه، فتحت حمايتكم خونة ومحتالون، سمح لهم بتكديس الثروات عن طريق تبديد المال العام، بينما الشعب يتضور من الجوع والحرمان، وقد تفاقمت هذه المفاسد أثناء الحرب فى فلسطين بالتجارة البغيضة فى الأسلحة والذخيرة الفاسدة.

إن الجيش المصرى الذى يمثل قوة الشعب، قد فوضنى لكى أطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لصالح الوريث الأمير أحمد فؤاد، من اليوم السبت ٢٦ يوليو ١٩٥٢، ومغادرة البلاد فى اليوم نفسه قبل الساعة السادسة مساء.

وفى حال رفضكم لهذا الإنذار، فسوف تتحملون مسئولية ما يستجد من عواقب «محمد نجيب».

تحدث فاروق فى دعابة ساخرة إلى على ماهر الذى يعرفه طوال حياته، حول ما يمكن للرضيع أحمد فؤاد أن يفعله للضباط الأحرار، لكن على ماهر لم يرد على دعابة الملك، وأطلق فاروق تهيدة حارة، وأعاد قراءة وثيقة التنازل عن العرش، ووافق على ما جاء فيها، مع بعض الشروط، أولها أن يصحبه أنتونيو بولى، الذى كان فى منتصف الستينيات من عمره إلى الخارج، وأن يحتفظ باليخت الملكى المحروسة، وأن يصحب معه مجموعة الميداليات والهدايا والأشياء الخاصة، وألا تؤمم أراضيه وأراضى شقيقاته، وأن تدار لصالحهن.

غادر على ماهر رأس التين ليتحدث إلى ناصر بشأن شروط فاروق، لكن ناصر رفض كل الشروط، ولم يقبل بغير ضمان عدم قتل الملك، وإطلاق ٢١ طلقة مدفع تحية له وهو يغادر البلاد على ظهر اليخت المحروسة التى ستقله إلى نابولى، تماما مثلما حدث مع الخديو إسماعيل، جده منذ ثلاثة أرباع القرن، عندما قام البريطانيون بعزله، وعلى أن يعود اليخت المحروسة بعد ذلك إلى شواطىء الإسكندرية.

فى الساعة الثانية عشرة والنصف حضر إلى رأس التين قاضى المحكمة العليا المصرية ومعه وثيقة التنازل عن العرش، كما حضر أيضا جيفرسون كافرى، للتأكد من توقيع فاروق على الوثيقة ومغادرته الإسكندرية فى سلام.. وقد وقع الملك فاروق وثيقة تنازله عن العرش فى القاعة الرخامية للقصر.

وكانت وثيقة التنازل عن العرش المقدمة من قاضى المحكمة العليا المصرية، قد بدأت بالكلمة الملكية:

نحن فاروق الأول، حيث إننا كنا دائما نهدف إلى سعادة ورفاهية شعبنا، وكانت رغبتنا المخلصة أن نجنبهم المصاعب التى قد تظهر فى هذا الوقت الحرج لذلك نحن نطيع رغبة الشعب.

أكمل فاروق قراءة الوثيقة، وكادت الدموع تطفر من عينيه كانت لحظة هزيمة وضع توقيعه على عجل، ولما كان التوقيع غير مقروء، فقد اضطر لوضع توقيعه للمرة الثانية.

بعد ظهر ذلك اليوم الذى لن تنساه ذاكرة الملك، بدأ فاروق فى حزم أمتعته التى بلغت ٦٦ حقيبة، حوت بعضها مجوهرات وقطعا ذهبية وأشياء ثمينة أخرى لا تقدر بثمن وكان فى الوقت متسع لإخفاء كنوز أخرى فى بعض الحقائب.

لكن أغرب المقتنيات التى أعدت لإضافتها إلى الحقائب المسافرة، كانت صناديق عديدة تحوى زجاجات المشروبات الكحولية وبالطبع فإن الضباط الأحرار الذين كانوا على استعداد لتصديق أسوأ الأقوال عن الملك، صدقوا تماما حمله معه صناديق مشروبات كحولية.

ضحك الضباط الأحرار، فقد كانوا مقتنعين بأنهم كانوا على صواب بشأن نفاق فاروق، وأن امتناعه عن تناول الكحوليات كان محض ادعاء، لكن فى تلك اللحظة كان فاروق هو الذى ضحك أخيرا، فقد كانت صناديق المشروبات الكحولية التى انتقلت إلى ظهر اليخت تحوى سبائك من الذهب الخالص تمثل مقدارا ضخما من الثروة التى كان فى استطاعة فاروق أن يحملها معه وهو راحل عن مصر.

بعد أن انتهى فاروق من حزم أمتعته راح يستحم للمرة الأخيرة فى القصر ويرتدى ملابس الوداع.. اختار زى أميرال أبيض اللون بسلاح البحرية التى ظلت على ولائها له حتى اللحظات الأخيرة، وزينه بالشعارات والرموز والميداليات الملكية، اجتمع فى حجرة العرش بقصر رأس التين بناريمان وفؤاد وبناته المتزينات بالجواهر، وقال وداعا لشقيقتيه فوزيه وفايزة، سأل فاروق بناته عما إذا كن يرغبن فى الذهاب معه إلى إيطاليا أو البقاء مع والدتهن فريدة التى تغيبت عن حضور حفل الوداع، وكان قرارهن هو الرحيل معه.

تقدم فاروق إلى اتجاه اليخت المحروسة، وسارت خلفه ناريمان والمربية الإنجليزية «تشير مسايد» التى كانت تهدهد بين ذراعيها الملك الجديد، كان فاروق فى حالة أشبه بالدوار تتداعى فى مخيلته عشرات التساؤلات، كيف يمكن لكل شىء أن يتداعى من حوله بمثل هذه السرعة؟ كيف تخونه انجلترا؟

وكيف يمكن لأمريكا أن تفعل ما فعلته به؟ كيف يمكن أن يكونوا بمثل هذا الغباء؟ ألا يستطيعون التنبؤ بالطوفان الشيوعي؟.

فى الساعة السادسة مساء يوم ٢٦ يوليو أصبح لمصر حاكمها الجديد اللواء محمد نجيب، فى سيارته الجيب العسكرية التى كانت تزأر على رصيف الميناء، كان يجلس اللواء محمد نجيب الذى توجه صوب فاروق، وهو على الجسر الموصل لليخت المحروسة، وقدم له التحية، ورد فاروق التحية لحاكم مصر الجديد.

لم يكن اللواء محمد نجيب يعرف ماذا يقول لفاروق خاطبه قائلا: «أفندم» وهى تشبه كلمة «سير» فى الإنجليزية، لكن لم تكن «أفندم» تعنى «جلالتكم»، قال نجيب للملك السابق إنه كان الضابط المصرى الوحيد الذى قدم استقالته فى عام ١٩٤٢ احتجاجا على التصرف العدائى للسير مايلز لامبسون فى قصر عابدين، وأضاف اللواء نجيب قائلا، إنه كان مخلصا للعرش.

فى تهذيب ولطف طلب فاروق من نجيب أن يعتنى بالجيش المصرى، مذكرا نجيب أن جده العظيم هو الذى أنشأه، وأنهى فاروق كلامه بتحذير نجيب أنه يواجه مهمة ضخمة، «ليس من السهل أن تحكم مصر.. هل تعلم؟»

.. قبل رحيله، طلب نجيب من فاروق ألا يلومه بسبب الانقلاب، وبدأ فى إرجاع السبب إلى «الآخرين المتعصبين منهم»، وتوقف نجيب عن الكلام ثم - والدموع تملأ عينيه - انحنى اللواء محمد نجيب وقبل يد فاروق، ثم استدار وغادر اليخت المحروسة، الذى بدأ يغادر المرسى تدريجيا وعلى متنه فاروق.

أطلقت قطع عسكرية بحرية طلقات مدفعيتها الإحدى والعشرين، الملك فاروق على متن اليخت المحروسة راح يبتعد شيئا فشيئا عن قصر البحر الأبيض المتوسط الذى بناه الأمير محمد على الجد الأكبر لفاروق، ومن المكان الذى حوى منارة فاروس ومكتبة المكتبات، وأعظم مدينة عرفها العالم.. وأيضا راح يبتعد فاروق شيئا فشيئا عن أرض توت عنخ آمون ورمسيس والإسكندر الأكبر وبطليموس وكليوباترا.

وخلال أيام، بدأت الصحافة التى وضعت فاروق على غلاف مجلة «تايم» هى نفسها ترقص على قبره الحى، لقد خرجت القاطرة عن القضبان .



- أسرار العلاقة الغامضة بين فاروق ومغنية الأوبرا الإيطالية إرماكابيس
- ناريمان تعود إلى القاهرة لطلب الطلاق والإيطالية تستعد لاحتلال مكانها فى قلب الملك
- الملك يلتقى إرما سراً ويؤكد لها: «ستكونين ملكتى الثالثة قريباً»
- فاروق يرسل لصديقته خاتم ياقوت أحمر داخل

التطهير سريعاً سيبدأ، والسكاكين الطويلة ستظهر، والأجانب يهربون، والمدنية الغربية التى عاصرت سلالة محمد على ستتقوض وتنهار، سيذهب السحر والجمال، وسينفد المال وستتدهور القاهرة إلى حد لا يمكن تصوره. إلى مدينة من العصور القديمة، بعد أن كانت مثل مدينتى لندن وباريس.

والأكثر من ذلك، سيطغى صوت النداء من موسكو على صوت المؤذن من فوق مآذن مصر.

كانت مصر ناضجة وجاهزة للثورة، لكن كان من الصعب على الديمقراطى ترومان ووزير خارجيته تشيسون، ومن بعدهما أيزنهاور ودالاس، أن يقبلوا بالثورة وهى على هذا النحو.

كان ايزنهاور رجل حرب، وكذلك كان نجيب وناصر والسادات، لكن أوجه الشبه اختلفت، وكذلك الأهداف والقيم.. كانت الأوقات القاسية التى تمر بها مصر لا ترحم، وكان ناصر الضوء المرشد الهادى من خلف الانقلاب أكثر الرجال قسوة.

وبالرغم من كل تجاوزاته وطيشه وعبثه، فإن الملك فاروق بوزنه البالغ ٢٥٠ رطلاً، أعطى للعالم العربى الهش إحساساً بالجاذبية الأرضية.. وبذهابه ذهب مركز الثقل وحفظ التوازن.

حفلت كتب التاريخ بعدد كبير من الطغاة أمثال نيرون، وكاليجولا، وفلاد، وغيرهم. ولكن قليلين فى التاريخ المعاصر تعرضوا لمثل ما تعرض له الملك فاروق من حملات تشويه شنتها صحف التابلويد التى تناولت حياته فى تحقيقات موسعة جعلت العالم كله يرفع حاجبيه من الدهشة.

وصفت صحف التابلويد فاروق بأنه زير نساء، قاسى القلب ومقامر، ومبذر، وحليف النادى، وقالت عنه إنه مصاب بداء وهوس السرقة، وسواء

كانت امرأة جميلة أو قطعة فنية نادرة لا تقدر بمال، ففاروق كان يحصل على ما يريده دائماً.

قالت عنه صحف التابلويد أيضاً، إنه إذا كانت هناك سبع خطايا مميتة، فإن فاروق يمكنه ارتكاب الخطيئة الثامنة الإضافية، وإن كان محل كراهية فرقة القوات البريطانية الخاصة «أم ـ ١٥» ووكالة الاستخبارات الأمريكية «آى سى إيه».

عكست صفحات مجلة «لايف» القيم الأمريكية فى الخمسينيات لكنها قطعت على نفسها عهداً بأن توفر لفاروق مستنقع رذيلة يبعث على الاشمئزاز.. وبعد انقلاب الضباط الأحرار فى مصر وعزل فاروق، رحبت المجلة وزميلاتها بالانقلاب، باعتباره دعوة إلى الديمقراطية، وكتبت: «الملك فاروق غير المفتقد وغير المأسوف عليه فى لباس البحر بإيطاليا.. بينما المصريون يعملون فى همة لكى ينسوه تماماً».

كيف يمكن لفاروق أن يخسر كل شىء؟

لقد ولد فى عام ١٩٢٠، وفى ١٩٣٦ توج ملكاً على مصر، وفى ١٩٥٢ اجبر على التنازل عن العرش، وفى ١٩٦٥ مات، حياة سريعة كلها مفاجآت، إن موجز تاريخه يعد من أكثر تواريخ القادة إثارة للفضول فى القرن العشرين، فهو يجمع بين طرفى النقيض، وكذا الشخصيات التى وردت فى قصة حياة الملك فاروق الزاخرة بالشخصيات والأحداث، هناك أيضاً خليلاته وعشيقاته اللاتى وقعن فى بقعة الضوء الأكثر لفتاً للأنظار.

هذه إرما كابيس مينوتولو، صديقة فاروق، ومغنية الأوبرا فى فيلم «توسكانينى الشاب» للمخرج فرانكو زيفيريللى فى عام ١٩٨٨. تحدثت عنها صحف الخمسينيات وقالت عنها إنها ابنة سائق تاكسى وملكة جمال نابولى عام ١٩٥٣، وانها تجمع بين معبودة الشعوب فى تلك الفترة صوفيا لورين وانيتا أكبرج، تجمع بين النار والثلج. كانت ارما شقراء غجرية بعينين واسعتين وشفتين ممتلئتين. رشيقة القوام، شعرها ضارب إلى الحمرة، وعيناها بلون العلم المصرى الأخضر.

كانت شديدة الزهو بحصولها على جائزة مغنية الأوبرا العالمية ماريا كالاس، وكانت أكثر زهواً بعلاقتها بالملك فاروق.

أحبت ارما فاروق، والحياة التى عاشاها معاً، لكن قبل أن تتحدث ارما عن علاقتها العاطفية بالملك، أصرت على أن تكشف عن جذورها الملكية هى أيضاً. وطبقاً لأقوال ارما فإن عائلتها هى إحدى عائلتين كبيرتين فى نابولى، ويرجع تاريخها إلى عام ١١٠٠ ميلادية، وقد قدمت لإيطاليا ١٥ كاردينالاً وأحد البابوات.

فى زهو كشفت ارما عن شجرة عائلتها، وأوضحت أن والدها بعد الحرب العالمية الثانية لم يجد نفسه خلف عجلة قيادة سيارة تاكسى كما أشارت الصحف، وإنما فى متجر بنابولى، وان والدتها كانت مغنية أوبرا متواضعة توقفت عن الغناء الأوبرالى لتتزوج وترعى ارما وشقيقها الذى عمل فيما بعد بسفارة الولايات المتحدة الأمريكية فى روما.

ربما تكون والدة ارما هى التى شجعتها بشكل غير مباشر على علاقتها بالملك فاروق، عندما كانت تحضر ابنتها ذات السادسة عشرة من عمرها إلى كازينو ديل مير ونادى شاطىء كابرى المملوك لنجم موسيقى بريطانى جريس فيلدز، وهما المكانان اللذان كان الملك فاروق يتردد عليهما.

كانت ارما قد التقت الملك فاروق قبل ذلك بعدة سنوات عندما اختيرت من قبل أعضاء فى نادى روينج من نابولى كفتاة زهور النادى، لكى تقدم باقة زهور إلى الملك المصرى، الذى كان يحكم مصر فى ذلك الوقت.

وقعت عينا فاروق، الملك المنفى، على الفتاة الشقراء الجميلة فى لباس البحر، وهى تستحم فى حمام سباحة الكازينو، وعند خروجها من الماء، تلاقت نظرات ارما وفاروق، الذى كان جالساً فى استرخاء على أريكة مرتدياً عباءة قطنية بيضاء مزينة بشعار التاج الملكى المصرى، ويتبادل اطراف الحديث مع المحامين المهمين فى نابولى. نهض فاروق وسار فى اتجاه ارما.. ازال النظارة الشمسية القاتمة عن عينيه، وتقدم منها ولمس بيده خصلة من شعرها الأشقر وأطرى جمالها. وعندما عاد ثانية إلى اريكته ذكره المحامى بأنها هى نفسها الفتاة التى قدمت إليه الزهور فى نادى روينج منذ سنوات.

وفى اليوم التالى كرر فاروق اطراءه لجمال ارما، وبعث إليها فى الفندق الذى تقيم فيه مع والدتها بباقة زهور تحوى مائة وخمسين زهرة. قالت ارما إن فاروق سحرها منذ اللحظة الأولى بعينيه الزرقاوين المخضرتين اللتين

تشبهان عينى «أبو الهول»، وبالرغم من أن فاروق كان فى الثانية والثلاثين من عمره إلا أنه فى رأى ارما كان يبدو عليه أكبر وأكثر عظمة من سنوات عمره، فى الليلة التالية كان مهرجان اختيار ملكة جمال كابرى، وبالرغم من أن أرما كانت من مدينة نابولى ولا يحق لها الاشتراك فى المسابقة إلا أن وصيفتها هى ووالدتها التى كانت ضمن أعضاء هيئة التحكيم، رأتا أنه من الممكن دخول ارما المسابقة والانضمام إلى المتسابقات اللاتى بلغ عددهن عشرين متسابقة، وفازت ارما بلقب ملكة جمال كابرى، وكان فاروق جالساً فى الصف الأول.

بالرغم من أن ارما ووالدتها كان من المفروض أن تمكثا فى كابرى حتى نهاية الشهر، إلا أن وصول باقة زهور فاروق جعل الأم تحزم أمتعتها لتعود إلى نابولى وذلك لأن فاروق بالإضافة إلى كونه زير نساء، كما هو معروف عنه، فهو أيضاً رجل متزوج.

كان الملك قد عزل من عرشه منذ وقت قصير، الأمر الذى حدا به إلى التصرف بطريقة غير ملكية.. عرف عنوان ارما فى نابولى، وبدأ يرسل إليها يومياً باقات زهور، لكن والدتها كانت تتخلص من الزهور على الفور.

بعد ذلك بدأ فاروق اتصالاته التليفونية، ولم يستطع التحدث إلى ارما لأنه كان غير مسموح لها بالرد على مكالماته.

وفى يوم من الأيام، ذهبت والدة ارما لشأن ما فى حديقة المنزل، ودق جرس التليفون، والتقطت ارما السماعة، وكان الملك على الطرف الآخر، اراد فاروق أن يعرف رأى ارما فى باقات الزهور، لكن ارما اجابت بأنها لا تعلم عنها شيئاً، وأدرك فاروق على الفور ما كان يحدث، وفى إيطالية سليمة، وفى صوت عاطفى دافىء، اخبرها بأنه يحبها وانها شعاع الضوء الوحيد الذى ينير ليل منفاه الطويل، وانه يريد أن تكون ملكته الثالثة، فكيف يمكن لابنة السادسة عشرة أن تقاوم؟ اختفى فاروق، والزهور توقفت، وكف جهاز التليفون عن الرنين، وفى شهر سبتمبر، عادت ارما إلى مدرستها والشعور بالحزن والاكتئاب يلازمها. لقد تحطم قلب فتاة المدرسة الصغيرة، والأم جعلتها تشعر بالخزى، فلم تجرؤ ارما على أن تخبر واحدة من صديقاتها بقصة قلبها المحطم.

بعد مرور ما يقرب من الشهر، واثناء خروج ارما من مدرستها، تلفتت يميناً ويساراً لتبحث عن سائق العائلة الذى اعتاد انتظارها فى سيارته ليعود بها إلى المنزل، فلم تجد داخل السيارة الفاروميو.. وفى طريق عودتها سيراً على الاقدام من المدرسة إلى المنزل لفتت انظارها سيارة رولز رويس خضراء زمردية تتألق فى ضوء الشمس، بعدها تقدم منها رجل فى حلة سوداء ليبلغها انه سكرتير الملك فاروق وطلب منها ان تصحبه.

تبعت ارما السكرتير صوب السيارة الرولزرويس التى كان يرفرف على هوائيها علم مصر الاخضر وفى وسطه هلال، اما شعار التاج الملكى فكان مرسوماً على باب السيارة، كان الملك فاروق جالساً منتظراً فى المقعد الخلفى ينظر إلى ثوب المدرسة التى ترتديه ارما، ازال الملك نظارته القاتمة، حدق فى ارما بعينيه المغناطيسيتين اللتين تشبهان عينى «ابو الهول».. كانت ترتعش، فهى لم يسبق لها ان قبلت صبياً صغيراً، فماذا هى فاعلة مع ملك؟ بسط فاروق ذراعه ومس بيده خصلة من شعرها مساً رقيقاً، ذلك الشعر الاشقر الضارب إلى الحمرة الذى كان يحبه.

لكن ارما عبرت عن قلقها على سائقها، فطمأنها فاروق بأنه فى امان وسيعود بها إلى المنزل بعد ١٥ دقيقة.

اكد فاروق لها كم هى مهمة له، وكيف انه هام بها حباً.

فى صوت مرتعش ذكرت ارما بعض ما قالته امها عن سوء سمعته وعن آلاف النساء اللاتى يعرفهن، ضحك فاروق ضحكة جعلتها تشعر بشىء من الاطمئنان والراحة، وقال لها «ستكونين ملكتى الثالثة».. ومس شعرها بخفة مرة ثانية.

انهمرت الدموع من عينى ارما، واندفعت خارجة من السيارة الرولزرويس، فوجدت سيارة الاسرة والسائق بداخلها ينتظرها.. واثناء عودتها إلى المنزل عقدت ارما صفقة مع السائق: «اذا انت لم تقل شيئاً، فلن اقول انا شيئاً».

وهز السائق رأسه موافقاً.

أسبوعان آخران مرا دون اتصال من اى نوع من ناحية فاروق حيث كان

يقطن مع عائلته فى ضاحية خارج روما تسمى جروتا فيراتا إلى جوار القصر الصيفى للبابا بالقرب من قلعة غاندولفو.

وفجأة تقدم حارس المدرسة من ارما ليخبرها ان هناك من يريد محادثتها فى التليفون، وكان فاروق على الطرف الاخر، واخبرها أنها ستتلقى منه فى اليوم التالى باقة زهور من بينها زهرة واحدة صناعية، وطلب منها ان تفحصها بدقة لتعثر على شىء ما مخبأ بها، وبعد ذلك تحادثه تليفونياً. فى اليوم التالى، وصلت باقة زهور ضخمة إلى حجرة حارس المدرسة.. تفحصت ارما الزهور بدقة، وفى النهاية تعرفت على الزهرة الصناعية.. وعندما فتحت اوراق الزهرة، حبست انفاسها، فقد كان بداخلها خاتم من الياقوت الاحمر الداكن المطعم بالماس، الشىء الذى لم يكن حارس المدرسة الفقير قد شاهد مثله من قبل كانت يدا ارما ترتعشان وهى تمسك بسماعة التليفون وتدير القرص طالبة الرقم الخاص بفاروق، وبعد ان تحدث اليها ثلاثة موظفين لديه، أجابها فاروق، واخبرته انه لم يكن هناك ما يدعو لان يقدم اليها هديته الثمينة تلك، فضحك فاروق وسألت ارما: «لكن لماذا أنا»؟

أجابها: لأنك مختلفة وطفلة ونقية، لأننى احبك كثيراً.

وسألها ان تفكر فيه لمدة ساعة واحدة كل يوم، ووعد أن يراها عند عودته إلى نابولى فى غضون اسبوعين.

لكن ارما نكثت بعهدها الذى قطعته على نفسها امام فاروق، فقد شغل تفكيرها طوال ٢٤ ساعة فى اليوم وليس ساعة واحدة.. بدأت ارما تقرأ كل ما كتب عن فاروق، الملك المنفى الشهير، فى صحف التابلويد، وفى الصحف اليومية الاخرى، وعن افعاله الطائشة فى النوادى الليلية مع الشقراوات السويديات، وعن قصصه مع الهولنديات ذوات الشعر الاحمر، مما جعلها تشعر باليأس والاحباط، اضافة إلى وجود زوجة فى حياة فاروق.

أثارت قصة زواج فاروق من ناريمان خيال ارما الخصب، وجعلتها تعيش الامل فى ان يكون فاروق لها، تماماً مثل ناريمان التى جاءت من صفوف الشعب فى مصر وتزوجت من الملك، وكانت شقراء مثل ارما وفى السادسة

عشرة ايضاً.. كذلك الهب خيال ارما ما نشرته الصحف حول حفل زواجه الملكى الذى كان اشبه بحكايات ألف ليلة وليلة العربية، وحول شهور عسله الاربعة التى جالوا فيها كل اوروبا، وكانت اطول شهر عسل واكثر بذخاً فى التاريخ.

وقرأت ارما عن المجوهرات التى لا تقدر بثمن واللوحات الفنية التى لا تقدر بمال، التى اهداها فاروق لناريمان فى اطار انفاقه عليها ببذخ وسخاء، وقرأت عن الفنادق الفخمة التى اقاما فيها من دانييللى فى فينسيا، إلى كارلتون فى كان، إلى مونسييه الملكى فى باريس، وعن الحفلات التى اقيمت فى شهر العسل على متن اليخت الملكى وقالت ارما لنفسها: الحياة مع الملك فاروق تجوال وترحال دائم لا ينتهى فوق بساط سحرى.

وكانت شغوفة إلى حد بعيد لتعيش مثل هذه الحياة.. واذا كانت ناريمان قد حدث لها ذلك، فمن الممكن ان يحدث لها هى ايضاً، لان ناريمان فلاحة، وهى من عائلة كابيس مينوتولو.

ومع عودة فاروق إلى نابولى، عادت مغازلاته لارما.. غادرت ارما المدرسة مبكراً، واخذت قطاراً إلى الجهة البحرية فى بوسيليبو لتقابل الملك فى واحد من اعظم المطاعم البحرية هناك، واثناء تناول ارما المكرونة الاسباجتى كان فاروق يعبث بشعرها، ولا شىء اكثر من ذلك، وفى نهاية لقائهما قدم لها فاروق خطاباً، وطلب منها ان تقرأه بعد وصولها إلى منزلها.

كان وقع كلمات خطاب فاروق على ارما شديد الاثر، فقد سكب فاروق فيه مشاعر عاطفية عميقة، ووقع فى نهاية الخطاب باسم «فاروق الجديد» وقرأت ارما الخطاب مرات عديدة، وكان من صفحة واحدة.

فجأة تقطع اخبار فاروق تماماً وتساءلت هل: انتصرت عليها منافستها ناريمان؟

فى شهر مارس ١٩٥٣ كتبت الصحف عن ناريمان، وتركها لفاروق، وسفرها إلى سويسرا، وعن تصريحها بانها بصدد عودتها إلى القاهرة لكى تحصل على الطلاق من فاروق وعلى حق وصايتها لابنها فؤاد البالغ من العمر

١٤ شهراً، كما جاء فى الصحف ايضاً تصريح لفاروق يلوم فيه اللواء محمد نجيب الرجل الأول فى مصر، على تحطيم زواجه مستعيناً فى ذلك بأسيلة صادق والدة ناريمان، نظرت ارما طويلا إلى صور ناريمان المنشورة بالصحف، وهى مرتدية الفراء الأسود والنظارة السوداء بصحبة والدتها والكلب الاسود كثيف الشعر «جو» اثناء صعود سلم الطائرة المتجهة إلى جنيف، وشعرت ارما بانها بسبيل تحقيق الامل، لم تنتظر ارما طويلا، فخلال اسابيع من رحيل ناريمان إلى جنيف ثم إلى القاهرة، تلقت ارما من فاروق محادثة تليفونية عند حارس المدرسة يدعوها لتعيش معه فى جروتا فيراتا .



- ملك مصر ينتشل إرما الصغيرة من شوارع نابولى ويقدمها للمجتمع الأوروبى الأرستقراطى
- فقراء إيطاليا يودعون فاروق لمثواه الأخير والأغنياء يتعمدون الغياب
- هل عامل الملك «ارما» كصديقة وحبيبة أم مثل واحدة من بناته الثلاث؟

بعد أن دعا فاروق صغيرته إرما لتعيش معه، لم تستطع الأم أن تقاوم فانقادت لرغبات إرما، واختلقت الأعذار لوالدها كى تترك ابنتها البيت لتقيم مع الملك، ق تاركاً بين السطور غموضاً شديداً، وأسرارا لم يمط عنها اللثام بعد.

كان عرض فاروق على إرما للإقامة الدائمة معه يبدو نوعاً من الجنون، لكن الأم لاحظت توق ابنتها الشديد لتلبية ذلك العرض خاصة أن كل ما كان بينها وبين فاروق لا يتجاوز لمسات يده لشعرها الأشقر الجميل، وأخيرا أدركت الأم أنه ليس من المهم أن تتذكر كم من الكرادلة فى شجرة العائلة ما لم يكن هناك فارس على حصان أبيض يمكنه إعانة العائلة، ولذا اذعنت لرغبة ابنتها خاصة أنها علمت بأمر الخاتم الماسى والخطاب العاطفى.

راحت الأم تعد عذراً مناسباً يغطى فترة غياب إرما أمام والدها، ففكرت فى مدرسة لغات بروما تذهب إليها إرما لتحسين لغتها الفرنسية، لكن الأب لم يتحمس كثيراً لأهمية اللغة الفرنسية.

وكان على الأم أن تجد عذراً أخر يجد قبولاً لدى الأب، وبالفعل وجدته ووافق الأب على قضاء إرما لفترة الصيف فى دير شقيقات القلب المقدس، واستقلت إرما سيارة أجرة إلى محطة قطارات نابولى حيث كان ينتظرها هناك فاروق فى سيارته الرولزرويس التى أقلتهما إلى جروتا فيراتا.

عبرت السيارة الرولزرويس بوابة الفيللا التى كان يحرسها ثلاثة من الحراس المزودين ببنادق آلية، واستمرت السيارة فى سيرها إلى أن توقفت بحذاء ربوة مرتفعة عليها بناء فخم تحيطه الحدائق من كل جانب ويتكون من ٤٠ حجرة.

انكمشت إرما داخل السيارة واستشعرت خوفاً شديداً من فتح باب السيارة، بسبب ثلاثة كلاب ضخمة كانت تزمجر وهى تتحرك يميناً ويساراً. لكن ثلاثة عمالقة صلع الرءوس من الحرس الألبانى الخاص «جاكوب وعبدول وشاكر» استطاعوا السيطرة تماما على كلاب الحراسة.

أمسك أحد الحراس بحقيبة إرما الصغيرة التى تحتوى على أفضل ثلاثة أثواب لديها وأشياء أخرى قليلة، وقادها إلى داخل الفيللا، بالمدخل لوحات تصوير من عصر النهضة الأوروبية، وقطع نسيج مزينة برسوم وصور ترجع إلى العصور الوسيطة، ولا شىء هناك يدل على مصر، لا أبو الهول، ولا كنوز الملك توت عنخ آمون، ففاروق كان قد عزل بواسطة انقلاب مفاجىء وكان عليه فى خلال ساعات فقط مغادرة البلاد، وكان محظوظا لأنه هرب بحياته.

ها هو فاروق فى حلته الأنيقة بأعلى السلم الرخامى الضخم مع أفضل صديق، الكلبة الصغيرة الضالة «آنا» التى وجدها على ظهر اليخت المحروسة ساعة رحيله من الاسكندرية، وشعر انه وهى كل منهما روح ضالة مشردة ومعزولة من منصبها، وخلال أيام قليلة أصبحت آنا أفضل صديق لارما أيضا، وكان فاروق يطلق دعاباته حول أى من الاثنتين أشد غيرة عليه من الأخرى.

هبط فاروق سلالم الدرج وقبل يد إرما فى بطء، وقادها فى جولة تفقدية داخل الفيللا، وعرفها ببناته الثلاث ومربيتهن الفرنسية تابوريت وفؤاد الصغير ومربيته الانجليزية تشير ماسيد، ثم صحب إرما ليريها جناحها الخاص بالفيللا، كانت حجرة نوم إرما حديثة الطراز بديكوراتها والأعمال الفنية التى تزين حوائطها، لكن الشىء الذى أثر فيها تأثيراً بالغاً كان حمامها الرخامى الفسيح بحوض الاستحمام الكبير، شديد الشبه بحمام ريتاهيوارث فى أحد أفلامها التى شاهدتها إرما، وكان الحمام مثار حديث بينها وبين فاروق قبل فترة من قدومها إلى جروتا فيراتا، وكان ابتهاج إرما غير عادى عندما علمت فيما بعد أن فاروق كلف مهندساً بإعادة تصميم حمام إرما بنفس مواصفات حمام ريتا هيوارث لكى يفاجىء به إرما.

كانت فى الفيللا مربية ثالثة وهى امرأة المانية متقدمة فى العمر، كانت لفترة سابقة تعمل لدى العائلة الملكية البريطانية، خصصها فاروق لكى تدرب

إرما على قواعد التشريفات واداب السلوك.. ومثلما قام فاروق بإرسال ناريمان إلى روما لكى تتعلم آداب السلوك الاجتماعى، ها هو يقوم بعمل الشىء نفسه لإرما التى كانت تروح وتجىء ساعات فى قاعة بالفيللا مرتدية ثوباً فضفاضاً، وقد وضعت كتابا فوق رأسها، وكتابين تحت كل ذراع، حتى تتعلم الطريقة الصحيحة للسير، وتتدرب على كل ما تتطلبه حفلات الاستقبال الرسمية والمناسبات الاجتماعية المختلفة من قواعد وآداب.

استقدم فاروق لإرما أيضا معلمين للموسيقى والأدب، ومدرباً يدربها على ركوب الخيل، وعدداً من مصممى الأزياء.. فهل كان هذا الإعداد يسبق تقديمها إلى بلاط اوروبا كثالث ملكة له؟ أو هل اقترب موعد ظهور إرما إلى جانب فاروق فى حفلات الاستقبال والمناسبات الرسمية؟

كانت هناك أعمال كثيرة تقوم بها إرما فى الفيللا طوال النهار، فماذا عن الليالى؟ لقد أكدت إرما أن فاروق كان شديد التهذيب، وعاملها مثلما كان يعامل واحدة من بناته، ولا شىء وقع بينهما خلال تلك الفترة الطويلة.

صحيح أنه كان هناك مكان على مائدة فاروق لأكثر من امرأة جميلة، لكنه لم يدع إرما تشعر أبداً بأنها مهملة.

كان فاروق كثير التردد على الأندية الليلية فى فيافينيتو، جيكى،وبيجال، وبريكتوب والأخير كان يفضله فاروق، وفى ليلة من الليالى فقدت إرما فى حمام الـ«بريكتوب» خاتمها الثمين هدية فاروق الأمر الذى سبب لها انزعاجاً شديداً، لكن لم يمر وقت طويل حتى أعاد أحد الجارسونات الخاتم، وكافأه فاروق بمائة دولار أمريكى.

عند الفجر، يعود فاروق وحاشيته إلى الفيللا فى جروتافيراتا، ويقوم بمرافقة إرما إلى جناحها، وهناك يقبل يدها متمنياً لها ليلة سعيدة، ولا يراها ثانية إلا فى الساعة التاسعة من مساء اليوم التالى استعداداً لقضاء ليلة أخرى فى المدينة الساهرة.

وفى الوقت الذى كانت فيه إرما تكتب إلى والدها ووالدتها حكايات مختلفة حول الحياة فى الدير، كانت صورها على غلاف كل صحيفة من صحف الفضائح الإيطالية الشىء الذى سبب صدمة شديدة لوالدها جعلته يلازم الفراش، وهنا قرر فاروق التحدث إلى والد إرما فى نابولى، لكن الأب

كان ساخطاً وناقماً على فاروق فلم يجر بينه وبين الملك أى حديث، ولم تعد إرما تجد ترحيباً فى منزل والدها الذى استمر فى مقاطعته لها لا يريد رؤيتها ودام هذا الحال أكثر من ثلاث سنوات.

فى عام ١٩٥٤ استأجر فاروق فيللا كبيرة أخرى خارج لوزان فى سويسرا ليعيش فيها أطفاله الذين ألحقهم بمدارس هناك ثم اصطحب إرما فى جولة بأوروبا استغرقت عاماً ونصف العام ذهبا فيها إلى باريس وجنيف للشراء وإلى مونت كارلو وبياريتز للمقامرة، ومكثا معاً وقتا فى يخت أوناسيس، وفى قصر الأمير رينيه، وكان سفرهما فى قافلة مكونة من سيارة رولزرويس، وكارافان وسيارتين مرسيدس، وباص لحمل الحقائب. كلها مدهونة باللون الأخضر المصرى وكان بصحبتهما، الالبانيون الثلاثة، وحراس إيطاليون والمربيات، وسكرتيران شخصيان.

عند عودة فاروق وإرما إلى روما فى عام ١٩٥٦ استأجر فاروق طابقا فى بناية ضخمة فى نابولى، واستأجر شقة أخرى لارما فى طابق آخر بنفس البناية.

بالرغم من الأوقات التى كانا فيها معاً، إلا أن إرما لم تشعر بأنها عرفت الكثير عن فاروق، فخلال سفرهما كانا يقيمان فى أجنحة مختلفة، وعند عودتهما إلى روما كانت تراه ليلة أو ليلتين فى الأسبوع يذهبان فيها إلى الأوبرا أو لحضور مناسبات رسمية وامتلأ وقت إرما بمدرسى الموسيقى الخصوصيين الذين كانوا يدربونها على الغناء الأوبرالى لكى تحقق حلمها بأن تصبح مغنية أوبرا شهيرة. كان فاروق لا يصطحب إرما معه إلى جلسات القمار، ولا يتحدث معها فى السياسة أو فى أمور تتعلق بأمواله وثرواته، ولم يسمح لها بزيارة عائلته فى سويسرا، ولم يشاركها أبداً فى حديث يدور حول أفكاره وخططه للمستقبل، فبراءة إرما وسذاجتها كانت الشىء الذى أحبه فاروق فيها وجعله يتعلق بها، وكانت إرما تخشى فاروق كثيراً إلى الدرجة التى كانت تمنع فيها نفسها من توجيه أىّ سؤال قد يبدو له فضولياً.

فى بعض الأحيان، كان فاروق يخبر إرما عن مصر العظيمة، وعن الأماكن الجميلة التى تركها هناك، وعن كنوز الفن والمجوهرات وقوافل السيارات، ورحلات الصيد فى الصحراء والحيوانات التى قام باصطيادها، وفى مرة من

هذه المرات التى كان يسترجع فيها فاروق بذاكرته صوراً ومشاهد من مصر وهو يقود سيارته، وإلى جانبه إرما على كورنيش الشاطىء من نابولى إلى سورنيتو توقف عن الكلام للحظات، ثم بدأ يبكى فى صوت خافت كان بكاء أقرب إلى التشنج.. بعد دقائق من الصمت تحدث فاروق إلى إرما قائلا: إن الكورنيش الإيطالى قد ذكره بكورنيش الاسكندرية الذى يحبه كثيراً.

لم يتحدث فاروق لارما عن شقيقاته أو عن أمه أو عن النساء الأخريات الكثيرات اللاتى تعرفهن ارما عن طريق قراءتها للصحف.

حاولت مرة أن تسأله عنهن، لكنه لم يبال بالسؤال، وأخبرها أن هناك أشياء لا يمكنها فهمها... لقد أرادها فاروق أن تظل طفلة، وقبلت أن تكون كذلك خاصة أنها مازالت قاصرا لم تبلغ سن الرشد بعد.

كثيرا ما كان فاروق وارما يذهبان للاستمتاع بالتزحلق على الجليد.. ولمشاهدة عروض سينمائية خاصة لنجوم يحبهم فاروق مثل جيرى لويس، أستر وليامز، جون واين، واستمعا معاً إلى فرانك سيناترا، وبن كروسبى، ولويس ارمسترونج.

وكان فاروق فى بعض الأحيان يعزف على البيانو وارما تغنى.. وكان فاروق يتحدث معها عن كراهيته لفرقة البيتلز البريطانية، وعن عدم حبه لمربيته الانجليزية الصارمة، لكنه لم يحدثها عن ذلك السفير البريطانى المتعجرف لامبسون الذى حمل له فاروق بغضاً شديداً.

وعلى الرغم من كل النساء الأخريات فإن إرما كانت شديدة الاقتناع بأن فاروق أحبها هى دونهن جميعاً.. كانت إرما تأخذ الرولزرويس وبصحبتها مربيتها لتنطلق بها فى تهور إلى شاطىء أنزيو ولما علم فاروق بذلك استطاع تجنيد نصف رجال الشرطة الإيطالية لحمايتها من أى خطر.. وتحدثت إرما أيضا عن الحارس الإيطالى الوسيم الذى تبادل ابتسامة معها، فلم يظهر له أثر بعد ذلك.

كان فاروق يريد من إرما أن تظل طفلة وبريئة، وكان يريدها أن تظل موجودة هناك وبصفة دائمة حتى لو لم يكن موجوداً. كان فاروق أكثر غيرة عليها من غيرة عطيل على ديدمونة.

لكن ماذا عن نزواته؟.. ماذا عن كم الصور والافلام التى كانت فى حوزته؟

وماذا عن الشائعات والابتسامات الخبيثة والضحكات المكتومة عندما ينتقل الحديث إلى محاولات التشكيك فى فحولة الملك؟ هل كل ما أثير عن فاروق وغزواته وفتوحاته النسائية مجرد عمل من أعمال الخداع؟

وجهت سؤالا إلى إرما قلت فيه أى نوع من العشاق كان فاروق؟! فأحمر وجهها خجلاً وتهربت من الاجابة عن السؤال.. ربما كانت إرما مجرد طفلة يشاركها فاروق لعبة الاستغماية، وركوب الدراجات البخارية، والتزحلق على الجليد! لكنها فى النهاية تظل خليلته الرسمية!

لم تر إرما أبداً مجموعة الملك من المجلات والأفلام الاباحية، لكنها كانت على علم بحقيبة كتب كبيرة مغلقة لم تستطع أبداً التعرف على مكان مفتاحها.

هل قصة فاروق وإرما لا تخرج عن كونها قصة بيجماليون الشهيرة؟.. قصة ملك من مصر انتشل مراهقة صغيرة من شوارع نابولى ليقدمها إلى الحياة اللاهية فى بلاط اوروبا وإلى مسرح لاسكالا؟

فى ابريل ١٩٦٣ عادت إرما إلى مدينتها نابولى لتغنى فى إحدى الحفلات الغنائية. كان هناك تاج مرصع بالماس فوق شعرها الأشقر، وعقد من الزمرد الأخضر يزين جيدها المرمرى العارى وسواران من العقيق الأحمر الداكن يلتفان حول ساعديها.

غنت إرما لكل من فردى وبوتشينى أمام جمهور كبير بينهم أفراد عائلتها التى غفرت لها، وأمام فاروق الجالس فى الصف الأول وهو يقود صيحات الاعجاب بصوتها والدموع تملأ عينيه.

وبعد أن انتهت إرما من الغناء اندفع فاروق إلى خشبة المسرح ومعه أكليل من الزهور طوق به عنق السيدة الجميلة ارما، التى كانت عيناها أيضا ممتلئتين بالدموع فرحة بفاروق وبجائزة ماريا كالاس.

ملأت الدموع عينى إرما وهى تشاهد شريط فيديو لفيلم وثائقى عن الملك فاروق، كان قد صوره الصحفى التليفزيونى فريدرك ميتران ابن شقيق الرئيس الفرنسى السابق فرانسوا ميتران واذيع على قناة التليفزيون الفرنسية انتينا.

كان الشريط عن موكب جنازة الملك فاروق فى شوارع روما.. فخلف عربة دفن الموتى السوداء التى تحمل التابوت من خشب الجوز الملفوف بالعلم المصرى الأخضر، يسير ابنه فؤاد «١٣ عاما آنذاك» وعلى يمينه بنات فاروق الثلاث وملكته الأولى فريدة، وإرما كلهن فى ثياب الحداد السوداء والوشاح الأسود يغطى الرأس.

هنا فقط فى موكب جنازته وبعد ١٣ عاماً شاهد العالم إرما باعتبارها الملكة الثالثة لفاروق.. أشارت إرما إلى الصورة الفيلمية لموكب الجنازة الذى يخلو من عائلة رينيه أو عائلة أوناسيس وغيرهما من العائلات الثرية التى كانت صديقة لفاروق، والذى لا يضم غير الناس الفقراء الذين كان فاروق طيباً وكريماً معهم مثل جارسون فى مقهى وسائق فى حانة، وساكنى المناطق الفقيرة فى روما ونابولى الذين كانوا يفرحون لمقدم فاروق لتوزيع النقود والطعام والثياب عليهم، اشارت إرما إلى رجل قعيد فوق كرسى متحرك كان يسير خلفها فى موكب الجنازة قائلة إن الملك فاروق أصر على أن يشترى لصاحبه هذا الكرسى وقدمه بنفسه حين علم باحتياجه له. هؤلاء هم الناس الذين تذكروا فاروق فى يوم رحيله عن الدنيا وهؤلاء هم أصدقاؤه.

ربما كانت ذكريات إرما عن فاروق بمنزلة زهرة على شاهد قبره.

وهذا كارلو ايميليو، المعروف باسم «محامى الملوك وملك المحامين» محامى فاروق وصديقه، رسم له صورة شبيهة للصورة التى رسمتها له أرما أيضاً.

كان فاروق كريماً مع الملك الإيطالى فيتوريو ايمانويل عندما نفى إلى مصر بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد أن أطيح بعرش فاروق أعلنت إيطاليا على الفور ترحيبها بقدوم الملك فاروق للإقامة على أرضها وفى اليوم الذى رست فيه اليخت المحروسة فى ميناء نابولى أجرى فاروق اتصالات تليفونية بصديقه ايميليو مستشار الحكومة الإيطالية الذى سبق وقابله لأول مرة فى جنازة فيتوريو ايمانويل فى مصر عام ١٩٤٧ والتقى فاروق بايميليو فى نابولى، ومنذ ذلك الوقت لم يفرق بينهما غير موت فاروق.

روى ايميليو كيف أن فاروق كان يشاهد النسخة الإيطالية للعرض

التليفزيونى الأمريكى «الاثنان أو لا شيء» وعندما اقدمت متسابقة على مخاطرة كبيرة وخسرت المسابقة وبكت بكاء مراً على الهواء وتبين أن المتسابقة خاطرت بحياتها لدخول المسابقة من أجل الفوز بالمكافأة المالية التى تمكنها من إجراء عملية جراحية عاجلة لوالدتها.. على الفور قام فاروق بالتحدث إلى محطة التليفزيون ليبلغهم بتبرعه بقيمة المكافأة وهى ثلاثة آلاف دولار أمريكى.

المقاهى والكازينوهات والأندية الليلية التى كان يرتادها فاروق مازالت تستقبل زائريها.. فاروق مات، لكن كل رواد تلك المقاهى والأندية يتذكرون «جيم الكبير» الذى كانوا يحبونه ويجلسون إلى طاولته يشربون على حسابه الشامبانيا وهو يشرب معهم عصير البرتقال بالصودا.

حتى عندما كان على وشك أن تنفد أمواله لم يستسلم فاروق ويذعن للنوم، بل كان يخرج مع الفتيات ويذهب بهن إلى بارات محطات السكك الحديدية، ويظل فيها طوال الليل، يراقب القطارات التى تذهب وتجيء تحمل بائعى الالبان وبائعات الهوى.. وكان فاروق يحفظ جدول مواعيد القطارات عن ظهر قلب.

صديق قديم آخر لفاروق فيليبو موروني.. كان فى عيادته الخاصة للأسنان منذ ثلاثين عاما، عندما سمع فتاة صغيرة تتألم من مشكلة فى ضرس العقل، ولما علم أنها ابنة فاروق، قام بتهدئتها وعاملها بلطف، وعند وصول الأب، وجد ابنته سعيدة ومبتسمة والجميع سعداء بها ومنذ تلك اللحظة أصبح فاروق وموروني صديقين.. قال موروني: كان فاروق يكره المظاهر الخداعة للمجتمع الراقى، ولم يكن يحبها فى أى يوم من الأيام رغم انغماسه فيها.

وهذا هو جوسيبى بيتوتشى الجواهرجى الذى اعتاد فاروق أن يشترى منه على الأقل مرتين فى الشهر قطعاً ذهبية من نوع ١٨ قيراطاً لحبيباته الجديدات.

وكارلو بالتزى ترزى قمصان النجوم والمشاهير زاره فاروق فى متجره الأنيق بأسقفه المزينة برسوم من عصر النهضة الأوروبية، وهو المتجر الذى زاره دوق وندسور، تشارلى شابلن، كلارك جيبل، مارلون براندوا.



● علاقات فاروق النسائية متعددة الجنسيات لكن أخطرهن كانت أرين جونك

● الإيطالية اختفت بعد موته والأمريكية تركت زوجها من أجله واليهودية أجبرته علي حلاقة لحيته وقطع علاقته بهتلر

● العلاقات تفتر بين الملك وفريدة فيقرر أن تكون النساء شغله الشاغل

بعد ارما كابيس وقصتها اللغز.. تتوالي علاقات الملك فاروق مع ليللو بيرزاني ، وماريا غاتي ، والامريكية هاني شيلي ثم اليهودية ارين التي لعبت دورا سياسيا خطيرا ليس علي صعيد قلب الملك ، بل علي مستوي مصر كلها.

كان ليللو بيرزاني ، وهو صحفي من رومانيا ، أحد اصدقاء الملك ، وقد صاحبه في رحلة الي شمال ايطاليا في اواخر الخمسينيات بغرض البحث عن عمل لفاروق في مجال العلاقات العامة لأي شركة كبيرة.

تحدث بيرزاني عن الشعور بالاكتئاب الذي اصاب فاروق بعد رفض طلبه من اكثر من شركة ، وعن عصبيته بعد ان خاب مسعاه في البحث عن وظيفة.

كان بحث فاروق عن عمل يعد بحثاً منافياً للعقل ولا يمكن تصوره من شخص لم يكن لديه اية فكرة عما يعنيه العمل ، وبذلك كان فاروق - علي وجه التقريب - اول ملك في العالم يبحث عن وظيفة.

بعد ذلك اصطحب بيرزاني فاروق الي حفل زفاف ملكي لاحد افراد اسرة الملك السابق لبلغاريا سيمون، لم يكن ذهاب فاروق للحفل بغرض ادخال البهجة والسرور الي نفسه ، فقد كان في حالة يمقت فيها مثل تلك الحفلات.

كان فاروق يريد تقديم ابنته فوزية للمجتمع الراقي ، ويتذكر بيرزاني ويقول :

توترت اعصاب فاروق عندما شعر ان ابنته لم تتلق الترحيب اللائق بها من افراد الاسرة المالكة ، فانسحب في هدوء الي ركن بعيد في القاعة المحتفلة ، وبدأ ينزع عن حلته النياشين الدالة علي الملكية وفي هدوء ايضاً انخرط في بكاء.

وهذه ماريا جاتي ، شقراء في الثانية والعشرين من عمرها ، التقطها فاروق وهو في سيارته الفيات البيضاء ٢٣٠٠ من شقتها في حى فيا وستيس الفقير المجاور لاحد اسواق روما العامة..

بعدها اصطحبها بالسيارة صوب مطعم علي الطريق خارج فيا اوديليا انتيسا يسمي مطعم فرنسا بغرض تناول العشاء معها ، وكان الوقت بعد منتصف الليل.

التهم فاروق كمية كبيرة من المحار والاستاكوزا، وشرائح من لحم الضأن المشوي ، مع طبق صلصة حريفة ، وبطاطس ، وبرتقالتين ، وزجاجتين كبيرتين من مياه فوجي ، وزجاجة كوكاكولا.

وبعد ان انتهي فاروق من تناول العشاء اشعل سيجاراً من نوع هافانا ، واخذ نفساً طويلاً ، بعده لم يستطع أن يلفظ ذلك النفس الاخير.

في البداية ، اعتقد موظفو المطعم ان فاروق كان يهزل وأنه لم يكن جاداً ، لكن بعد ان انهار جسده الضخم علي المائدة ، قاموا باستدعاء سيارة اسعاف الصليب الاحمر ، التي نقلت الملك الي مستشفي سان كاميللو.

في المستشفي اعلن عن وفاة الملك فاروق في الساعة الثانية وثماني دقائق من صباح يوم الثاني من مارس ١٩٦٥.. كان في حوزته اثناء وفاته ٢٠٠٠ دولار امريكى ، ومجموعة اوراق مالية قيمتها عشرة الاف ليرة ايطالية ، وصندوق مذهب يحوي كبسولات دواء لضغط الدم المرتفع ، ومسدس ٥٣و٦ بيريتا داخل جراب من الجلد.

كان الملك فاروق اعتاد في الفترة الاخيرة من حياته الخروج بصحبة آنا ماريا جاتي ، وبذلك تكون عرفته جيداً ، لكن آنا اختفت حتى أمها التى كانت تدير صالونين من صالونات التجميل اختفت ايضاً بعد موت فاروق مباشرة.

لم يجر تشريح جثة فاروق لمعرفة سبب الوفاة ، ولم يطلب أحد مثل ذلك الطلب ، فطبيب فاروق الخاص د.لديجي دوناتي قال ان الملك كان تجاوز وزنه ثلاثمائة رطل ، وله تاريخ مع مرض ضغط الدم المرتفع ، وأرجع سبب الوفاة الي حدوث نزيف في المخ.. لماذا كان يحمل مسدساً ؟

ويجب الصديق كارلو ايميليو «لان الشئ الوحيد الذي كان يخشاه فاروق هو الاغتيال ». لكن بعد ثلاثة عشر عاماً من تنازله عن العرش ، من يريد قتله ؟.. هز ايميليو محامي الملوك الشهير كتفيه بغير اكتراث !!

واتفقت صديقة الملك ارما كابيس مينوتولو مع ايميليو في الرأي ، إلا أنها اضافت انه كان يشكو من ارتفاع في ضغط الدم. اما سيجنود زوتتش ، احد افراد الجالية الايطالية في مصر ، فقد اكد ان فاروق لقي مصرعه بوضع جرعات من السم علي فترات حتي الموت بواسطة خادمة مصرية عملت لديه عن طريق رجال المخابرات المصرية. واتفق عدد من المصرين من كبار السن مع نظرية زوتتش .

لماذا اذن يريد ناصر اغتيال فاروق ؟ .. هل يخاف ناصر من الاطاحة به وعودة فاروق؟ .. انها مجرد تكهنات من صنع عقول كسولة عاطلة عن العمل ، وخيالات خصبة ربما لا يسعدها كثيراً سبب موت فاروق الذي اكده طبيبه الخاص، وهو الافراط والانغماس في ملذات الطعام والسهر والنساء ، مع ارتفاع مفاجئ في ضغط الدم .

التقي فاروق بالأمريكية هاني شيلى في نادي القاهرة وطبقا لأقوال هانى فإن فاروق قد هام بها حباً منذ النظرة الأولى ، واحبته هي ايضاً لصوته الذي كان ينساب رقة ولمرحه وفكاهته ، علي عكس وصف الصحافة الصفراء له ، اما فاروق فقد اصطحب هاني معه الي كل مكان في مصر ، وبعد سفر زوجها الي الهند انتقلت الي قصر عابدين.

عرض فاروق علي هاني قصراً يطل علي الاهرامات لتقيم فيه، وقالت هاني وهي تتذكر ذلك «كان من الممكن ان اكون ملكة ، لكنني كنت قانعة بكوني برنسيسة » وهذه الكلمات من هاني تؤكد انها لم ترغب في ان تكون خليلة رسمية للملك خاصة ان فاروق كان قد قرر الزواج من ناريمان التي ستعطيه الابن الذي يريده اكثر من اي شئ في الدنيا.

غادرت هاني شيلي مصر ، لكنها كانت علي اتصال دائم بفاروق وهو في المنفي.. وقد أقامت حفلة فاخرة علي شرف فاروق في باريس ، لكن فاروق غادر الحفل لان امرأة مصرية جلست الي جواره اعتقد انها جاسوسة عبد الناصر ،

وتذكرت هاني ملاحظة صديقها اغاخان حين قال «امريكا ستبكي بالدموع لانها تخلصت من فاروق من اجل ناصر » .

أيدت هاني الاقوال التي اشارت الي ان ناصر ، وليس إطلاق فاروق العنان لشهواته ورغباته ، كان السبب في موته في مطعم فرنسا الايطالي ، وفي اعتقادها ان آنا ماريا جاتي هي التي وضعت السم له في الطعام.

كانت شيلي تتهرب من الحديث عن التفاصيل الدقيقة في علاقتها الحسية بفاروق وتحاول الانتقال بالحديث الي صديقها اميلدا ماركوس ، وجورج هاملتون ، لكنها في النهاية عندما ووجهت بالسؤال شديد الحرج يتعلق بالملك فاروق ، قالت وهي تغمز باحدي عينيها «انا احتفظ بهذا لمذكراتي ».

في حفل عشاء فاخر في واحدة من الشقق الفحمة في افينيو مارسو في باريس كان المضيف الشيخ خليل الخوري وهو ابن الرئيس اللبناني السابق وقت ان كان فاروق ملكاً علي مصر ، كان الخوري ممتلئ الجسم وفي نفس عمر فاروق تقريباً ، وبشكل أو بآخر ، يمكن ان يقال عنه انه «فاروقي ».. لانه كان يتمتع بحس عال بالفكاهة والمرح ، وله نظرة متميزة في تقديره للجمال والجميلات.

بينما كان جرسونات عرب يروحون ويجيئون ملبين رغبات ضيوف حفل العشاء ، روي الشيخ خليل الخوري عن والده الذي أرسله الي مصر لكي يزور فاروق في اوائل الثلاثينات ، قصة مرافقته لفاروق في واحدة من الطائرات المقاتلة في مغامرة لمشاهدة ابو الهول من اعلي.

عندما اتجه مسار الحديث حول النساء الجميلات وسط خيوط الدخان التي كانت تتصاعد من سيجار الهافانا الفاخر ، تذكر خليل خوري خليلة لفاروق لم يرها منذ سنوات «ارين جونل» اجمل فتاة في مصر ، يهودية اسكندرانية.

وبدأ المؤلف في الحديث عن اليهورية ارين جونل ، وقال هي نفسها التي وصفها الامريكى جور فيدال بأنها اجمل خليلات فاروق ، وهي ايضاً التي

حظيت باطراء من دافيد سلافيت استاذ الادب بجامعة ييل في الولايات المتحدة الامريكية ، الذي كتب في السبعينيات رواية «مقتل الملك »، وكان الملك فاروق هو الشخصية المحورية فيها ، والمصدر الاساسي الذي استقي منه معلوماته ، كانت ارين جونل تعيش في ذلك الوقت في بارك افينيو في نيويورك ، قبل انتقالها لتستقر في باريس.

كانت ارين جونل ، في شقتها الصغيرة في باريس تبدو شقراء ، انيقة ترتدي ثوباً من بيت الازياء شانيل في السبعين من عمرها ، تزوجت خمس مرات ، من مصري ، ثم من ثلاثة رجال انجليز ، وثلاثة من أزواجها الخمسة كانوا اثرياء ، آخرهم جونيل الذي كان اغني رجل في البرازيل ، وعندما مات فجأة ، استخدمت عائلته نفوذها وحرمت ارين من اموال زوجها الراحل ، بعد ذلك عملت ارين كمصممة ديكور في روما مستشارة تجميل في باريس.

عاشت ارين في قصر عابدين ، وفي ساتون بالاس بانجلترا ، وفي بارك افينيو في نيويورك ، ثم وهي عجوز كانت تأمل في الحصول علي شقة في حي مونبارناس بباريس ، لكن ارين لم تكن تنظر الي الخلف في غضب ، فقط هناك احساس بالسخرية يظهر خلال حديثها ، فهي تؤمن بأنها لا تزال تعمل لكي تعيش.

تقول ارين «انا احب حياة فاروق »، وفي اعتقادها انها تعرف فاروق اكثر من اي شخص اخر ، فعندما التقته كان ملكاً في الحادى والعشرين من عمره.. وكانت هي في قمة جمالها.. وظلت خليلته لمدة عامين ، وبعد ذلك كانا يلتقيان بين الحين والاخر حتي اخر حياته.

وارين جونل ، اسكندرانية من عائلة يهودية قديمة تعمل بالتجارة قدمت الي مصر في اوائل القرن الثامن عشر ، وأثرت من اعمال المضاربة في القطن المصري ، في شقتها بباريس كتب بلغات ست ، وهي عدد اللغات التي تجيدها ارين، وكانت هناك صورة لها بالابيض والاسود فوق المدفأة تشير الي جمالها وشبابها وهي بصحبة علي خان في روما.

في الثلاثينات وقعت عينا ارفينج تالبيرج من شركة مترو جولدن ماير علي ارين ذات السبعة عشر عاماً وعرض عليها عقداً مغرياً للعمل في

السينما في كاليفورنيا ، لكنها بدلاً من ذلك زوجتها امها من لويس نجار اليهودى الإسكندرانى الانجليزى المولد والنشأة وكان زواجا غير موفق انتهي بالطلاق بعد اربعة اعوام ونصف العام.

وعرفت ارين بعد ذلك بنشاطها في جمع اموال التبرعات للمؤسسات الخيرية ، وفي واحدة من الحفلات التي كانت تقام من اجل اعمال الخير ، وفي مقر الصليب الاحمر بالاسكندرية ، كان اول لقاء بين ارين والملك فاروق في عام ١٩٤١ ، عندما قامت بناء علي طلب هيلين موسيري الارملة اليونانية اليهودية المشرفة علي الامسية، بتقديم شراب عصير البرتقال بالصودا حسبما يحبه الملك . كانت الشائعات في ذلك الوقت لاتتحدث الا عن الغيوم التي بدأت تظهر في سماء العلاقات الرومانسية التي ربطت الملك فاروق والملكة فريدة ، وكانت هيلين موسيري الصديقة الشخصية لفاروق هي التي رشحت له ارين كشخصية جديدة في حياته بناء علي طلب فاروق .

تزوج فاروق من فريدة التي اختارتها له امه الملكة نازلي اعتقاداً منها علي حد قول ارين ، انها يمكنها السيطرة عليها ، فلقد تلقت نازلي الكثيرمن الاوامر من والد فاروق الذي كان كثير الشك ، فأغلق علي نازلي جناح حريم القصر حتي يوم وفاته في عام ١٩٣٦ وهو اليوم الذي ناسب يوم تحررها .

كانت فريدة اول فتاة في حياة فاروق ، وكان وقتها بريئاً جداً، ولم يعتقد ابداً انها ستتحول عنه، وعندما فعلت فريدة ذلك ، اصبحت النساء شغل فاروق الشاغل.

في جناح الحريم انتظرت فاروق طويلاً ، الاميرة فاطمة طوسون ذات الحسب والنسب ، والتي كانت مفتونة بفاروق لكنها وبسبب حسبها ونسبها ، لم تقبلها نازلي زوجة لابنها لان نازلي تريد ان تسيطر علي عروسة ابنها ، وبعد ان تزوج فاروق فريدة تزوجت فاطمة من ابن عم فاروق الامير حسن طوسن ، وبعد طلاق فاروق وفريدة استشعرت فاطمة ان فرصتها مازالت قائمة.

في زحام الامسية الخيرية للصليب الاحمر ، وبالقرب من احدي موائد القمار ، استشعرت ارين ان شخصاً يتطلع اليها وهي محاطة بمجموعة من الضباط البريطانين في زيهم العسكري ، ولما استدارت ارين وجدته فاروق في حلة عسكرية صيفية مزينة بالنياشين الملكية وعلي وجهه ابتسامة.

واحضر علي الفور كرسي العرش المطلي بالذهب للملك لكي يجلس عليه، لكنه قدم الكرسي الي ارين لتجلس هي عليه، وليجلس هو علي كرسي صغير الي جانبها ، عندئذ اصبحت ارين قبلة انظار الحاضرين ، اخبر فاروق ارين كيف انه طلب من هيلين موسيري ان تدبر ذلك اللقاء بينهما، ثم وجه فاروق دعوته لارين لمشاركته الاستحمام تحت ضوء القمر في شاطئ قصر المنتزه، لكن ارين رفضت دعوته وانصرفت.

كانت ارين في طريقها الي الباب عندما التقت السفير البريطاني مايلز لامبسون الذي كان لايحترم فاروق ولا يتحدث عنه الا بقوله «الصبي »، وبالمثل كان فاروق يري في لامبسون صورة الاب الاوتوقراطي الذي يجبر ابنه علي كراهيته.

قال لامبسون لارين : بالطبع عليك تلبية دعوة الملك والذهاب الي القصر للاستحمام معه تحت ضوء القمر ، وكرر لامبسون طلبه من ارين.

اكدت ارين انها لم يكن لديها ادني اهتمام بفاروق ، وان علاقتها به بدأت بسبب رغبتها في ان يكسب البريطانيون الحرب، وبسبب كراهيتها للالمان، لكن لاجدال ان ارين اجتهدت كثيراً لتحصل علي كل ما تريد. اقلت سيارة الملك الرولزرويس ارين الي منزلها لكي تأتي بلباس الاستحمام، وفي الساعة الثانية صباحاً، اوصلتها السيارة الي حديقة القصر الرومانتيكية التي تطل علي البحر المتوسط. والتي كانت تعد واحدة من اجمل الاماكن في العالم.. ظل فاروق مرتدياً ثيابه الكاملة، واقفاً علي الرمال، بينما كانت ارين قد ارتدت لباس البحر واندفعت تقتحم بجسدها مياهه الدافئة.

في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي كان صوت فاروق علي التليفون «انه انا.. متي يمكنني رؤيتك»؟ اجابت ارين «انا مشغولة جداً، بالاضافة الي انني لا أحب الملتحين».

كان فاروق قد احتفظ بلحية صغيرة شجعه عليها مستشاروه حتي يمكنه التقرب من جماعة الاخوان المسلمين التي تدعو الي الطهارة الاخلاقية واستئصال الوجود البريطاني، حتي يمكن لثقافة مصر الاسلامية ان تزدهر مرة اخري، كانت حركة الاخوان المسلمين لها رواج واسع بين جماعات الطلبة وكانت تنادي بالعدل الاجتماعي، وبالتالي كانت تمثل تهديداً لطبقة

الاثرياء من الباشاوات المصريين الذين يلعبون البولو ويأكلون الآيس كريم مع الانجليز.

واذا كان الاثرياء من اصحاب النفوذ في مصر يؤيدون الملكية التي تدافع عن مصالحهم الشخصية، فقد كان فقراء الفلاحين المصريين يؤيدونها كذلك ، لكن نتيجة ايمان اعمي كما كان يفعل اجدادهم القدماء منذ زمن الفراعنة.. لكن ذلك الايمان الاعمي بالملكية، ولاول مرة منذ قرون كان هناك من بدأ يعيد النظر فيه.

كان يقود جماعة الاخوان المسلمين المرشد العام حسن البنا، الناظر السابق الذي سافر الي المدن والقري ليتحدث الي الفلاحين في المساجد والمقاهي وليعظهم بتعليم القرآن الكريم.. وكان من نتيجة ذلك ان بدأ مستشارو الملك يهمسون في اذنه لكي يساير هذه الموجة ويتقرب الي اصحاب الاثواب والعمائم البيضاء.

كان المصريون علي مختلف مستوياتهم يكنون البغض للبريطانيين، وكان الايطاليون في حرب ضدهم، وحتي حلفاؤهم الفرنسيون كانوا يضمرون لهم غيرة شديدة وعدم تعاطف، وكانت الجالية اليهودية في القاهرة هي التي يمكن الاعتماد عليها.

لكن كيف يمكن لامرأة مثل ارين، حتي ولو كانت اكثر نساء العالم جمالاً ان تجعل فاروق يقطع روابطه مع هتلر؟.. لقد أسندت الي ارين المهمة التي تناسبها.. تقول ارين«فاروق كان طفلاً، وكنت واثقة من انني يمكنني التغلب عليه».

في البداية، وبالرغم من رفض فاروق الشديد لازالة لحيته، فقد ظل يتصل بارين عدة مرات في اليوم ولمدة تزيد علي الشهر، فقد كان اشبه بطفل ينتظر لعبته الجديدة، لكن بعد توسلات لا تنتهي من فاروق وموافقة لامبسون، رقت ولانت له ارين ووافقت علي لقائه في قصر المنتزه.

وفي حجرة نوم الملك الفسيحة المطلة علي البحر المتوسط، تشارك فاروق وارين العشاء المكون من الحمام ، والمحار، وسمك القاروس، وكان الطاهي فرنسيا، والجرسونات اربعة من السودانيين.. وكعادته كان فاروق مرتدياً حلته العسكرية، وكان اكثر الجالسين رغبة في التحدث.. وبعد ان انتهي العشاء قالت ارين ان الوقت قد حان لكي تتصرف.

سألها فاروق: «ألا تريدين البقاء قليلاً من الوقت؟» لكنها اجابته برغبتها في الذهاب.. وفي الثانية عشرة والنصف اقلتها سيارة كاديلاك عائدة الي منزل اسرتها بالاسكندرية.

وبعد عشر دقائق فقط من وصولها، كان صوت فاروق في تليفون منزل اسرة ارين، فقد سألها اللقاء مرة اخري.. وظلت ارين تلتقي به لمدة شهرين دون ان يحصل علي شئ منها. قالت ارين ضاحكة «فاروق لم يكن دون جوان »!

وعندما انتقلت اسرة ارين الي شقتهم في ميدان سليمان باشا في القاهرة في فصل الشتاء قبلت ارين دعوة فاروق لقضاء اجازة نهاية الاسبوع معه في قصر عابدين.



- فاروق يسير على خطى والده ويترك صديقته اليهودية تتدخل فى شئونه الخاصة
- الملك يطلق على «أرين» اسما إسلامياً ويخصص لها معلماً لتدريسها القرآن يومياً
- رئيسة الجالية اليهودية سواريز تموت بالسكتة القلبية وهى تراقص والد فاروق فى حفل عام
- أرين: الملك كان بخيلا ولم يقرأ صحيفة فى حياته

تروى ارين عن تلك الليلة الهادئة التى قضتها فى جناح فاروق بالقصر، وتقول: «كان خدم الملك قد وضعوا حقيبة ملابسى فى حجرة نومه، ولم يزعجنى ذلك فى شىء.. وفى الحجرة التى لم اشهد اكبر منها فى حياتى، قبل خدى، وتمنى لى نوماً سعيداً.

فى صباح اليوم التالى اصطحبنى الى حمام سباحة القصر وقضينا فترة طويلة فيه نستحم ونمرح ونحن بملابس بسيطة وقليلة، مثل طفلين صغيرين، لايعرفان شيئاً عما يدور بين رجل وامرأة».

تضيف ارين: كان يحب ان يمسك بى مثل طفل صغير يمسك بزهرة.. وكان يضم رأسى بذراعيه ويقول: «ما أجمل وجهك».. وكان يقبل يدى وكأنه يلعق بسكوتة أيس كريم.. لكن لم يحدث بيننا أبداً ما يحدث بين رجل وامرأة.

بعد أن اعترف فاروق بحبه لارين ، سألته: «ماذا عن فاطمة طوسون»؟ اجابها فاروق انه كان يريد ان تعطيه ابنه ووريثه. لكنها منحته ابنته ولم تكن تهمه كثيرا. لدرجة انه بعد ان ارسل الى فاطمة عقداً من اللؤلؤ فى المستشفى وقت الولادة، لم يذهب اثناء زيارة ابنته الصغيرة.

فى تلك الاثناء لم يفعل ابن العم الامير طوسون الذى قام فاروق باغواء زوجته الا ان يدير وجهه الى الناحية الاخرى، اثناء زيارة الأب لابنته.

بدأ فاروق فى اصطحاب ارين باعتبارها خليلته الرسمية، معه فى المناسبات العامة وفى النوادى الليلية مثل النادي الليلى الكيت كات الممتلىء بالعيون والجواسيس وعلى رأسهم فتيات الاستعراض المجريات.

من جانبها بدأت ارين فى تقديم فاروق الى دائرة معارفها واصدقائها البريطانيين. وعن نتائج محاولاتها قالت كان الملك لا يرغب فى التعرف على اصدقائى البريطانيين، لكن فى يوم من الايام واثناء ارتداء ثيابى للخروج معاً الى حفل راقص بحضور عدد كبير من ضباط الحلفاء، انحنى فاروق فجأة على ركبتيه قائلاً: انت جميلة جداً. من فضلك لا تذهبى .. قالت له: كفى حمقاً، وهيا معى لكى نذهب الى الحفل.. لكن فاروق فى تلك الليلة لم يذهب معى، ووجدته فى اليوم التالى، وقد ازال لحيته الصغيرة.

تقول ارين عن سبب افتتان فاروق بها: كان مفتونا بى ربما بسبب كونى يهودية، وذلك يرجع الى ان الشخص الوحيد الذى كان يستمع اليه فاروق كان والده الملك فؤاد، الذى اخبره فى احدى جلساته ان افضل النساء فى العالم هن النساء اليهوديات وبصفة خاصة عندما يكن مثقفات.

وها هى سواريز رئيسة الجالية اليهودية فى القاهرة التى كانت حب فؤاد الكبير، الذى استمر اكثر من عشرين عاما.

واستطاعت سواريز الضغط على الانجليز من اجل تنصيب فؤاد ملكاً على مصر، رغم انه طبقا للاعراف والاولويات فى موضوع تولى عرش مصر، لم يكن الدور من نصيب فؤاد.

قبل ذلك، قامت سواريز بترتيبات الزواج الاول لفؤاد من ابنة عمه شفيقة فى عام ١٨٩٦. وكان عمرها ١٩ عاما آنذاك، كما كانت شفيقة واحدة من اثرى النساء فى مصر ، وهو ما كان مهماً لفؤاد الذى كان على وشك الافلاس نتيجة ديونه فى العاب القمار.

عندما حصل فؤاد على قدر كبير من ثروة الاميرة، قامت سواريز باستثمار هذه الثروة مع أصدقائها من رجال الصناعة اليهود، ونجحت فعلا فى تنمية ثروته ومضاعفتها كثيراً.. وقد توفيت سواريز بالسكتة القلبية فى حفل راقص، وهى ترقص بين ذراعى فؤاد، الذى لم ينسها ابداً، مثلما لم ينس فاروق ايضا ذلك الحب الكبير فى حياة والده فؤاد.. فهل وجد فاروق فى ارين اليهودية ايضاً مايجعله يسير على خطى والده؟

رأى فاروق ان عليه ان يزيل لحيته، وان يذهب الى حفلات الشاى ويقابل الانجليز فى حفلاتهم وسهراتهم، لكن فى مقابل ذلك اصر على ان تتحول ارين الى دين الاسلام.

بدأ فاروق خطته باهدائها نسخة القرآن الكريم مرصعاً بالجواهر، وارسل لها مدرساً يعلمها اللغة العربية ويزودها بدروس فى القرآن الكريم كل صباح ومنحها اسماً عربياً، «فاطمة» نفس اسم شقيقته الصغرى.. وبالرغم من ان ارين كانت تبغض الاستيقاظ كل صباح من اجل دروس التقوى. الا انها استمرت فى ذلك.

اصبحت ارين اشهر امرأة شابة فى القاهرة، وتقول عن تلك الفترة: كنت ارتدى وشاحاً حتى لا يتعرف على احد، حتى بعض الشحاذين الصغار فى الشارع كانوا يتعرفون على ويصيحون «تعيش ارين».

وتتابع ارين: اصطحبنى فاروق معه الى الحفلات الرائعة التى كانت تقيمها الاميرة شفيقة وكان فاروق يحبها كثيراً لانها كانت دائما تتذكر عيد ميلاده.. كانت شفيقة تقيم حفلاتها فى الحديقة الفخمة الملحقة بالقصر فى خيام ملونة تضم مئات من الضيوف. وكانت الموائد تحفل بالطعام الفرنسى والايطالى والروسى، والشامبانيا التى كانت تقدم بالجالونات، على انغام فرق موسيقية.

وعند وصولنا لقصر شفيقة هلل الضيوف مرحبين بقدومنا، وقالوا لبعضهم البعض، بعد انتهاء الحرب ستكون ارين ملكة مصر القادمة.

كانت ارين محبوبة من كل شخص ما عدا امها التى اجبرتها اخيراً على مغادرة شقة العائلة لتسكن شقة بمفردها، بعد ان اجبرتها من قبل على الزواج من لويس نجار.

وهذا ما دفع ارين لتقول: انا لم اوثق علاقتى مع فاروق لاننى كنت اريد ان اكون ملكة مصر، انا كنت اريد ان اكون بعيدة عن امى.

لقد اعتادت والدة ارين ان تجعل ملك مصر ينتظر فى الشارع كلما جاء فى واحدة من سيارات الرولزرويس لكى يصحب ارين معه الى واحدة من سهراته ولم تدع فاروق للصعود الى شقتهم مرة واحدة.

تقول ارين: قالت لى امى انه فى اللحظة التى يحتل فيها الالمان مصر، ستكون ارين هى اول امرأة تشنق فى ميدان محمد على.

لم تلتق ارين ملكة مصرة فريدة لان الاخيرة رفضت الذهاب الى حفلات الرقص، وكانت تظهر فقط فى المناسبات الدولية الرسمية، كما لم تلتق ارين بنات فريدة، حتى بالمصادفة اثناء وجودها فى القصر.

وتقول: قصر عابدين كان يضم خمسمائة حجرة، والنساء كن فى الحرملك، وانا كنت مع فاروق فى السلاملك.

كنا نلعب ونمثل معاً حكاية على بابا. وكنا نسير فى طرقات القصر المزخرفة من طراز الروكوكو فى منتصف الليل ونحن بملابس خفيفة جداً، نفتح ابواباً سرية تؤدى الى حجرات تحتوى على مجوهرات نادرة، وكان فاروق من اكثر الجهلاء الذين عرفتهم فى حياتى، كان يحب ان تكون فى حوزته كل تلك الكنوز، لكنه لم يكن يعرف عنها اى شئ .. يفتح احد الادراج التى تحتوى على ماسات تقدر بالملايين من الجنيهات ودرج آخر يحتوى على الزمرد، وثالث على الياقوت لكنه كان يغلقها بسرعة ربما خوفا من أن أمد يدى لاحصل على شئ منها.

كنا نهبط الى الجراج الملكى.. ويقوم بالضغط على أزرار، فتفتح الابواب ليرينى سياراته التى تقدر بالعشرات وجميعها باللون الاحمر.. ويختار سيارة نتوجه بها الى الاهرامات فى منتصف الليل لمشاهدة «اهراماته» وابو الهول الخاص به، لكنه لم يكن لديه اى اهتمام حقيقى بالتاريخ او الآثار.

وفى مرة من المرات التى كنا فيها نسبح فى حمام سباحة القصر وهو الشئ الذى كان يحبه كثيراً، وكان كل منا ينثر الآخر برغاوى الصابون فى الحمام فسقط من اصبعه خاتم الزمرد الكبير، عندئذ امسكت بالخاتم وقلت لقد أصبح ملكى. ولدهشتى الشديدة وجدته يقفز خارجاً من حمام السباحة لكى يستعيد خاتمه الذى اعتقد اننى قد انتويت امتلاكه.. لقد كان بخيلا.

لم نكن نتكلم أبداً فى السياسة، فقط كان كلامنا يدور حول الشائعات التى تتناول مختلف الناس، واحاديث فارغة ونكات خاصة التى تتناول اليهود وبخلهم.

تضيف ايرن: لم اره يكتب خطاباً أو يقرأ صحيفة أو يستمع الى قطعة موسيقية كلاسيكية، وكانت كل ثقافته يستقيها من الافلام السينمائية .. هواياته الوحيدة قيادة السيارات والرماية وقيادة اليخوت، وكنت انا من جانبى انظم رحلات الصيد فى اجازة نهاية الاسبوع فى قصوره بانشاص والفيوم، وكنت ادعو اليها اصدقائى الانجليز.

كان يدعو نفسه الى بيوت الاثرياء والوجهاء، ولم يكن يجلب لهم معه زهوراً أو أية هدايا، وكان أصحاب تلك البيوت يخفون أشياءهم الخاصة الثمينة لأن فاروق كان قد اعتاد ان يبعث فى اليوم التالى للزيارة بشاحنة تحمل الاشياء الثمينة التى صادفت هواه.

فى مصر، اذا أنت أثنيت على شئ فى منزل صديق فعلى الفور يحتم الكرم والذوق الرفيع على المضيف ان يقول «تفضل، هى لك، ولا تغلو عليك».. لكن فاروق كان ينفذ ذلك القول حرفياً لكن ليس من باب المجاملة.

اذا كان فاروق رجلاً ليس لديه اية اهتمامات بالمرأة او اية اهتمامات فكرية، فما الذى جعلك تحبينه وترتبطين به؟

اجابت ارين: انا لم احب شيئاً.. كان على أن اكون الى جانبه.. كان على أن اجعله بعيداً عن الألمان.

وبالرغم من ان وجود ارين الى جانب فاروق كان يصب فى صالح الانجليز، فان السفير البريطانى سير مايلز لامبسون لم يكن من النوع الذى يترك اى شئ للمصادفة او للعلاقة الغرامية.. ففى اوائل فبراير عام ١٩٤٢ وفى اوج مظاهرات الطلبة المؤيدة للالمان قام رئيس الوزراء المصرى المؤيد للانجليز بتقديم استقالته، ومن اجل اطمئنان لامبسون الى ان رئيس الحكومة القادم سيكون محل رضا منه اولاً طلب من فاروق ان يعين مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد فى المنصب الشاغر.

حين لم يعط فاروق رداً حاسماً للامبسون حول تعيين مصطفى النحاس، اتخذ لامبسون موقفاً من اكثر مواقف الامبريالية البريطانية تدخلاً فى مقدرات مصر فقام بتطويق قصر عابدين بقوات بريطانية ثم اطلق النار على اقفال بوابات القصر، بعدها قاد جماعة مسلحة صعدت سلالم القصر واقتحم مكتب فاروق. واتهمه بخيانة الانجليز. وقدم له وثيقة التنازل عن العرش.

فى البداية، تطلع فاروق الى الوثيقة فرآها مكتوبة على عجل وعلى ظهر ورقة عليها شعار السفارة البريطانية، وما كان من فاروق الا ان قام بتهدئة لامبسون بموافقته على تعيين رئيس الوزراء الذى اختاره ناظر المدرسة لامبسون.

ازعج الحادث المهين الذى وقع فى قصر عابدين، ليس فاروق فقط، انما مصر كلها، وزاد من تصعيد احقاد المعارضة المصرية ضد الوجود البريطانى فى مصر، ولم يعد البريطانيون يلقون الترحيب الذى كانوا يجدونه من قبل من بعض اوساط المجتمع الراقى فى مصر.. لكن ارين ظلت على علاقتها بالبريطانيين، خاصة بعد ان حثها راندولف ابن ونستون تشرشل على الاستمرار فى دورها، كان راندولف قد جاء الى مصر فى عام ١٩٤٠ ضابطاً شاباً ضمن قوة عسكرية خاصة، وفى مصر اطلق على فاروق «الخنزير القذر». وكان فاروق يطلق على السير ونستون تشرشل«انجليزى بدين آخر». وعلى لامبسون «جاموس باشا».

حتى الآن مازالت ارين تعتقد ان فاروق قد سرق صندوق السجائر الذهبى الذى كان قد اهداه تشرشل الى ابنه راندولف فى عيد ميلاده الواحد العشرين، وهو الصندوق الذهبى نفسه الذى اهداه راندولف الى ارين.

تقول ارين: عندما طلب فاروق منى ان يلقى نظرة على صندوق السجائر الذهبى، قلت له انك مريض بهوس السرقة واخشى الا ارى الصندوق مرة اخرى، ولما اقسم لى بشرف الملك، وثقت فيه، ومنذ ذلك الوقت لم ار الصندوق الذهبى الا فى معرض كارتييه بباريس، بعد زمن طويل فى المزاد العلنى الذى اقيم فى قاعة سوثبى فى لندن عام ١٩٥٤ لبيع مقتنيات الملك فاروق.

تقول ارين: بعد الاهانة التى وجهها لامبسون لفاروق فى قصر عابدين، عاتبت فاروق بأن ذلك كان درساً جيداً له، وابلغته ان ذلك الحادث المهين وقع له لانه كان يقف فى الجانب الخطأ، ومن الافضل ان يقف الى جانب الانجليز.

واستمرت علاقة ارين بفاروق كخليلة رسمية له، لاكثر من عامين، كانا يستحمان فى حمام سباحة القصر، كل ينثر على الاخر الماء ورغاوى الصابون، وكانا يتبادلان رواية الشائعات ولا شئ اكثر من ذلك.

تقول ارين: كان فاروق نظيفاً جداً، وكانت كل تصرافاته خالية من اى عيب غير انه كان يحب التجشؤ لكى يضايق بعض الناس، وحين ينام لا يصدر عنه شخير، كان كسولاً بشكل لا يصدق، لدرجة انه عندما كنت ارغب فى التجوال فى حديقة القصر سيراً على قدمى، أجده يجلس على احد المقاعد وينظر الى حتى أنتهى، كان لديه ولع شديد باللون الاخضر، أغطية سريره، عباءته، أحذيته الخفيفة كلها اللون الأخضر المصرى الملكى، كان يجد متعته فى ان يرى خدمه الذين يلبسونه الحذاء عند قديمه.

فى نهاية عام ١٩٤٣، تم التصدى للتهديد الالمانى فى شمال افريقيا من قبل الانجليز، وبالتالى فقد انتهت مهمة ارين الرومانتيكية، لكن استمرار ارين الى جانب فاروق كان نوعاً من انواع استمرار الحركة بالقصور الذاتى، اكثر من كونه تلبيه لضرورات ومقتضيات بريطانية.

نهاية علاقة ارين بفاروق شهدتها رحلة صيد بط بالفيوم، نظمتها ارين احتفالا بوصول همفرى باتلر الذى قالت عنه ارين انه الابن غير الشرعى لملك انجلترا.. كانت بصحبة همفرى سكرتيرة انجليزية جميلة اعتقدت ارين انها صديقة همفرى، لكنها فى احدى الامسيات وجدت همفرى باتلر فى البار يتناول شرابه بمفرده، وعلى الفور داخلت ارين الشكوك، فصعدت الدرج الى غرفه نوم فاروق فوجدتها مغلقة.. طرقت ارين باب غرفة فاروق.. ولما فتح باب غرفة نومه، وجدت ارين السكرتيرة الانجليزية فى فراش الملك.

عادت ارين الى البار لتشارك باتلر احتساء البراندى، وقررت ان تمضى ليلتها فى حجرة الجنرال البريطانى باتلر.. بعد ذلك راح فاروق يبحث عن ارين، وعندما وجدها فى غرفة باتلر الذى ابلغه شعورها ببعض التعب. اجابه فاروق ووجهه جامد خال من اى تعبير «لدى الدواء المناسب لها».

كانت ارين مقتنعة تماماً ان كريم ثابت المنافق والمؤيد للأمريكيين ومستشار فاروق الصحفى والذى اطلق عليه اسم «المسخ» هو الذى استغل المرأة الانجليزية لكى ينهى تعلق فاروق الشديد بها.. وفى صباح اليوم التالى وعلى مائدة الافطار لم يكن احد قد ادرك ان ارين طلبت من الخدم ان يحزموا حقائب السكرتيرة الانجليزية ويضعوها فى السيارة بالخارج.. وقبل ان ينتهى طعام الافطار نظرت ارين الى منافستها وقالت: أليس شيئاً يدعو

إلى الشفقة فى أنه ليس لديك وقت للانتهاء من طعام الافطار لانه عليك العودة الى القاهرة الآن؟

قام بعض السفرجية بتوصيل السكرتيرة الانجليزية الى السيارة التى انطلقت بها.. وجاء فاروق منزعجاً ومهتاجاً قائلاً لارين: ماذا فعلت؟.. انها امرأة رائعة.

ورفضت ارين التحدث الى فاروق حتى نهاية اليوم، ثم اسرعت فى الصباح المبكر من اليوم التالى بالعودة الى القاهرة لتختبئ فى منزل هيلين موسيرى.. وعرف فاروق بواسطة جواسيسه المكان الذى تختبئ فيه ارين لكنها ذهبت الى فندق شبرد للاقامة فى جناح همفرى باتلر وعرف فاروق مكانها ايضاً واندفع الى داخل قاعة الطعام الرئيسية بفندق شبرد بملابسه العسكرية حيث تجلس واجهش بالبكاء.. وتدخل همفرى باتلر محاولاً ان يحفظ لفاروق شيئاً من كرامته التى امتهنها.

تقول ارين: بالرغم من اننى كنت لا اهتم به كثيراً فى بداية علاقتنا الا اننى مع الوقت بدأت احبه، لقد كان فاتنا مثل طفل صغير مشاكس لا يمكنك الا ان تحبه، لذلك فأنا أحببت فاروق.لكننى لم اقع فى غرامه.

عادت ارين الى الاسكندرية لكى تقيم مع اسرة لامبروزو اليهودية وهناك تقابلت فى احدى الحفلات بضابط بريطانى فى الثالثة والعشرين من عمره يدعى فال بيلى، واثناء علاقة ارين بفال كان فاروق يلاحقها فى كل مكان دون ان يراه احد لكنها كانت تشعر بمطاردته لها.

رأت ارين ان زاوجها من فال سيؤدى الى الحصول على جواز السفر البريطانى وعلى تأشيرة الخروج من مصر ، تلك التأشيرة التى كانت تعلم ارين جيداً ان فاروق لن يمنحها لها أبداً اذا ظلت مواطنة مصرية، وحدث بعد شهر ونصف الشهر فقط من لقائهما ان تم عقد قران ارين وفال.

بدأت ارين تعد عدتها للانتقال الى انجلترا والاقامة فى ساتون بالاس القصر الفخم الذى تملكه عمة فال الدوقة سازرلاند لكن قبل رحيلها بأيام زارها انتونيو بولى.

تقول ارين: فاروق احب رجلا واحداً وهو انتونيو بولى واحب امرأة واحدة هى انا

قال انتونيو بولى لارين: مدام ارين فاروق يموت انه يلازم الفراش منذ ستة ايام لا يأكل ولايذهب الى البرلمان ولا يلتقى وزراءه... من فضلك نود حضورك قبل ذهابك.

ذهبت ارين مع بولى الى قصر عابدين ووجدت فاروق فى فراشه المتسع الوثير، اخبرته انها متزوجة وسترحل الى انجلترا وستتركه الى الابد.. وبعد ذلك وقف فاروق على قدميه مهتاجاً قائلاً لها: اذا رحلت فلن تضعى قدمك على ارض مصر الى الابد ولن تحصلى ابداً على تأشيرة دخول وستوضعين على القائمة السوداء الممنوع دخولهم مصر.. وسأعلن الحرب على اليهود وسأقضى بقية عمرى وحياتى حول موائد القمار.

قالت ارين لفاروق: عزيزى لن يوقفك احد عن محاولتك الانتحار وغادرته ارين وهى غير مصدقة لكلمة واحدة مما قال لكن بعد ذلك بسنوات قالت ارين ان ما قاله لها فاروق فى آخر لقاء جمعهما فى قصر عابدين كان المرة الوحيدة التى كان يتحدث فيها بكل صدق.



● كيف انضم فاروق إلى قائمة عشاق الأديبة الإنجليزية الفاتنة؟

● باربارا شبيهة كاترين هيبورن تسحر لب الملك بإحدى سهراته في «الأوبرج»

● رفض فاروق إجراء حديث صحفي مع خطيب معشوقته ثم أهداه قفصا من المانجو.

● سمكة ذهبية عيناها من الزمرد هدية الصداقة الأولى

تواصلت علاقات فاروق النسائية، علاقات متعددة الجنسيات، وكانت باربارا سكيلتون احدى محطات فاروق على هذا الطريق الذى لم يخل من توجهات سياسية بريطانية وألمانية بل ويهودية ايضا.

باربارا سكيلتون، أديبة من أديبات انجلترا الفاتنات بعد الحرب العالمية الثانية، كان والدها ضابطا بالجيش، وكانت والدتها تعمل في مجال الاستعراض، تزوجت من مؤلف بريطاني شهير هو سيريل كونولي رئيس تحرير مجلة هورايزون، ثم طلقت منه لتتزوج من الناشر البريطاني الشهير ايضا جورج ويدينفيلد.

بعد ان كانت باربارا في فترة مراهقتها من بين فتيات لندن الضائعات كما كان يطلق على الفتيات اللاتي كن يفضلن الانفصال عن عائلاتهن، والعيش في حياة مستقلة، وجدت باربارا نفسها بعد سنوات روائية ناجحة، كانت لباربارا علاقات غرامية وثيقة مع قائمة طويلة من المشاهير ضمت الشاعر «بيتر كوينيل» والناقد كينيث وتينان والمنتج السينمائى «جون ساترو» رئيس تحرير نيويورك ريفيو، وأوف بوكس «تشارلز آدمز»، ووريث صحيفة نيوزاوف ذي وورلد واستاذ الفيزياء «ديريك جاكسون» والناشر «الاستير هاملتون»، كاتب العمود الصحفي وزوج فرانسوا ساجان السابق «بيرنارد فرانك»، وبالطبع، الملك فاروق.

لكن كيف يمكن للملك ان يكون على القائمة التي تضم كتابا وصحفيين وناشرين ورسامين، وهو الذي- على حد قول ارين جونل- لم يقرأ كتابا وكان مجردًا من أي رغبة في الثقافة والفكر؟

كيف صادف فاروق هوى لدى باربارا التي كان كل عشاقها من الادباء؟

لم تنل بصمات الزمن إلا قليلا من جمال باربارا الرشيق، كانت في شقتها

الانيقة بباريس مرتدية سترة حمراء وبنطلونا رماديا فضفاضا لونه يتفق مع لون شعرها، وفي قدميها خف شبيه بخف لاعب الكونغ فو الصيني، وبلا اصباغ على وجهها الجميل الجذاب الذي يذكر بالممثلة كاترين هيبورن.

تقول باربارا سكيلتون: احب فاروق افلام كاترين هيبورن، وكان دائما يصحبني معه الى حجرة عرض الافلام بالقصر، لنشاهد افلامها، ويخبرني كم انا شديدة الشبه بكاترين هيبورن».

عملت باربارا فترة عارضة ازياء وعلى الرغم من ان الكثيرين كانوا يطرون جمالها، فإنها كانت لاتعتقد انها جميلة.

في الجزء الاول من مذكراتها «دموع قبل وقت النوم» تكتب باربارا عن العالم المتسارع الذي قدمت منه. وعن فتاة الاستعراض التي هي النموذج الحقيقي للمرأة الفاتنة.

واستكملت في الجزء الثاني من مذكراتها «لا تبكي ثانية» ما صادفته في حياتها من احزان ودموع.

المرة الاولى التي شاهدت فيها باربارا اسكيلتون فاروق، كانت في عام ١٩٣٦، عندما استقلت الباخرة «فايسروي اوف انديا» لكي تزور عمها الجنرال بالخدمات الطبية البريطانية في الهند، وقد رست الباخرة على شاطئ مرسيليا الفرنسي، شاهدت باربارا على ظهر الباخرة فاروق الشاب الجميل وهو في السادسة عشرة من عمره، وكان والده قد توفي، وهو في انجلترا، وكان عليه ان يعود على الفور الى الاسكندرية.

الشيء الذي أدهش باربارا عند رسو الباخرة في ميناء الاسكندرية، مئات المراكب الصغيرة المضاءة بالشموع، وآلاف الفلاحين الذين خرجوا في عتمة الليل لتحية وريث عرش مصر، والسجادة الفاخرة الحمراء على المعبر الخشبي بين السفينة ورصيف الميناء، واحتفالات الاسكندرية التي استمرت حتى الفجر.

بعد ست سنوات عادت باربارا الى مصر في زمن الحرب موظفة شفرة في وزارة الخارجية، وكان كفيلها الدبلوماسي البريطاني دونالد ماكلين، الذي أصبح شهيرا فيما بعد كجاسوس روسي مع زميلي الدراسة في اكسفورد جاي بيرجيس وكيم فيلبي.

كـان من عـادة الملك فـاروق السـهـر في أوبرج الاهرام، اكبـر ناد ليلي في القاهرة، وقذف الخبـز المستدير على هيئة كرة والفول السوداني في وجوه من يجلسـون في صـحـبـتـه اثناء تناول الطعـام والشـراب ومـشـاهـدة فـتـيـات الاسـتعـراض والسـحـرة واعـمـال السيـرك والمغنيات الفـرنسيـات وفي الاوبرج لفتت باربارا انظار فاروق، وفي اليوم التـالي قـام احد اعـوانه بتقـديم دعوة مكتوبة لها لقضاء اجازة نهاية الاسبوع في الفيوم بصحبة الملك.

وحلت باربارا سكيلتـون، مـحل ارين جـونل خليلة رسـمـيـة للملك في عـام ١٩٤٣، تقول باربارا:

«فاروق لم يكن فقط ملكا، وانما كان رقيقـا طيبـا، فـفي بداية عـلاقـتنا، عرف فاروق انني قمت بشراء بعض اقراط زهيدة الثمن على شكل سمكة من سـوق الموسكي بالقـاهرة، فطلب مني رؤيتهـا، ولما أحـضـرتهـا له وجـدته قـد اختفظ بها قائلا: انه سيفاجئني بشيء سأسـر له، وبعد مضي اسبوع وجدت تحت وسادتي صندوق مجوهرات، فتحته، فوجدت السمكة وقد صنعت نسخة مطابقة لها تماما من الذهب الخالص، وكانت عينا السمكة من الزمرد.

كتبت باربارا في كتابهـا «دموع قبل وقت النوم»: «بعد تناولنا العشـاء في قصـر عـابدين، كنا نشـاهـد أفـلامـا سينـمـائيـة أو نستـحم في حـمـام سـبـاحـة القصـر، وكان فـاروق يوصلني دائمـا بسيـارته الى فيلا مـوسكاتيللي التي كنت اقيم فيـهـا، وعندمـا كنا نمر ببـوابات القصـر، كان يطلب مني ان احني رأسي الى اسـفل حتى لايراني الحـراس الذين كـان النعـاس يغلبـهم، لم أشـعـر أبدا بالملل مـعـه، بالرغم من غـبـاء وتملق المحـيطين، وكنت أعـامل دائمـا بلطف واحترام بالغين».

«لم تكن لديه المقدرة التي تجعله ملكا عظيما، فقد كان مراهقا وتصرفاته طفولية، لكنه لم يفقد أبدا أعصابه، وكان رقيقا بشكل لايصدق، ويملك حسا فكاهيـا ومـرحـا كانت الحيـاة في القصـر مع فـاروق تبعث على البـهـجـة، على العكس من الملل الشديد الذى كنت أستـشعـره بصـحـبـة الضـبـاط البـريطانيين الذين كنت أعرفهم في القاهرة.

شريحة من حياة القـاهرة، وصفتها باربارا سكيلتون في كتابها «لمسة فتاة شـابة» تحدثت فيه باربارا عن فاروق وحفلاته التنكرية التي كان يرتدى فيهـا

زي انتونيو، وترتدي هي ملابس كليوباترا، والوزراء يرتدون ملابس تشرشل وروزفلت وستالين، تحدثت باربارا أيضا عن فحوصاته الطبية اليومية التى كان يجريها له طبيبه الخاص، وعن ولعه الشديد بالنظافة وبحماماته العديدة المختلفة، والطريقة التي كان يحطم بها الاطباق في حفلات العشاء الرسمية. إذا أحس بأي عيب في طقوس تقديم اطباق الطعام أو في مذاقه، وعن الطريقة الاحتفالية التي كانوا يقدمون بها إليه عصير البرتقال المثلج.

تحدثت باربارا أيضا عن هوس السرقة عنده، والطريقة التي كان يمارس بها حق الحكومة في مصادرة الملكية الشخصية،

وايضا مصادرته لثريات الكريستال، وآلات البيانو، والقطع الفنية التي لاتقدر من بيوت وقصور أتباعه واعوانه والقريبين منه او من الذين يكون من حظهم او سوء حظهم ان يكون قد شرفهم الملك بزيارته.

حياة باربارا اسكيلتون كانت تختلف تماما بين الليل والنهار، ففي النهار موظفة شفرة بوزارة الخارجية ترتدي زيا مناسبا، وفي الليل ترتدي اثوابا من تصميم بيوت الازياء الشهيرة لاصرار الملك على ان ترتدي ما يلائمها لحفلات الرقص وعروض الاوبرا، ومباريات البولو، وسباقات الخيل، اما بقية وقت فراغها فكانت تقضيه في زيارة الآثار المصرية القديمة، او قطع الوقت في حمام سباحة نادي الجزيرة الرياضي الذي يقع فى حي الزمالك الشهير بالقاهرة الذي يعد معقلا للامبراطورية البريطانية ولايدخله المصريون.

اخيرا قرر البريطانيون استخدام قرب باربارا من فاروق لصالحهم، تقول باربارا:

«كانوا مقتنعين تماما بأن فاروق يعدني لكي يحصل مني على معلومات تهمه، والشيء الذى لم يفهموه أبداً أن اهتمام فاروق بانجلترا لايتعدى برقياته التي كان يبعث بها الى هناك من اجل شراء اربطة العنق الحريرية من متجر «هوز آند كارتز».

لم يكن بيني وبين فاروق اي شيء يتصل بالسياسة على الاطلاق، لكن البريطانيين لم يقتنعوا بقولي، وقرروا أن يضعوني في باخرة تبحر بى الى خارج مصر».

وانقطعت اخبار باربارا تماما حتى عام ١٩٥٠ وهو الوقت الذي كانت فيه مخطوبة الى سيريل كونوللي، وكان فاروق يواصل الاحتفال بعرسه الشهير الذي ظل يحتفل به ثلاثة اشهر، اتصل بها فاروق يدعوهما الى حفل عرسه.

كان بذخ فاروق واسرافه الشديد في الاحتفال بعرسه على صدر صفحات الصحف في اوروبا، كذلك علمت باربارا أن اثنتين من بائعات الهوى اللاتي كن يسكن في شقة اسفل شقة باربارا في حي ماي فير بلندن ضمن المعسكر المرافق لحاشية الملك في جولاته الاحتفالية.

في ذلك الوقت كان فاروق قد طلق فريدة في ١٩٤٨، وعقد خطوبته على ناريمان صادق، وكان من المفترض ان يكون احتفال فاروق بعرسه وشيك الحدوث، آخر انغماس له في المتع والملذات .. الغريب في الامر، كما تقول باربارا في مذكراتها، ان خطيبها سيريل شجعها على الانضمام لموكب فاروق المحتفل الصاخب، قائلا لها: «اعتقد انه يجب عليك الذهاب، فبالرغم من كل شيء، فالملك هو الملك».

انضمت باربارا الى حاشية الملك فاروق في بريتاني بشمال فرنسا، حيث كانوا قد اتخذوا لأنفسهم عدة طوابق من فندق هيرميتاج.

كان في الحاشية أكثر من عشرين ضيفا رسميا من بينهم طبيب فاروق، ومصفف شعره، وحرسه الخصوصيون،وعدد من الطفيليين الملازمين والتابعين لفاروق في جولاته بكازينوهات فرنسا الواقعة على الاطلنطي ، وكان قد وزع فاروق على افراد حاشيته باريهات لارتدائها ولتزويدهم بسمة فرنسية لرحلتهم.

تقول باربارا: «كان القمار أهم كثيراً لفاروق من ليالي الغرام، كنت أجلس الى جواره اثناء اللعب لكي اجلب له الحظ السعيد، وكان يزودني بكومة من فيشات اللعب لكي اشاركه لعب الروليت، فكنت احتفظ بعدد كبير من تلك الفيشات بعيدا قدر ما أستطيع، لأنني دائما كنت أخسر في اللعب، وكان فاروق يستمر في اللعب حتى الفجر، وكان الكازينو يظل مفتوحا دائما من اجله، وفي أي وقت كنا نأتي فيه إلى الكازينو أو نخرج منه نجد أعداداً من الفرنسيين يهتفون للملك، فقد كان الفرنسيون يحبون الملكية».

«لحق بنا خطيبي سيريل الى الفندق الذي كنا نقيم فيه في بريتاني، لأن

صحيفة ديلي ميل كلفته بإجراء حديث مع الملك فاروق، لكن فاروق لم يسمح له، فقد كان فاروق يكره الصحفيين، حاولت ان اشرح لفاروق ان سيريل كاتب حقيقي وليس واحدا من هؤلاء الصحفيين الذين يكرههم، لكنه لم يستمع الى، وكان ان وضع سيريل- الذي أصبح غيورا على اكثر مما كنت أتوقع- البيريه السمة الفرنسية الميزة لرحلة المصريين على رأسه وتبعنا إلى كل مكان».

ركبت في سيارة فاروق الكاديلاك الحمراء ذات الغطاء القابل للطي، وتبعتنا قافلة من السيارات، وباص لحمل الحقائب، وكان فاروق يقود السيارة بنفسه، فقد كان محبا لقيادة السيارات، وفي الطريق كنا نتوقف عندالمطاعم الشهيرة التي كانت تفتح لنا ابوابها خصيصا في ساعات غير مألوفة لكي تصنع طعاما للملك، وعندما وصلنا الى بياريتز، مكثنا جميعا في طابقين على الاقل من فندق بالاس، واثناء الرحلة، لم يتحدث فاروق معي ابدا عن ناريمان، وأنا اعتقد انه كان يريد أن تمنحه ابنا يرث عرشه، لكنني لم أستطع ابدا ان افهم لماذا اختار انسانة عادية لهذا الغرض، لم يتحدث ابدا اثناء الرحلة عن العائلة او عن السياسة، فقط كان يطلق الدعابات والنكات، ويتناول الطعام، ويقامر ويشتري.

في ليلة من الليالي سألني ان يرى تلك الخواتم النادرة التي كانت في حوزتي منذ سنوات وسنوات، وبعد ان اجبته الى طلبه، لم أرها على الاطلاق، وربما أخذها لكي يرصع بها ثوب زفاف ناريمان الذي رصعه بمختلف انواع المجوهرات، وكترضية لي، اهداني فاروق حافظة سجائر ذهبية، ودبوسا غير انيق لكي اثبته في اثواب السهرة التي ارتديها للحفلات.

ومن بياريتز توجه فاروق وحاشيته الى كان، أما أنا وسيريل فقد تركناهم، وكنت سعيدة بالابتعاد عنهم، خاصة عن بعض الصحفيين الذين أسموني المرأة الغامضة، وبعد عودتنا إلى لندن، أرسل فاروق لسيريل صندوقا من المانجو المصرية، ربما ترضية له لعدم السماح باجراء حديث معه.

واستمر الاتصال بيني وبين فاروق الذي كان دائما يخاطبني باسم كيوي، وارسل لي باقة زهور ضخمة نادرة عندما تزوجت سيريل، ونجحت في تقديم سيريل الى فاروق، لكن الاثنين لم يكن لديهما ما يقولانه لبعضهما.

في وقت آخر، وهو في المنفى الايطالي، دعاني فاروق لقضاء اسبوع معه في فيللا راسميت، كان مكاناً مقبضا، خاليا إلا من حرسه الخصوصيين وصديقته ارما الجميلة، لكن فاروق كان يتركنا نحن الاثنتين وحيدتين في ذلك البيت الكبير، ليذهب الى روما كل ليلة، الى ان بدأت اشعر بأنني سجينة، عندئذ خرجت بمفردي وذهبت الى ناد ليلي في فيافينيتو، وكان فاروق هناك جالسا الى منضدة ومن حوله فتيات ليل.

لقد كنت دائماً على ثقة بأننى لم أكن الطراز الذى يناسب فاروق، ولكن لأسباب غريبة احبنى، وأنا ايضا احببته.

كان اليهود والعرب يتقاسمان شارع فوتش افينيو، ذلك الشارع المتسع الذي تظله الاشجار الكثيفة، بأرقى الاماكن بباريس، حيث يسكن اليهود على احد جانبيه، ويسكن العرب جانبه الآخر. السكون يخيم على الشارع الا من سيارتي مرسيدس سوداوين تحملان رجالا ذوي شأن، وسيارتي بي. ام. دبليو حمراوي اللون، ذواتي غطاء قابل للطي، تحملان نساء ذوات شأن، من بائعات الهوى اللاتي يعرضن في مقابل خمسمائة دولار، نزهة بالسيارة، ثم اقامة لوقت قصير في فندق او في نزل صغير بين احضان الطبيعة في غابات بولونيا.

الأمر الذي يدعو الي السخرية، انه في الجانب الذى يسكنه اليهود، في فوتش افينيو، يقع من منزل كان من المحتمل ان يكون ملكا «الملك مصر» «فؤاد فاروق» البالغ من العمر التاسعة والثلاثين عاما، الابن الوحيد للملك فاروق.

الحرفان الأولان من اسمه f.f علي مدخل البناية الضخمة التي تتكون من ثلاثة طوابق، من زجاج نوافذ حجرة الجلوس التي تضم مكتبة مصنوعة من خشب الجوز، يلوح في الافق برج ايفل من فوق صف شقق المليونيرات في جانب الشارع الذي يسكنه العرب.

على جدران الحجرة، صورة شخصية ضخمة لمحمد علي مؤسس الاسرة ومنشئ السلالة الحاكمة، واخرى للخديو اسماعيل، وصورة فوتوغرافية للملك فاروق بصحبة الملك عبد العزيز، وصورتان شخصيتان لفاروق، واحدة منهما وهو في السادسة عشرة من عمره، مرتديا حلته الملكية في أول أيام تتويجه ملكا، والثانية وهو في الثامنة والعشرين عندما بدأ وزنه في الازدياد،

وتمثال نصفي من الرخام الاسود للملك فؤاد فوق منضدة خشبية في احدي زوايا الحجرة.

في الحجرة ايضا، العلم المصري، وآرائك طويلة تم تنجيدها بالقماش الاخضر المصري المخملي الناعم ، ومسلة من الرخام ، وسيوف معقوفة الحافة معلقة بالحائط ، ولوحات فنية لمناظر علي النيل من تصوير الملكة السابقة فريدة ، وصور فوتوغرافية لملوك آخرين عليها توقيعات اصحابها :الحسن ملك المغرب ، حسين ملك الأردن ، وامراء سعوديون .

الامير فؤاد، كما يعرفونه هناك ، يعمل في مجال العلاقات العامة باحدي الشركات العالمية متعددة الجنسيات ، والتي ترغب في مد نطاق اعمالها الي العالم العربي، ومن ثم تمثل لهم علاقات الامير فؤاد الوطيدة بملوك وحكام عرب أهمية كبري ، انه نوع العمل الذي سعي من اجله فاروق وهو في منفاه لكنه لم ينجح في الحصول عليه.

ولد فؤاد في ١٦ يناير ١٩٥٢ ، وعندما أجبر والده علي التنازل عن العرش في يوليو ١٩٥٢ ، كان تنازله لصالح الامير الرضيع، الذي أصبح منذ ذلك الوقت الملك فؤاد الثاني ، وقد اصطحبه والده فاروق معه الي المنفي في ايطاليا ، ليس فقط من اجل الحفاظ علي حياة الطفل ، ولكن ايضاً كورقة يمكن ان يستعملها في لعبة الدول التي كانت تمارس في ذلك الوقت علي نطاق واسع.

وفي ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، ألغي مجلس قيادة الثورة في مصر الملكية ، واعلن قيام جمهورية مصر ، ومنذ ذلك اليوم يكون قد انتهي رسميا حكم سلالة محمد علي التي استمرت في الحكم منذ عام ١٨٠٥.



- هل اغتالت المخابرات المصرية الملك إرضاء لقائدها ناصر؟
- الملك عبدالعزيز دعا فاروق للإقامة فى السعودية وتعهد بإعادته إلى عرشه خلال ستة أشهر
- مأساة حياة فاروق أنه فقد فرصته فى أن يكون حاكما عظيما لمصر

بعد استقرار فاروق فى المنفى وصلته برقيتان الأولى من أمه الملكة نازلى من كاليفورنيا ولم يكن قد تحدث إليها منذ عام ١٩٤٨ عندما حرم عليها وعلى شقيقته الصغرى فتحية دخول مصر بعد العلاقة التى ربطت بين فتحية ورياض غالى الدبلوماسى المصرى القبطى وزواجها منه وهو الذى كان عشيقا لنازلى من قبل.. وفى برقيتها تمنت نازلى لفاروق السلامة والحظ الطيب.

والبرقية الثانية التى وصلت إلى فاروق بعد عزله كانت من الملك عبدالعزيز يقول الأمير فؤاد: «طلب الملك عبدالعزيز من والدى السفر إلى السعودية والعيش فيها ووعده بأن يعيده مرة ثانية إلى عرشه فى خلال ستة أشهر لكن والدى مكث فى ايطاليا ولم ير أمه أو مصر مرة ثانية.. وطوال حياته كان والدى دائم الحديث عن عودته وفى اعتقادى أن ذلك كان السبب الذى من أجله قاموا بقتله.

كان فؤاد مقتنعا بأن والده قد اغتيل بيد المخابرات المصرية التى كانت تواقة ومتلهفة لكى تفعل شيئا ترضى به قائدها ناصر.. «ربما لم يكن ناصر الذى أصدر القرار بالقتل وربما أدار ناصر وجهه إلى الاتجاه الآخر ساعة اتخاذ القرار.. وعلى كل الأحوال فقد كان فى عام ١٩٦٥ يشعر بالقلق.

أدلى فؤاد بأحاديث إلى الصحافة العربية قال فيها إن رجلا من رجال المخابرات المصرية قد أقر بأن مهمته الرئيسية كانت التجسس على فاروق فى روما بالإضافة إلى أن اثنين من رجال المخابرات المصرية كانا فى مطعم فرنسا الايطالى فى اليوم نفسه الذى توفى فيه فاروق أثناء تناوله العشاء.

وأضاف فؤاد فى حديثه للصحافة ان خليلة صلاح نصر رئيس المخابرات المصرية كانت قد كتبت فى مذكراتها فى عام ١٩٨٨ أنهم دسوا لفاروق السم..

«لم تطلب العائلة فى ذلك الوقت تشريح جثة فاروق لمعرفة سبب الوفاة، فقد كنا جميعا فى ذهول وكنت أنا وقتها فى الثالثة عشرة من عمرى».

فؤاد الذى لم يعد إلى مصر منذ لحظة خروجه منها يقول: منذ سنوات قليلة لم يكن هناك ذكر لفاروق لكن الآن هناك الكثير من المقالات والكتب التى تدور حول عصر فاروق باعتباره كان عصرا ذهبيا، الآن يرون أن فاروق كان صديقا لأمريكا وكان ضد الشيوعية ومع الاقتصاد الحر أى انه كان عكس ناصر تماما.. وعلى ضوء الفوضى المرعبة التى أصبحت عليها مصر أدركوا بعد فوات الأوان ان والدى كان صورة مشرفة.

كان فؤاد بنظارته وبشرته الشاحبة وشعره الناعم وسلوكه الرزين أكثر شبها بطالب علم فى جامعة السربون منه إلى حاكم مصر.. الأميرة فضيلة زوجة فؤاد مولودة بفرنسا لأسرة يهودية وكان اسمها دومينيك وكان قد قدمها إلى فؤاد شقيقها الذى كان زميله فى مدرسة لى روزى بسويسرا التى تخرج فيها شاه ايران والأمير رينيه وريتشارد هيلمز الرئيس السابق للمخابرات المركزية الأمريكية.

فى عام ١٩٧٧ تزوج فؤاد من دومينيك التى كانت على قائمة أفضل الأنيقات الفرنسيات وذلك بعد أن أشهرت اسلامها وسميت باسم فضيلة وكان شاهدا على عقد القران الذى عقد فى القصر الملكى بالمغرب الأمير رينيه والأميرة جريس.. وأنجب فؤاد ابنه الأكبر محمد على ثم ابنته فوزية ثم الابن الأصغر فخرالدين.

لم يكن فؤاد يحمل فى قلبه حقدا أو ضغينة ضد سهام التاريخ التى أطلقت على والده لكن ما كان يحزنه هو قلة معرفته بوالده فاروق، فعندما كان والده فى روما كان فؤاد واخواته غير الشقيقات فى مدارسهم السويسرية ولم يكن يجتمع شمل الأسرة إلا مرات قليلة فى العام ولمدة ساعة فى اليوم لأن فاروق كان يستيقظ بعد الظهر لسهره حتى الساعات الأولى من الصباح.

كان فى اعتقاد والدى أن روما غير آمنة على أطفاله لوجود عدد كبير من رجال المخابرات المصرية فيها لذلك بعث بنا للدراسة والعيش فى سويسرا ولأن والدى كان يحب روما كثيرا بالرغم من علمه ان بقاءه فيها يمثل خطرا

على حياته فقد أصر على أن يعيش فى روما وأن يمتع نفسه دون أن يهتم كثيرا برجال المخابرات.. لقد كان والدى رجلا شجاعا.

وتحدث فؤاد فى شىء من سعادة خفية بأن لامبسون السفير البريطانى فى مصر وهو الشخص الوحيد الذى كرهه والده قد تم استبداله بسفير آخر، كما انهم فى بريطانيا كانوا قد غيروا سياساتهم تجاه الهند وأنكروا على لامبسون كل ما قام به فى تنفيذ سياسات بريطانيا الامبريالية هناك.

لقد كان كبرياء لامبسون هو الذى دمر كل فرصة سنحت للبريطانيين لانقاذ سمعتهم بين المصريين كما كان كبرياؤه أيضا هو الذى قدم لفاروق الفرصة لكى يكون حاكما عظيما.. لكن كيف فقد فاروق فرصته هذه فى أن يكون حاكما عظيما؟.. ان فى الاجابة على هذا السؤال مأساة حياة فاروق.

كان فؤاد فى توق شديد لكى يدرك سبب سقوط والده لكنه لكى يدرك سبب ذلك السقوط كان عليه أن ينظر فى حياة وأعمال فاروق التى أدت به إلى النهاية المأساوية لحياته.

إن من ينظر إلىّ الخط البيانى الذى يدل على حكام مصر من الفراعنة إلى فاروق تلك الفترة التى امتدت لخمسة آلاف سنة يجد فترات انحدار مرت بمصر فى القرون الحديثة.. فكيف كان يمكن لفاروق أو أى حاكم آخر مقارنة بالحكام الأسطوريين الذين حكموا مصر مثل توت عنخ آمون، رمسيس، كليوباترا، صلاح الدين، محمد على، أن يقف فى وجه ذلك الانحدار.

وبالرغم من أن ظلال الحكام الذين حكموا مصر قبل فاروق يمكن أن تحجب بعض الشىء حكم فاروق صبى مصر الذهبى الذى نهل من خير ونعيم مصر، الآن مصر قد تطلعت اليه ليأخذ بيدها إلى المستقبل فى الوقت نفسه الذى لا يمكنها فيه نسيان ماضيها العظيم الذى لا تتفوق على عظمته آية مدنية أخرى.

أراد المصريون من فاروق أن يقوم بمهمته الكبيرة وهى أن يقوم بإخراج الانجليز من مصر وكسر قيود الامبريالية التى رزحت تحتها مصر.. وكانت فرصة فاروق كبيرة فى أن يلحق بعظماء التاريخ المصرى لو كان نجح فى أداء تلك المهمة.. لقد كان البريطانيون محل كراهية شديدة من المصريين وكان من الممكن لفاروق أن يصبح مخلص مصر المنتظر لو استطاع اخراج الإنجليز من مصر.

لم يكن العرب هم المسئولين عن احراق مكتبة الاسكندرية العظيمة فذلك العمل الوحشى لم يكن من صنعهم، أما الفاتحون العرب فهم فى حقيقة أمرهم كانوا متسامحين مع الأقباط وما يدل على تسامحهم هذا هو انهم أوكلوا اليهم القيام بأعمال جمع الضرائب، أيضا احترم العرب مدينة الاسكندرية وكانت تقاليدها محل احترامهم أيضاً، لكن مدينة الإسكندرية كانت قد بدأت بالفعل منذ سنوات فى الذبول والاضمحلال.

بعد أن استوالى العرب على مدينة الاسكندرية كتب القائد العربى المنتصر عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب فى الجزيرة العربية قائلاً: «كل ما يمكننى قوله إن المدينة التى أصبحت فى حوزتنا تحتوى على ٤ آلاف قصر و٤ آلاف حمام و٤٠٠ مسرح و١٢٠٠محل بقالة و٤٠ ألفا من اليهود»..

ولم يهتم العرب كثيرا بمدينة الاسكندرية فقد كانوا ينظرون ببصرهم فى اتجاه الصحراء، على العكس من اليونانيين والرومان الذين كانوا ينظرون فى اتجاه البحر.. ولم يهتم العرب كذلك عندما قام بعض مواطنى فنيسيا بسرقة جثة سان مارك من الاسكندرية وتهريبها داخل برميل يحوى لحم خنزير حتى لا يثيروا فضول مسئولى الميناء من المسلمين.

ولما كان العرب غير مكترثين بالاسكندرية وبالبحر والتجارة لأنهم كانوا يريدون عاصمة صحراوية لمصر لذلك فقد وقع اختيارهم على مدينة جديدة بالقرب من منف القديمة وفى مكان حصن رومانى كان يسمى حصن بابليون، واسموا المدينة الفسطاط التى نمت وكبرت بسرعة.. أما اسم القاهرة فقد كان اسما لأحد أقسام الفسطاط وهو الاسم الذى أصبح فى النهاية اسما للمدينة بأكملها «القاهرة».

انها قاهرة القرن الخامس عشر وليست بغداد التى وقعت فيها الأحداث الحقيقية لليالى العربية «ألف ليلة وليلة» والتى جاء فيها: «من لم ير القاهرة فهو لم ير العالم.. ترابها ذهب، نيلها عجب، نساؤها مثل حوريات الجنة، ونسيمها عليل يبهج القلب».

عاشت القاهرة فى ازدهار وتقدم فى القرن الحادى عشر عندما كانت تتكون من نصف مليون من البشر يعيشون فى بنايات من خمسة طوابق، يرتفع إليها الماء العذب، وبها نظام صرف متقدم فى الوقت الذى كانت تعيش

فيه كل من لندن وباريس فى ظلام العصور الوسطى.. لكن كل مظاهر المدنية والحضارة تلك قد تم طمسها ومحوها عندما تعرضت مصر لانخفاض شديد فى مياه نهر النيل لسبع سنوات متتالية بدأت فى عام ١٠٦٦م وهو العام الذى غزا فيه النورمانديون انجلترا.

ان القاهرة التى أطلق عليها العرب اسم «أم الدنيا» كانت قد شهدت أياما عظيمة كذلك شهدت القاهرة أياما شديدة السوء.

عودة إلى فاروق الذى كان منذ صغره معزولا عن حقائق الحياة المحيطة به وإحدى هذه الحقائق كانت أمه الملكة نازلى التى منعها الملك فؤاد من القيام بواجباتها كأم نحو وريثه الذى أحاطه بالمربيات الانجليزيات.

فى السنوات العشر الأولى من حياة فاروق جعل الملك فؤاد من الملكة نازلى ماكينة لانجاب الأطفال فأنجبت له أربع بنات واحدة بعد الأخرى، وفى مقابل جهودها وضعها فؤاد داخل جناح الحريم بقصر عابدين الذى يحرسه خمسة من الخصيان النوبيين، ورئيسهم الاثيوبى ريزاه آغا، الذى يغلق جناح الحريم فى القصر من الساعة التاسعة مساء وحتى الرابعة صباحا.

لم تغادر نازلى أبدا جناح الحريم إلا فى مناسبات نادرة مثل افتتاح عرض للأوبرا أو حضور زواج ملكى أو السير فى جنازة ملكية وكانت تضع على وجهها حجابا ذلك الحجاب الذى كان على نساء مصر أن ترتديه فى الطريق العام طبقا للقانون حتى عام ١٩٢٧.

كانت وصيفات نازلى هن صلتها الوحيدة بالعالم الخارجى وكانت لمدام قطاوى اليهودية رئيسة الوصيفات مكانتها الكبيرة فى القصر فضلا عن كونها صديقة مقربة لعشيقة فؤاد اليهودية مدام سواريز.. كان من الواضح ان تواجد اليهوديات داخل حياة القصر أمر شديد الأهمية لليهود المصريين الذين كانوا يسيطرون على تجارة القطن وعلى أعمال البنوك والمصارف.

والوصيفة الأخرى لنازلى التى كان واجبها أن تكون جزءا من حاشية نازلى فى المناسبات الرسمية هى زينب ذوالفقار من اسرة عريقة، وزوجة قاض بمحكمة الاستئناف المختلط بالاسكندرية والتى ستصبح ابنتها صافيناز بعد ذلك الملكة فريدة زوجة الملك فاروق وذلك بعد وفاة الملك فؤاد.

لم يكن الملك فؤاد يسمح لمكائد ومؤامرات القصور أو لأى شىء آخر أن يضعف من قوة قبضته الحديدية على امور ابنه ووريثه ولأنه كان يعرف عن نازلى طموحها ومقدرتها على تحويل إدارة الأمور لصالحها إذا اتيحت لها الفرصة فقـــد منعها من التدخل فى أية أمور تتصل بفاروق وجعل مربيته آنا تايلور التى كان يدعوها فاروق باسم ننزى لا تتلقى أية تعليمات بشأن فاروق إلا منه هو شخصيا.

كان فاروق وهو صغير عندما كان يترك له الخيار فى أى من أمه أو مربيته يذهب إليها أولا لتقبيلها كان يختار مربيته.. ولما سألته أمه نازلى: «لماذا لا تأتى إلى لتقبلنى؟» أجابها فاروق الصغير «لأنك تضعين على وجهك كثيرا جدا من المساحيق الحمراء» واندفع فاروق إلى ذراعى مربيته طالبا حمايتها.

نازلى التى كانت سجينة جناح الحريم بعد زواجها من فؤاد ولمدة ستة عشر عاما كان لا يسمح لها فؤاد بزيارة ابنها فاروق إلا لمدة ساعة أو أكثر قليلا فقط فى اليوم وكان فؤاد يراقب كل مكالماتها التليفونية وكان تنصته على أحاديثها يكتشف أحيانا بواسطة سعاله اللاإرادى.

وبنفس القوة التى أمسك بها فؤاد بزمام الأمور داخل قصره استطاع أيضا أن يضع مقاليد البلاد كلها فى قبضته لولا ظهور خصمه الذى ارتدى عباءة الوطنية المصرية التى كان قد ارتداها من قبل احمد عرابى خصمه هذا هو سعد زغلول الزعيم الفلاح الذى كان طفلا عبقريا من الفلاحين وكان أول فصله فى الأزهر، وفى الرابعة والعشرين من عمره عمل قاضيا وفى عقده الخامس ترأس وفد المباحثات الذى كان من المقرر أن يذهب إلى لندن فى عام ١٩١٨ بعد نهاية الحرب العالمية الأولى للمطالبة بالغاء الحماية الأجنبية وباستقلال مصر.

لكن لندن رفضت تلك المطالب وجاء رفضها جافا وعلى نحو فظ الأمر، الذى أشعل الاضطرابات والقلاقل ومنذ ذلك الوقت اصبحت كلمة الوفد اسما للحزب الوطنى الجديد الذى سيكون له دور قوى فى السياسة المصرية .

وتفجر العنف.. سبعة بريطانيين قتلوا فى قطار، وألقى القبض على سعد

زغلول ونفى إلى مالطا.. وأعاد اللورد اللنبى سعد زغلول لكى يهدىء من عنف الاضطرابات والقلاقل.. وعلى مدى السنوات التالية كثرت المقترحات والمقترحات المضادة بين القاهرة ولندن فيما يتصل بالوجود البريطانى فى مصر.

عرف فؤاد ان نازلى زوجته تربطها علاقة قوية بصفية زغلول زوجة سعد زغلول التى تعتبرها امها بعد موت أم نازلى وهى صغيرة ولما كان فؤاد لا يريد لسعد زغلول أن تكون له أية علاقة بالقصر فقد دعاه ذلك الأمر إلى منع لقاءات نازلى بصفية زغلول بالإضافة إلى عزل فاروق لنازلى خلف جدران جناح حريم القصر.

لم يكن فؤاد يرغب فى أن يكون دمية فى يد الانجليز لكنه إذا تعرض للخيار بين أن يكون دمية للانجليز أو يكون لا شيء فهو يفضل الدمية عن اللاشيء.

وبعث فؤاد إلى لندن بوفد المباحثات الذى قصد أن يكون خاليا من سعد زغلول ولما كان على معرفة مسبقة برد فعل سعد ورد فعل الجماهير التى أحاطت بقصر عابدين فى مظاهرات احتجاج ضخمة ابتسم فؤاد لنفسه ولم ينتظر طويلا حتى علم برد الفعل الذى كان يتوقعه من البريطانيين وهو القاؤهم القبض على سعد زغلول ونفيه للمرة الثانية إلى جزيرة سيشل.

فى عام ١٩٢٢ العام نفسه الذى اكتشف فيه هاوارد كارتر مقبرة توت عنخ آمون فى وادى الملوك ألغى البريطانيون الحماية على مصر واعترفوا بمصر دولة مستقلة ذات سيادة، وألغوا قانون الأحكام العرفية الذى كان يطبق منذ بداية الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤ وقاموا بترقية فؤاد من رتبة سلطان إلى رتبة ملك.

منح الدستور فؤاد حق حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة وتعيين أربعين فى المائة من أعضاء مجلس النواب كما منح الدستور ايضا القوات البريطانية تحت قيادة اللنبى حق حماية أمن مصالح بريطانيا فى قناة السويس والمصالح الأجنبية الأخرى فى مصر والسودان وفى أعقاب ذلك نظم فؤاد حملة دعائية تنسب له وليس لزغلول أو أى شخص آخر كسب الاستقلال لمصر.

لكن يبدو ان سعد زغلول كانت له سبع أرواح فقد سمح له للمرة الثانية بالعودة سالما من سيشل وانتخب رئيسا للوزراء فى عام ١٩٢٤ وعلى قائمة برنامجه اخراج البريطانيين من مصر القوات والمدنيين.. وبدأ مسلسل اغتيال المسئولين البريطانيين الذين كان يطلق عليهم الرصاص فى وضح النهار وبلغت ذروة هذه الأحداث فى عام ١٩٢٤ عندما وقع حادث اغتيال السير لى ستاك القائد العام للجيش المصرى والحاكم العام للسودان أمام وزارة التربية والتعليم بالقاهرة.

وسعد زغلول الذى كان فى الرابعة والستين من عمره لم يكن لديه القدرة على مواصلة الوقوف خلف الحواجز والمتاريس.. كذلك كانت عجرفة البريطانيين وكبرياؤهم تمنعهم من الخروج من مصر، وحتى لا يعرضوا مصالحهم فى قناة السويس للخطر والقطن المصرى الذى يزود مصانع لانكشاير.

استقال سعد زغلول وحل محله فلاح آخر من الدلتا يتسم بالحذر هو مصطفى النحاس الذى صاحب زغلول فى المنفى فى سيشل.. كان النحاس يعمل موظفا صغيرا فى مكتب للبرق والهاتف حتى يدفع نفقات تعليمه القانونى وكان رجلا بسيطا غير متكلف وجهه يشبه وجه جمل وعيناه تنظران فى اتجاهين متعارضين «عين تنظر إلى صعيد مصر وأخرى تنظر إلى الدلتا» كما كان يقول المصريون فى دعاباتهم.. وكانت للنحاس أيضا لمسته الشعبية التى وجدها فؤاد ظاهرة جديدة مزعجة مثل الظاهرة الزغلولية.

فى عام ١٩٢٥ نجح الأمير سيف الدين شقيق الأميرة شفيقة الذى حاول اغتيال فؤاد فى الهروب إلى القسطنطينية ومن هناك بدأ يشن حملة هجوم قانونية على فاروق بهدف استرداد ثروته الضخمة التى صادرتها الدولة عند صدور الأوامر باعتقاله وأصبح يديرها الملك فؤاد لصالحه.

وقد تسربت معلومات تفيد بأن الذى كان وراء الدعوى القانونية التى رفعها الأمير سيف الدين لم يكن سوى النحاس الذى حصل على اتعاب تزيد على مائة ألف جنيه مصرى.. وكان ان استقال النحاس من منصبه كرئيس للوزراء أمام غضب الشعب الذى كان فى صفه وإلى جانبه.

لقد استطاع فؤاد أن يهزم منافسه النحاس عن طريق المعلومات التى

جمعتها له شبكة جواسيسه التى ورثها فاروق فيما بعد وأفسدها وكانت تضم هذه الشبكة جواسيس من البوابين فى فندق شبرد إلى محررين بالصحف ومن ضباط بالمخابرات البريطانية إلى موظفين فى حزب الوفد وضمت أيضا سفرجية سودانيين ونوبيين منتشرين فى بيوت العائلات المصرية الكبيرة.. كان لفؤاد عيون وآذان فى كل مكان فى مصر فقد ثبت له ان المعرفة والمعلومات قوة.

وبعد وفاة سعد زغلول فى عام ١٩٢٨ وضع البريطانيون عيونهم على مصطفى النحاس فقد رأوا انه من الممكن أن يكون صديقهم فى القصر بدلا من أن يكون عدوا فى الشارع.. فى ذلك الوقت كان فؤاد ملك مصر لاينازعه فى حكمه أحد قادرا على أن يحكم بلاده حكما استبداديا مطلقا تماما مثلما كان يحكم عائلته فى القصر.

جيردا سوبرج المربية السويدية الوحيدة من بين طاقم المربيات الانجليزيات اللاتى جلبهن فؤاد للأمير الصغير فاروق قدمت وجهة نظر لحياة القصر الملكى فى مصر فى العشرينيات من هذا القرن وذلك فى يومياتها التى نشرتها فى سلسلة حلقات بعد تنازل فاروق عن العرش فى عام ١٩٥٢.

روت جيردا كيف كانت تقلها السيارة من محطة الرمل فى الاسكندرية إلى قصر رأس التين بواسطة طبيب الملك فؤاد الخاص د. شاهين الوحيد غير المخصى الذى كانوا يسمحون له بدخول جناح الحريم وكيف التقت فؤاد لفترة قصيرة ووصفته بأنه كان مكتنزا ويشبه صقرا سمينا ويتحدث باللغة الفرنسية حتى مع زوجته الملكة نازلى.. تحدثت أيضا جيردا عن الصغير فاروق الذى كان فى الرابعة من عمره فى ذلك الوقت وكان يتكلم الانجليزية بطلاقة وعندما قاموا بتقديم جيردا له ألقى بذراعيه حولها وقال: «أنا سعيد جدا لرؤيتك انت مربيتى ألست كذلك؟».



- المربيات يفرضن نظاماً صارماً لتربية الملك والأم تتعمد إفساد الطفل الصغير
- نازلى تسرق كعكات الكريم والمعجنات وتعطيها لفاروق من وراء ظهر والده
- الملك يتبرع بمصروفه الشخصى للفقراء العاملين بالقصر
- المربية الإنجليزية تنهر أم الملك وتؤكد لها: جلالتك لا يمكنك رشوة السماء

جاء فى مذكرات جيردا أن فاروق الصغير كان يبدأ يومه فى الثامنة صباحاً، عندما تقوم فرقة موسيقية صغيرة بإيقاظه وذلك بعزف النشيد الوطنى المصرى له وهم أسفل نافذته، وبعد ذلك كان خادم مغربى يقوم بتجهيز حمام الأمير، ثم تساعده جيردا على ارتداء ملابسه وتجالسه وهو يتناول الشاى وشرائح الخبر بالزبدة ومربى البرتقال.

وبعد الإفطار، يدخل الحجرة محمد رئيس خدم فاروق من الرجال وهو يرتدى روباً أحمر مطرزاً، ويقبل الأرض ثم يقبل يد فاروق، وبعد ذلك يقوم باصطحاب فاروق إلى جولة فى حدائق القصر، حاملاً مظلة يحجب بها شمس الصيف الحارقة عن رأس الأمير.. وكان على فاروق أن يجلس فى الحديقة لمدة ساعة كاملة من العاشرة وحتى الحادية عشرة، حتى يتعلم الصبر، بينما كانت جيردا تقص عليه حكايات، أو تعزف له الفرقة الموسيقى ويؤدى بعض تمرينات الجمباز.

فى الحادية عشرة تغسل جيردا يدى فاروق وتمشط شعره حتى يقوم بزيارة أمه نازلى فى جناح الحريم، وبعد مكوثه ساعة مع نازلى، يذهب فاروق إلى قاعة الطعام بالقصر حيث يجلس بمفرده إلى طاولة تتألق بالفضيات والزهور، ليتناول غداءه الذى يقدمه له خادمان نوبيان يرتديان الروب الأخضر والقفاز الأبيض. وكان غداء فاروق فى العادة يتكون من دجاج مشوى وفاصوليا خضراء وكعكة الشيكولاتة، وعنب، ويلى تناول طعام الغداء قيام جيردا بتغيير ملابس الأمير الصغير حتى يذهب لينام فى سريره لمدة ساعتين.

فى الساعة الرابعة والنصف يستيقظ فاروق من نومه، ليبدأ فى ارتداء حلة خضراء حريرية بياقات بيضاء وأزرار معدنية فى طرف كم القميص، بعد ذلك يتناول فاروق الشاى فى القصر مع شقيقاته الأميرات، ثم يذهب للعب

فى الحدائق حتى الساعة السابعة وهو موعد مثوله للمرة الثانية بين يدى أمه نازلى لمدة نصف ساعة فى جناحها.. وبعد أن يفرغ فاروق من زيارته لأمه.. تعيده جيردا ثانية إلى حجرته، وهناك يساعده الخدم النوبيون فى أخذ حمامه المسائى، ويأتى بعد ذلك دور القصص التى تجلب النوم للأمير الصغير، والتى كانت تقصها عليه غيرداً.

كان فاروق مفتوناً بالصبى جان ابن أخت جيردا الذى يعيش فى السويد، فوضع صورته الفوتوغرافية إلى جانب سريره، واعتبره صديقه، فلم يسمح له والده الملك فؤاد بأن يصادق أحداً فى نفس عمره.

روت جيردا فى يومياتها عن الملكة نازلى التى كانت تشعر بالملل الشديد، حيث إنها كانت تعيش وحيدة مع خادماتها ومع الرجال المخصيين المسموح لهم بدخول جناح الحريم، كانت نازلى لا ترى زوجها الملك فؤاد إلا فى أندر الأوقات، وأطفالها لا يزورونها إلا فى أوقات محددة وقصيرة، وكان غير مسموح لها بالتجول فى حدائق القصر، وكل ما تبقى لها أن تفعله طوال يومها هو ارتداء أثوابها العديدة أمام المرآة، أما الحدث الوحيد والكبير فى حياتها فكان فى وقت الصيف عندما يحين موعد انتقال العائلة الملكية من القصر الرسمى فى رأس التين إلى قصر المنتزه.

كانت المسافة بين قصر رأس التين وقصر المنتزه لا تزيد على بضعة أميال على كورنيش البحر المتوسط، إلا أن التحضير لمغادرة العائلة الملكية وحاشيتها قصر رأس التين كان يتطلب ثلاثة أيام لحزم الأمتعة، وقد تسبب فقد قبعة من قبعات نازلى المفضلة فى حدوث أزمة قبل الرحيل، وهى القبعة التى عثر عليها فيما بعد. وفى يوم الانتقال هذا كانت نازلى ترتدى ثوباً من الشيفون الأصفر، وفاروق يرتدى حلة حريرية بيضاء والطربوش الأحمر يغطى رأسه وكان عليه أن يلتقى والده فؤاد الذى يظل بقصر رأس التين ليباشر شئون الدولة، وكان وداع الابن والأب العاطفى شيئاً يثير العجب، فمن يره يعتقد أن فاروق يستعد للسفر إلى دولة أخرى، أو انهما لن يرى كل منهما الآخر مرة أخرى.

وعلى سلالم الدرج الرخامى الذى افترشتها سجادة حمراء يهبط كل من فاروق ونازلى والحاشية إلى حيث السيارات المنتظرة ومئات الضباط الذين

يؤدون التحية للملكة وللأمير، وطوال الرحلة القصيرة على الكورنيش كان فاروق يبدو سعيداً لتعرفه على العالم الحقيقى الموجود خارج جدران القصر، وكان على نازلى ان ترتدى حجاباً وأن يكون فى حراستها عدد من أفراد الحرس.

وصفت السويدية جيردا قصر المنتزه وكأنه جنة عدن بزهوره النادرة، والغزلان، والطيور الملونة، ذلك القصر المحاط بسور مرتفع والذى يضم بداخله ثلاثمائة بستانى لا يفعلون شيئاً طوال يومهم سوى سقاية أرض الحدائق. وتمر أيام الصيف على أفراد العائلة الملكية فى قصر المنتزة فى رتابة وملل، غير أن اختلافاً كبيراً يطرأ على أحوال قصر المنتزه عند زيارة الملك فؤاد الذى لا يكف عن إثارة الزوابع لأقل سبب، وكان فاروق يقضى معظم وقته بالقصر فى اللعب مع قطته الصغيرة المدللة، وفى تحطيم الزهريات الثمينة النادرة.

وحدث مثير آخر لساكنى القصر بعد حدث الانتقال إلى قصر المنتزه فى فصل الصيف، هو السفر بالقطار إلى القاهرة فى شهر أكتوبر لقضاء فصل الخريف هناك وكان فؤاد وحاشيته يسافرون فى قطار، وكانت نازلى تسافر فى قطار آخر، بصحبة فاروق الذى كانت له عربة خاصة به، وطوال رحلة القطار لم يكن فاروق يحول وجهه عن نافذة القطار التى يتعرف من خلالها على العالم الخارجى، حيث الفلاحون الذين يقومون بزراعة القطن والأرز، والأبقار المعصوبة العينين فى الحقول الممتدة على مدى البصر فى الدلتا، والبدو فوق ظهور الجمال، والقرويون الفقراء فى أكواخهم الطينية وقد خرجوا لكى يعبروا عن ولائهم وإجلالهم للأمير الصغير.

وكان على فاروق عند كل توقف للقطار بالمحطات المزينة بالأعلام والمزدحمة بأفراد الرعية أن يخرج اليهم من أجل أن يتلقى تحياتهم وهتافاتهم.

كانت محطة قطارات القاهرة، أشبه بحديقة نباتات للزهور الموجودة فى كل مكان تحية لوصول العائلة الملكية. وبالرغم من أن الملكة نازلى كانت مرتدية الحجاب وتحميها مظلة سوداء يمسك بها رئيس طاقم حرسها ، فإن السويدية جيردا استطاعت أن ترى نازلى وهى تقطر من العرق بسبب المجوهرات الكثيرة التى كانت تتزين بها .

الجـمـيـع كـانوا ينحنون أمـام نازلى وفـؤاد وفـاروق وهـم يهـبطـون الدرج المفـروش بالسـجـاد الأحمـر، أثناء عزف الفـرقـة الموسـيـقـيـة للنشـيـد الوطنى المصـرى، وأيضـاً وهـم يسـتـقـلون العـربات الملكيـة التى تجـرهـا الخـيـول، وطوال الطريق الذى يتخذه الموكب الملكى من محطة القطارات وحتى قصـر عـابدين كانت الجماهير تهتف للملك.

عربة فـؤاد الملكيـة، الشـديدة الشـبـه بعـربة «كاروز» الفـرنسيـة فى القرن السابع عشر، ذات عجلات مذهبة وخيول بيضاء ثمانية مزينة بقطع نسيجية حمـراء مطعـمـة بالذهب، ويحيطهـا عشـرون حارسـاً من فوق ظهـور خيـولهم البيضاء. وبعد عربة فؤاد الملكية كانت تسير عربة رئيس الوزراء التى تجرها ستة خيول سوداء، ثم بعد ذلك تأتى بقية العربات التى تجرها أربعة خيول، ويستمر الموكب لساعات إلى أن ينتهى عند الساحة الأمامية لقصر عابدين المرصوفة بالطوب الأحمر الذى يشبه سجادة حمراء هائلة. إنه موكب من مواكب ألف ليلة وليلة.

كانت السويدية جيردا تجد سعادة كبيرة فى أيام عطلاتها، عندما تخرج من القصر لتتجول فى القاهرة القديمة التى تعشقها بروائح البخور والثوم والقهوة، كانت تصعد أعلى مئذنة مسجد أحمد بن طولون لكى تشاهد غروب الشمس على المساجد والقصور والأهرامات، ثم بعد ذلك تذهب بمفردها إلى الفنادق الفخمة، مثل شبرد وسافوى والكونتيننتال، لتراقب الباشاوات وهم يسددون نظراتهم النهمة إلى أجساد السائحات الغربيات فى ثيابهن الشفيفة وهن يرقصن، بينما زوجات هؤلاء الباشاوات فى جناح الحريم الذى تم إغلاقه عليهن منذ غروب الشمس.

تروى جيردا عن الطقوس المحمومة المصاحبة لكل يوم انتقال للعائلة الملكية من قصر عابدين الرسمى فى القاهرة إلى القصور الريفية التى كانوا يقضون فيها اجازات نهاية الأسبوع مثل قصر القبة فى ضاحية مصر الجديدة. وتروى جيردا أيضاً عن طقوس شهر رمضان غير المسموح فيه بالطعام أو العطور أو التدخين من أول ضوء للنهار وحتى غروب الشمس، وعن الخدم الكسالى، وعن فؤاد الذى يكون أكثر غضباً من المعتاد فى شهر رمضان، والذى كان يطعم عشرين فقيراً لكى يعفى نفسه من الصيام عن الطعام الذى يحبه كثيراً.

كتبت جيردا فى مذكراتها عن فاروق الذى كان يكذب كثيراً، وعن نازلى التى كانت تحاول بكل السبل اختلاق حيلة أو ذريعة للخروج من جناح الحريم، وعن زعمها بأن نوبات من الانهيار العصبى تهاجمها بين الحين والآخر، حتى يسمح لها فؤاد بالسفر إلى أوروبا للعلاج، ولم يوافق فؤاد على سفرها على ظهر اليخت الملكى إلا بعد أن زوده بحواجز حتى حوله إلى جناح للحريم طاف فوق الماء، وبعد أن حذرها من التقاط صور فوتوغرافية لها دون أن تكون مرتدية الحجاب.

زارت جيردا جدة لفاروق وأرملة الخديو إسماعيل فى الثالثة والثمانين من عمرها، وقد صبغت شعرها ورموش عينيها بالحناء الأحمر الداكن اللون، وكانت بذراع واحدة فقط، كانت عبدة سابقة فى جناح الحريم، وأمسك بها وهى تسرق فقطعوا ذراعها عقاباً لها، وعندما شاهدها إسماعيل أذهله جمالها وجعلها واحدة من زوجاته الأربع غير المائتين الأخريات، فضلاً عن النساء الأجنبيات وأكثرهن شهرة الامبراطورة الفرنسية أوجينى.

كانت جيردا تبذل وسعها فى أن يصلح فاروق من سلوكه حتى يكون مثل صديقه بالمراسلة جان، الذى كتب له فاروق خطابات وبعث إليه ببذور نبات القطن لكى يرى ما إذا كانت هذه البذور يمكن أن تنبت عند تعرضها لشمس منتصف الليل فى السويد.

وبعودة جيردا إلى اسكندنافيا، انتقلت كل مسئولياتها باعتبارها مربية فاروق إلى السيدة آنا تايلور، أرملة طبيب من يوركشاير، إلى جانب لوسى سيرجنت التى كانت تغنى لفاروق الأغنيات التى تغنيها الأمهات فى المرتفعات الاسكتلندية لحمل أطفالهن على النوم، وأيضاً بعض أغنيات الأطفال الأيرلندية، واستمر فاروق حتى عام وفاته فى إرسال برقية تهنئة لمربيته لوسى سيرجنت فى عيد ميلادها كل عام، بعكس آنا تايلور التى لم يكن لديها أغنيات لتغنيها لفاروق، والتى كانت مثل ضابط صارم متشدد يمثل التقاليد البريطانية صرامة.

كانت العائلة الملكية تقضى أيام العام بين أربعة قصور: عابدين، القبة، رأس التين، المنتزه، المقر الرئيسى هو قصر عابدين فى القاهرة الذى بناه الخديو إسماعيل على الطراز الإيطالى، ويعد أكثر القصور فخامة فى العالم،

بقاعته الشهيرة المصنوعة من رخام الألباستر البيزنطى. وبالتماثيل المصنوعة بالحجم الطبيعى من الموزاييك لفتيات راقصات عاريات، وصالون قناة السويس بلوحات التصوير العملاقة التى تذكر باحتفالات افتتاح القناة، والمسرح الذى يضم خمسمائة مقعد مطلى بالذهب، والمرآب الذى يسع مائتى سيارة.

وعلى الطرف الاخر من القاهرة، وعلى بعد عشرة أميال من قصر عابدين، فى منطقة هليوبوليس التى كانت فى الأزمنة القديمة قصراً لإله الشمس رع، كان قصر القبة المكون من أربعمائة حجرة، والذى بناه أيضاً الخديو إسماعيل.

اعتبر فؤاد قصر القبة ملجأه الشخصى، بجدرانه العالية وحدائقه الواسعة والبحيرات وحمامات السباحة، والخيول، والجمال، وأيضاً محطة قطارات خاصة، و كان فؤاد يفضل الإقامة فى قصره الريفى قصر القبة على الإقامة فى قصر عابدين الرسمى، كذلك كان فاروق الصغير يقيم فيه فى فصل الشتاء فى القاهرة بداية بشهر أكتوبر وحتى مايو.

وأثناء الصيف كان مجلس الوزراء بكامله ينتقل إلى الاسكندرية، حيث كانت شئون الدولة كلها يديرها فؤاد من قصر رأس التين، وكانت العائلة الملكية، تنتقل من رأس التين إلى المنتزه فى شهور الصيف، وهناك فى قصر المنتزه كان بناء مدرسى صغير قام ببنائه فؤاد على شاطىء البحر لكى يتلقى فيه فاروق دروسه، فقد خطط فؤاد بعناية لتعليم ابنه فاروق منذ السادسة من عمره.

بعد رحيل جيردا سوبرج إلى السويد، تزايد النظام الذى كان يتبعه فاروق صرامة، فأصبح عليه أن يستيقظ مبكراً فى السادسة صباحاً، فى الوقت الذى كان يؤدى فيه فؤاد تمريناته الرياضية، وبعد أن يتناول فاروق افطاره، يبدأ المدرسون فى تدريسه من التاسعة حتى وقت تناول الغداء فى الساعة الواحدة ظهراً، ثم بعد الانتهاء من طعامه يركب فاروق الخيل ويتعلم السباحة وتسلق أشجار النخيل تحت إشراف المدربين.

فى رأى فؤاد الدراسة تأتى فى المقام الأول بالنسبة لابنه فاروق، وكان فؤاد، وهو الذى لم يكن يتحدث باللغة العربية، شديد الاهتمام بأن يتعلم ابنه فاروق البارع فى اللغات الأجنبية، لغة الشعب الذى يعده لحكمه.

لكن فاروق كان لا يحب الدرس والتحصيل، وما يؤكد عدم حبه للتعلم والمعرفة تلك الملاحظات التى كتبها مدرسوه فى كراساته التى تم العثور عليها فى قصر عابدين بعد عام ١٩٥٢ مثل «حسن خطك الردىء» واهتم بنظافة كراستك»، ومثل «الملاحظة التى كانت تحمل تقريباً: من المؤسف انك لا تعرف تاريخ أسلافك».. لكن بعض المدرسين الآخرين لم ينجوا من مرض التملق الذليل لابن الملك، فهذا مدرس متملق يكتب ملاحظة يقول فيها: «ممتاز.. ينتظرك مستقبل مشرق فى عالم الأدب».. وكان ذلك المديح موجهاً لفاروق الذى كتب مقالاً قصيراً يحتوى على سبعة أخطاء فى الهجاء وفى تركيب الجمل.

عرف فؤاد ميل عائلته للسمنة، فكان يجبر نفسه على عدم تناول أى طعام سوى الفواكه ليومين متتالين، وأيضاً أجبر ابنه فاروق على نظام غذائى أكثر قسوة، لا لكى يحافظ على رشاقة فاروق فقط، وإنما أيضاً لكى يؤكد سلطاته فيما يتصل بالمطبخ على نازلى التى كانت مهتمة بتناول فاروق لطعام يزيد من وزنه. لذلك كانت نازلى تسرق كمكات الكريم والمعجنات عالية الزبدة والسكر وتقدمها إلى فاروق، وكانت المربية تايلور تصادر على الفور هذه السرقات وتلقى بها فى سلة القمامة، فى الوقت الذى لا يجد فاروق أمامه لسد جوعه الشديد سوى طعام العشاء الخاص بالقطة.

من أحب الهوايات إلى قلب فاروق هواية قيادة السيارات فكان وهو فى السادسة من عمره يقود سيارته الكهربائية، أما السيارة الحقيقية التى قادها فاروق فهى السيارة أوستن «٧» هدية فؤاد له عند بلوغه سن الحادية عشرة، وبعد ذلك أهداه ملك إيطاليا سيارة فيات، وفى الخامسة عشرة من عمره أهداه والده سيارة سباق موريس.

منذ صغره، وفاروق محب للخير ومحب للناس، فعندما كان يتسلم من والده فؤاد فى أول كل شهر خمسة جنيهات مصروفه الشهرى، على الفور كان يعطى جنيهين منهما إلى عائلة فقيرة تعمل بالقصر، وثلاثة الجنيهات الأخرى يساعد بها أطفالاً فقراء من خدم القصر لشراء كتب يحتاجون إليها فى استذكار دروسهم.

كتبت المربية تايلور فى مذكراتها: «كان عطفه على خدمه وولاؤه

لأصدقائه من صفاته الجوهرية.. فبينما هو يركب الخيل فى يوم من الأيام، فقد دبوساً من الماس، وعندما ألقى القبض على أحد العاملين بالقصر بعد شهور، وهو يحاول بيع الدبوس الماسى، توسل فاروق لوالده أن يعفو عن السارق بعد أن يعتذر له، لكن والده رفض، ومنذ ذلك اليوم لم يرتد فاروق أبداً أية مجوهرات أثناء ركوبه الخيل، وقال تعليقاً على ما حدث: «من الخطأ أن نخاطر بوضع المغريات أمام الفقراء».

كانت الألفة تجمع بين فاروق وخدم قصر عابدين الذين كانوا ينقسمون إلى قسمين: الانجليز والإيطاليين. من الانجليز كانت السيدة تايلور، ورئيس سائقى فؤاد، وراكبو الدراجات البخارية المرافقة للموكب الملكى، والصيدلى تيتر نجتون، الذى كان فاروق يدعوه باسم تيترز، والذى كان متخصصاً فى تذوق طعام الملك وابنه. ومن الإيطاليين، كان ارنستو فيروسى، رئيس معمارى فؤاد، وبيترو ديللا فاللى مصفف شعر القصر، وانتونيو بولى، الذى أصبح الصديق الوحيد من الرجال لفاروق. وكان فاروق دائماً يختلق الكثير من المبررات للتهرب من معلميه حتى يمكنه التسكع مع بولى وأصدقائه الإيطاليين فى مرائب القصر، الذى تعلم منها فاروق الكثير من النكات والكثير عن النساء.

كانت الملكة نازلى تستعين بخادماتها من أجل أن يقمن بتهريب فاروق إليها حتى يجلس معها وقتاً أطول من الوقت الذى حدده فؤاد، وبعد أن تنجح إحدى خادماتها فى تهريب فاروق من حجراته بالجناح البلجيكى إلى جناح الحريم، يجلس فاروق بصحبتها وبصحبة عرافتها التى كانت لا تفارقها. فنازلى مثل زوجها تعتقد فى الخرافات ولكنها كانت تفوق فؤاد فى انغماسها بكليتها فى مسائل التنجيم والسحر، بالإضافة إلى ذلك كانت نازلى ترسل تبرعات إلى مساجد القاهرة فى كل ليلة توافق يوم ميلاد كل طفل من أطفالها، لأنها كانت تنتظر دائماً ابناً آخر، وهو الشىء الذى عنفتها بشأنه المربية الانجليزية تايلور قائلة لها: «جلالتك لا يمكنك رشوة السماء».

حجرة نوم نازلى التى كانت تعقد فيها جلسات تحضير الأرواح والتى كان يحضرها فاروق، ربما كان لها تأثير كبير على فترة مراهقة فاروق، فعلى جدار الحائط فوق سرير نازلى بستائره الحريرية واطاره المذهب، كانت هناك

لوحة تصوير بالحجم الطبيعى لعارية شقراء تتمدد فى إغراء، وكانت قاعة الاستقبال المجاورة لحجرة نوم الملكة نازلى تحتوى أيضاً على مزيد من صور العاريات الفاتنات ولوحات تصور مشاهد حسية من حكايات ألف ليلة وليلة.

وربما أيضاً زيارات فاروق لمخدع والده فؤاد كانت لها تأثير كبير على مراهقة فاروق الذى كان يشاهد رئيسة خادمات فؤاد الشركسيات تفترش سجادة نادرة أسفل السرير الملكى وتنام عليها كل ليلة، فضلاً عن خمس تركيات كن متواجدات فى مدخل حجرة فؤاد، ينتظرن أية إشارة منه.



- مصر تخلع ثوب الحداد على وفاة الملك فؤاد وتستقبل ابنه الملك الجديد بطلقات المدفعية
- فاروق يترك دراسته بلندن ويعود لتولى الحكم فى سن السادسة عشرة
- كراهية المصريين لفؤاد تحولت إلى حب لفاروق فى أيامه الأولى
- الملك يرث عن والده ١٠٠ مليون دولار و١٠٠ ألف فدان و٢٠٠ سيارة وخمسة قصور ويختين وقطاراً خاصاً

كان أول ظهور رسمى لفاروق أمام المصريين فى عام ١٩٣٢، وهو فى سن الثانية عشرة، وقتها مثل والده فى حضور معرض للقوات الجوية الملكية فى مطار هليوبوليس.

وبعد مرور عام واحد تم تعيين فاروق قائدا لكشافة مصر.. فى ذلك الوقت كان الملك فؤاد يعد ابنه فاروق ليكون سلاحه السرى الذى يدفع به عن العائلة الملكية الهجوم الذى تتعرض له.

بعد أن ضعفت ثقة المصريين فى النحاس بعد تورطه فى قضية الأمير سيف الدين تطلعت جماهير المصريين إلى حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين.

كان البنا يعتقد أن مصر أصبحت مستنقعا للرذيلة، بعد أن استبعدت العمل بتعاليم القرآن واتجهت بأنظارها إلى الغرب، وتطلع بعض المصريين أيضا إلى جماعة اليد الزرقاء التى تكونت بهدف مقاومة الخطيئة فى المجتمع.

حاول الملك فؤاد أن يرد على زعيم جماعة الإخوان حسن البنا من خلال ابنه الصغير فاروق الذى جعله يتوضأ فى مكة ويؤدى الصلاة خمس مرات فى اليوم، ويقدم عطاياه للفقراء، رغم أن بذلته تزينها أزرار الماس وسياراته حديثة، وينتمى حتى النخاع إلى القصر.

عند وصول المندوب السامى البريطانى مايلز لامبسون إلى مصر نصح الملك فؤاد بأن يرسل ابنه فاروق إلى كلية ايتون فى انجلترا لكى يتلقى تعليمه فيها، لكن الكلية رفضت قبول ملك مصر فى المستقبل لفشله فى اجتياز امتحانات القبول بها ولعدم معرفته باللاتينية واليونانية وتسبب ذلك فى حرج لمصر وللعائلة الملكية، وفكر فؤاد فى إلحاق فاروق بأكاديمية تورين العسكرية.

فى ذلك الوقت كانت سحب الحرب تتجمع فى الأفق فى عام ١٩٣٥، حيث غزا موسولينى الإيطالى أثيوبيا، وتعرضت قناة السويس لخطر حقيقى.. ومن جديد نصح لامبسون فؤاد بالعدول عن فكرة سفر فاروق إلى إيطاليا، وإلحاقه بالأكاديمية العسكرية الملكية فى وولوتش بإقليم سارى بانجلترا، ووافق فؤاد على الفكرة، لكن الملكة نازلى لم ترغب فى مغادرة فاروق لأسرته، وكالمعتاد كانت معارضتها لا وزن لها.

وفى أواخر أكتوبر عام ١٩٣٥ وقبل أن يبحر فاروق وبصحبته عشرون من الحاشية، على متن السفينة دوفر شاير إلى انجلترا، وعلى المعبر الخشبى الموصل للسفينة جاهد الأمير فاروق لإخفاء دموعه قبل مغادرته الإسكندرية لمدة عامين يقضيهما فى انجلترا.

وللمرة الثانية يفشل فاروق فى اجتياز اختبار القبول مسببا لوالده ذعرا فى القاهرة.

كان معلم فاروق الأكاديمى أحمد محمد حسانين المحب لانجلترا، وكان معلمه العسكرى عزيز المصرى الذى يبغض انجلترا، وقد أرسل حسانين تقاريره إلى مصر عن فاروق يقول فيها إنه على ما يرام، أما تقارير المصرى فقد كانت مختلفة تماما، فقد أوضح فيها أن فاروق يترك دراسته التأهيلية قبل امتحانات القبول ويذهب إلى لندن للشراء وزيارة دور البغاء فى حى ماى فير.. وكان من السهل على الملك فؤاد تصديق تقارير حسانين المبشرة على تقارير عزيز المصرى الكئيبة.

فى ٢٩ أبريل ١٩٣٦، انتهت قصة فاروق مع لندن إثر موت والده فؤاد فى عمر التاسعة والستين بنوبة قلبية، وقد عجل بالموت جرح من إثر رصاصة قديمة أصابت عنق فؤاد.

وفى الوقت الذى كانت حاشية فاروق فى انجلترا تحزم حقائب العودة إلى مصر ذهب فاروق ليودع صديقه دوق وندسور فى بكنجهام بالاس فى لندن، الذى أصبح فيما بعد إدوار الثامن ملك انجلترا الذى تنازل عن العرش لكى يتزوج من السيدة سيمبسون.

وركب فاروق سفينة فرنسية عبرت به القنال الإنجليزى، ثم استقل القطار إلى مارسيليا ومنها ركب السفينة فايسروى أوف أنديا التى أقلته إلى

الإسكندرية، وعلى ظهر السفينة فايسروى كانت باربارا سكيلتون التى أصبحت خليلته بعد سنوات.

فى الساعات الأولى من صباح ٦ مايو رست السفينة فايسروى أوف أنديا وهى تحمل فاروق فى ميناء الإسكندرية الذى أضىء بالأنوار والزينات بعد أن تحول الحداد على فؤاد إلى مهرجان للترحيب بفاروق، حيث ارتفعت الأعلام من عند منتصف الساريات إلى كامل ارتفاعها، وأطلقت السفن البحرية البريطانية إحدى وعشرين طلقة مدفعية تحية لفاروق.

وغادر فاروق السفينة إلى اليخت المحروسة الذى أوصله إلى شاطىء قصر رأس التين حيث كانت تعزف فى حدائقه الفرقة الموسيقية الملكية النشيد الوطنى المصرى.

واستقبل على ماهر الملك الجديد وصحبه فى سيارة رولزرويس مكشوفة اتخذت طريقها على الكورنيش حتى محطة الرمل، وهناك استقلا قطارا خاصا إلى القاهرة، وطوال الطريق كانت الآلاف من جماهير المصريين تلوح بالتحية والهتاف للملك الجديد.

على جانبى القطار فى طريقه عبر الدلتا، احتشد الفلاحون لمشاهدة الملك فاروق، وعند توقف القطار فى محطة قطارات القاهرة، كان فى استقبال الملك المندوب السامى البريطانى مايلز لامبسون وأعضاء البعثة الدبلوماسية بالقاهرة، ثم ركب فاروق سيارة رولزرويس سارت به وسط هتافات الجماهير إلى أن توقفت عند مسجد الرفاعى بجوار القلعة، وهناك أدى فاروق الصلاة على روح والده عند القبر الرخامى الذى يحمل رفاته، ثم قام بمعانقة العديد من طلبة الأزهر بعماماتهم وأرديتهم البيضاء.

من مسجد الرفاعى توجه الموكب إلى قصر عابدين الذى تنتظره فيه أمه وشقيقاته، وكان الميدان الفسيح أمام القصر يمتلىء بأعداد لا تنتهى من طلبة الكشافة، لتحية رئيس كشافة مصر الذى أصبح ملكا.

وفى اليوم التالى مباشرة، ومن شرفة قصر عابدين، ألقى فاروق أول خطاب له إلى المصريين جاء فيه «بعينى أشاهد حبكم لى وتضامنكم معى، وأقول لكم إننى عازم على بذل كل الجهد من أجل العزيزة مصر، وأعدكم أننى سأكرس حياتى لخدمتكم».

كانت فرحة الشعب بفاروق اختلطت بشعورهم بالارتياح لذهاب فؤاد، وقد عبرت صحيفة نيويورك تايمز عن أحوال مصر فى ذلك اليوم وقالت: «بالرغم من أن مصر كانت فى حالة حداد رسمى لوفاة الملك فؤاد، فإن البلاد جميعها كانت، وبصورة تبعث على الدهشة، قد احتفظت بمظاهر حياتها اليومية العادية، فكل شخص فى طريقه إلى عمله كالمعتاد، وماعدا منظر الأعلام التى كانت فى منتصف سارياتها، والشريط الأسود الذى يحيط بصور الملك فؤاد، فلا شىء هناك يدل على أن حاكم البلاد قد توفى فى اليوم السابق.

إذا كان فواد قد نجح فى أن يكون أقوى وأغنى رجل فى البلاد، فهو أيضا نجح فى أن يحصل على أكبر قدر من مقت المصريين وبغضهم وكراهيتهم، لقد كان فؤاد يملك بمفرده سبع مساحة الأراضى الصالحة للزراعة فى مصر، وكان يستخدم قانون مصادرة الملكية الشخصية لصالحه ولزيادة أملاكه من الأرض والعقارات والمقتنيات ولذلك ورث فاروق ثروة تقدر بأكثر من مائة مليون دولار أمريكى، مستثمرة فى أوروبا وفى مصر، بالإضافة إلى أكثر من مائة ألف فدان من أجود أنواع الأراضى الزراعية فى مصر، ومائتى سيارة وخمسة قصور، ويختين، وعدد كبير من الاستراحات الملكية وبيوت لرحلات الصيد من البحر المتوسط وحتى السودان وقطار خاص.

لكن المصريين لم يضمروا حسدا لفاروق على ما ورثه من أموال وأراض وعقارات وغيرها من ثروات، فمنذ عصر الفراعنة والمصريون يحملون التوقير والتبجيل لحكامهم، ويعيشون حياة تتسم بالقبول والرضا.. وهكذا بدأ فاروق حكمه دون أى مناقشة أو اعتراض أو ضغينة، وهى بداية لم تتحقق لفرعون أو حاكم لمصر قبل فاروق.

كذلك لم يسبق لمصر أن حكمها حاكم غير مؤهل ومعد للحكم مثل فاروق البالغ من العمر ستة عشر عاما، والذى لم يحصل إلا على القليل جدا من التعليم.. ولأن فاروق كان كذلك فلم يلق إلا الترحيب من جميع الاتجاهات، من المواطنين، والإمبرياليين، والدستوريين، والملكيين، فكل فريق كان ينظر إليه باعتباره عجينة لينة يمكنه تشكيلها وفق هواه.

أجريت انتخابات جديدة فاز فيها حزب الوفد بأكثر من ٨٠٪ من مقاعد

مجلس النواب، والنحاس الخصم القديم أصبح رئيسا للوزراء، وعاد إلى دائرة الضوء والنفوذ من جديد بعد أن نسى الجميع تورطه فى قضية سيف الدين.

لكن الملك الجديد، كان فى انتظار خصوم أقوياء من المصريين، وخصمه اللدود البريطانى مايلز لامبسون ومكائد ومؤامرت من داخل الأسرة الملكية من الأمير محمد على الوريث للعرش بعد فاروق، فضلا عن هتلر وموسولينى اللذين كانا ينظران بعيون نهمة إلى قناة السويس.

كان هناك اقتراح يقضى بعودة فاروق إلى انجلترا لاستكمال تعليمه، لأنه طبقا للقانون الإسلامى، لم يكن قد بلغ سن الرشد وهو الثامنة عشرة، وأن قضاءه سنتين فى انجلترا فرصة له حتى يكتسب نضجا، وفرصة أيضا لمصر لتستعد لحكمه.. لكن الملكة نازلى لم تسمح لابنها بأن يغيب عن بصرها مرة أخرى بعد عودته.

وللتوفيق بين مصالح الأسرة الحاكمة، تقرر تكوين مجلس وصاية من ثلاثة أفراد لإرشاد فاروق حتى يبلغ سن الثامنة عشرة، ويتكون المجلس من «الأمير محمد على حفيد الخديو إسماعيل وابن الخديو توفيق، وهو محب للإنجليز وللحياة الإنجليزية، ويهوى تربية الخيول وجمع اللوحات الفنية، وقصره فى المنيل بجزيرة الروضة والمطل على النيل وتظله الأشجار يضم بعضا من أعظم كنوز الإمبراطورية العثمانية».

وكان رئيس مجلس الوصاية، عبدالحميد عزت الدبلوماسى الذى قضى ثلاث سنوات سفيرا لمصر فى لندن، كان قد أوصاه فؤاد قبل وفاته بمنع ابن عمه الأمير محمد على من محاولة اغتصاب عرش ابنه فاروق، وبالفعل كان رأى عزت ألا يغادر فاروق مصر حتى لا يترك العرش مطمعا للأمير محمد على.

وحين تم الاتفاق على بقاء فاروق فى مصر، اقترح لامبسون أن يجلب لفاروق معلمين انجليزا من انجلترا، لأنه كان يعتقد أن تعليم فاروق من قبل معلمين إنجليز سوف يضمن للامبسون أن يكون فاروق مواليا لبريطانيا.. وبالفعل سافر لامبسون إلى مدرسته القديمة، كلية ايتون، لكى يلتقى ناظرها حتى يرشح له المعلم المناسب لتعليم فاروق فى القاهرة.

كان معلم فاروق هو إدوارد فورد، الذى نال فيما بعد لقب سير بعد أن

أصبح سكرتيرا شخصيا للملكة إليزابيث، وقال لامبسون لإدوارد فورد المرشح للسفر إلى القاهرة لتعليم فاروق «ليس مطلوبا منك أن تجعل منه عالما، كل ما هو مطلوب منك أن تعلمه كيف يسلك ويتصرف مثلما يسلك ويتصرف صبى إنجليزى فى مثل عمره» وأدرك فورد مبلغ سهولة المهمة.

ومنذ البداية، كان فاروق يعتقد أن فورد ليس إلا أحد الجواسيس البريطانيين الذى جلبه لامبسون لكى يتجسس عليه، وكان فاروق يبتدع حيلا من أجل أن يتفادى دروس فورد التى لا تزيد على ساعة كل يوم، فكان فاروق أثناء الحصة لا يكف عن طلب الخدم لكى يأتوا له ببعض البرتقال، بالإضافة إلى أن فاروق كان يصر على أن يعرض لمعلمه الشاب بعضا من كنوز العائلة، أو أن يصحبه فى جولة بواحدة من سيارات السباق الحمراء الثمانى.

فى يناير ١٩٣٧، وجه أحمد حسانين الدعوة لإدوارد فورد لكى ينضم إلى رحلة فاروق الملكية التى تستمر لمدة شهر فى الصعيد، والتى يستقلون فيها يختا يسير بهم فى النيل، وكانت هذه الرحلة مصدر سعادة للملكة نازلى وبناتها لأنها ستخرجهن من جناح الحريم الذى اعتاد فؤاد إغلاقه عليهن.

استقل فاروق والملكة نازلى وبناتها اليخت الملكى قاصد خير، الذى كان يتقدمه عدد من البواخر والقوارب النيلية التى تقل أفراد الحكومة والسلك الدبلوماسى، وحرس فاروق، وعدداً من سيارات الرولزرويس والكاديلاك.. وقد كتب فورد فى مذكراته عن الرحلة حول ألقاب المسافرين على ظهر اليخت، الباشا لقب الشخص الذى يبدو مهما، والبيه، لقب للشخص الذى يعتقد هو أنه مهم، ولقب أفندى للشخص الذى يأمل فى أن يكون مهما.. كان لقب باشا، وبيه يمنحهما الملك، أما لقب أفندى فهى طريقة مهذبة لمخاطبة أفراد على قدر محدود من التعليم.

سجل فورد أيضا فى مذكراته رحلة فاروق البحرية إلى أوروبا فى أبريل عام ١٩٣٧، وقال استقل فاروق من بورسعيد الباخرة فايسروى أوف أنديا ومعه أمه وشقيقاته وأحمد حسانين، وفريق الحاشية المكون من ٣٢ شخصا، بالإضافة إلى سبعة أطنان من المنقولات وأكثر من مائتين وخمسين حقيبة، وتعرض فورد للحادث المؤسف الذى وقع للملكة نازلى عندما تحرش إنجليزى سكير بها وكانت برفقة أحمد حسانين، الذى حاول أن ينبه الرجل أنها ملكة مصر، إلا أنه لم يرتدع لولا تدخل قبطان الباخرة.

وتحدث إدوار فورد عن هواية فاروق الأثيرة لديه، وهى قذف الآخرين فى سان موريتز بكرات الثلج، وهى الرياضة الشتوية التى لا يملها فاروق، فقد كان يقذف كرات الثلج فى وجوه الباشوات المرافقين له فى الرحلة، وكذا صوب دبلوماسى سويسرى، وفى وجوه الفتيات الجميلات وموظفى الفنادق والخدم.. وعن نوم فاروق حتى الساعة الرابعة بعد الظهر، وعن قضائه لأوقات طويلة أمام ماكينات القمار فى بهو فندق سان موريتز.

وكانت لنازلى أيضا مغامراتها فى تلك الرحلة، فقد كانت تحتسى الشامبانيا وتضرب أرض البار بالفندق بكعب حذائها، وقد راقصت الملكة نازلى فورد واعترفت له أثناء الرقص بأنها لم تكن تحمل لزوجها فؤاد أية عاطفة: «عندما تزوجت، كنت فقط أنتج أطفالا»، ثم سألته قائلة «هل تعتقد أننى يمكن أن أجد الرجل الذى أحبه؟».

وأجابها فورد «أتمنى ذلك»، ثم انسحب مسرعا إلى حجرته.

وكانت الإجابة عن سؤال الملكة نازلى، تشير إلى أحمد حسانين الذى كان يرافقها ويتبعها إلى كل مكان، فبعد هذه الرحلة لم تعد علاقتهما تأخذ صفة السرية.

فيما كان موسولينى يستعد لغزو أثيوبيا فى عام ١٩٣٥ كانت حمامات الدم تسيل من جراء ممارسات هتلر، وكان السفير البريطانى بالقاهرة مايلز لامبسون يدرك أن النظامين الديكتاتوريين، عيونهما على مصر وقناة السويس، وأدرك لامبسون أن هناك روابط تربط القاهرة الملكية بروما الملكية منذ أن قام البريطانيون بنفى الخديو إسماعيل إلى إيطاليا، ونزل ضيفا على الحكومة الإيطالية فى سافوى هاوس، كذلك الملك فؤاد الذى صاحب والده الخديو إسماعيل إلى المنفى الإيطالى وظل متذكرا للضيافة الإيطالية وناقما ليد البريطانيين الباطشة، ولذلك كانت الإيطالية لغته الأولى وإيطاليا حبه الأول، وكان القصر يمتلىء بالموظفين الإيطاليين.

ونظرا لقلق لامبسون البريطانى من تعاطف فاروق مع إيطاليا والإيطاليين، وضع على عاتقه مهمتين أساسيتين، الأولى أن يقطع الصلة التى تربط مصر بإيطاليا، والثانية أن يبتعد بفاروق عن الإيطاليين، ولكى يحقق لامبسون مهمته، حاول أن يظهر بريطانيا فى صورة الدولة التى تقدم

المساعدة لمصر فى قبولها عضوا بالأمم المتحدة، وفى موافقة بريطانيا على إلغاء الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة رمز السيطر الأجنبية.

فى المقابل كان على مصر أن توافق على وجود عشرة آلاف جندى بريطانى وأربعمائة طيار فى منطقة قناة السويس، عند مغادرة قواتها القاهرة والإسكندرية، على أن تعود إليهما عند الضرورة فى حالة نشوب حرب لحماية مصر.

كان لامبسون أكثر فهما للوضع الدولى من المصريين، لذلك كان مشوقا لكى يوقع المعاهدة المصرية الإنجليزية التى وافق عليها أعضاء البرلمان بأغلبية ٢٠٢ صوت مقابل ١١ صوتا ضد الاتفاقية، ولقد تكشف الأمر بعد عشرين عاما، حيث كانت الاتفاقية ضد المصريين على طول الخط.

بعد وفاة الملك فؤاد، أصبح فاروق على قائمة أولويات جدول أعمال لامبسون، فى أول لقاء بينهما بعد أن أصبح ملكا، أطرى لامبسون على الملك الجديد بمقارنة ظروفه بظروف الملكة الشابة فيكتوريا عندما تولت العرش.. لكن الملكة فيكتوريا كان لديها وإلى جانبها اللورد مليورن الماكر لإرشادها، لذلك سيكون السير لامبسون إلى جانب فاروق يرشده وينير له الطريق.

أخبر فاروق السفير البريطانى لامبسون أنه ينوى التحرك ببطء وحرص واضعا فى ذهنه دائما شعار والده «الصبر» كما أخبر لامبسون فاروق بشعار عائلته «لا تقلق، ولا تدع شيئا يثيرك»، وأنهى لامبسون أول مقابلة له مع الملك الجديد، وهو يحذره بشىء من تحفظ من تملق الإيطاليين له.

بعد توقيع المعاهدة، أصبحت مصر فى قبضة لامبسون، ومع تظاهر فاروق باستغراقه فى مطالعة الكتب الإنجليزية التى وعد لامبسون بقراءتها، استطاع لامبسون أن يعود إلى حياته العادية مع زوجته جاكلين لامبسون التى بدأت تقيم حفلات عشاء وجلسات شاى.

بدأت النيران تشتعل فى عام ١٩٣٧، وهرب هيلاسى لاسى من أديس أبابا، وأحكم موسولينى سيطرته على أثيوبيا التى أصبحت إمبراطورية فاشية.. واشتعلت الحرب الأهلية فى أسبانيا، وغزا اليابانيون الصين واستولوا على بكين وشنغهاى.. فى روسيا نفى الشيوعيون تروتسكى الذى استقر بالمكسيك.. وخوفا من المستقبل المنذر بالسوء، وقع الرئيس الأمريكى

روزفلت وثيقة الحياد، بينما أصبح تشامبرلين رئيسا لوزراء بريطانيا، وبدأ فى سياسة تهدئة هتلر.

فى ٢٩ يوليو ١٩٣٧، بلغ فاروق ثمانى عشرة سنة قمرية، وطبقا للقانون الإسلامى، يكون قد بلغ سن الرشد، وعلى ذلك يتم حل مجلس الوصاية، ويحل وقت تتويج فاروق ملكا على مصر، ذلك التتويج الذى تفوقت احتفالاته على احتفالات تتويج الملك جورج السادس.

كان عدد سكان العاصمة القاهرة فى ذلك الوقت مليون نسمة وقد تضاعف عددها بوصول الفلاحين من كل البلاد، بعد تخفيض أجور السفر بالبواخر النيلية والأتوبيسات المتهالكة وقطارات السكك الحديدية، وكانت المدينة تبدو من بعيد وكأنها شعلة من الأنوار تجذب إليها راكبى ظهور الجمال والحمير لمشاهدة الطبل والزمر ورقص التحطيب.

فى الساحات العامة ذبح الجاموس والأغنام وأقيمت الولائم للفقراء مجانا، وارتفعت أقواس النصر من الأهرامات وحتى القلعة، والأعلام الخضراء وصور فاروق الملك.

أما الفلاحون الذين لم يغادروا أكواخهم الطينية فى قراهم من قبل كانت رحلتهم إلى القاهرة فى ذلك اليوم أشبه بحلم جميل.

فى السادسة من صباح ٢٠ يوليو بدأت مدافع قصر عابدين تطلق أعيرتها النارية.. فاروق فى زى فيلد مارشال الأبيض، يدخل مركبته الملكية المذهبة تجرها خيول، يتبعه الحرس الملكى فى زيهم الذى يجمع ألوان الأبيض والأزرق والذهبى والطرابيش الحمراء فوق رءوسهم.. كان من المفروض أن يتقلد فاروق سيف محمد على الذهبى لكنهم فى القصر لم يعثروا له على أثر، وعندما تقرر أن يتقلد السيف الذهبى للملك توت عنخ آمون وجدوه صغير الحجم.

فى السيارة الرولزرويس بدت الملكة نازلى سافرة ومرتدية زيا حديثا، والأميرات الأربع شقيقات فاروق وأعمارهن بين السابعة والسادسة عشرة كن يرتدين ثيابا بيضاء أنيقة أشبه بثياب أليس فى حفل شاى ببلاد العجائب، وقبعات بيضاء كبيرة.. واستمر موكب التتويج يجوب شوارع القاهرة وسط أصوات الموسيقى وهتافات الجماهير على الجانبين.

فى البرلمان الذى اجتمع للاحتفال بمناسبة التتويج، أرجع النحاس إلى فاروق فضل حصول مصر على استقلالها، وعلى عضويتها بالأمم المتحدة، وعلى إلغاء الامتيازات الأجنبية.

كان لامبسون يجلس فى الصف الأول وقد علت وجهه ابتسامة ذات مغزى، لأنه كان يعلم جيدا أن الفضل فى ذلك يرجع إليه شخصيا وليس إلى فاروق.

صعد فاروق إلى المنصة، وحلف اليمين وألقى خطابا باللغة العربية، سعدت به الملايين من الفلاحين الذين استمعوا إليه عن طريق مكبرات الصوت فى شوارع القاهرة، وأيضا فى القرى التى أدخلوا إليها أسلاك الكهرباء خصيصا لتلك المناسبة «الملك هو خادم البلاد الأول، والفقراء غير مسئولين عن فقرهم، وعليهم أن يحصلوا على ما يستحقونه من غير سؤال.. فمن حق الفقير أن يجد العلاج إذا مرض والتعليم الذى يحرره من الجهل».

الشىء الذى أدهش لامبسون أن ما جاء فى خطاب فاروق، يظهره وكأنه يقف ضد مصالح طبقته.. ابتسم لامبسون وراح يتابع خطاب فاروق الذى لم يفتح كتابا، والذى كان يحصل على إجابات أسئلة الامتحان من معلميه.. ها هو فاروق غير المتعلم المخادع، يخاطب شعبه فى فصاحة ويقطر لسانه عسلا مثل دزرائيلى.

يقول فاروق فى خطابه «إننى مستعد لبذل التضحيات من أجل القيام بواجباتى كاملة.. أنا فخور بكم وبولائكم، وأنا مثلما أثق فى الله أثق فى مستقبل مصر.. دعونا نعمل معا، حتى ننجح ونكون سعداء.. يحيا الوطن».

استمرت احتفالات التتويج ثلاثة أيام، تضمنت حفلات رقص، ومآدب للطعام والشراب فى القصر، واستمر توزيع الطعام على الفقراء، واستعرض فاروق قوات الجيش فى استعراض عسكرى فى العباسية، وزار قبر والده فى مسجد الرفاعى، وحيا من شرفة قصر عابدين شباب الكشافة وشابات المرشدات، وارتدى بدلة بسيطة وقاد سيارته إلى المناطق الفقيرة فى المدينة ليوزع النقود على المؤسسات الخيرية.. وفى القصر احتفل الملك الجديد مع ضيوفه من كبار القوم حتى الفجر، لقد غمر البلاد الشعور بالتفاؤل والأمل فى المستقبل.



- الشعب المصرى يحتفل بزفاف الملك وفريدة فى مهرجان حافل
- هتلر يهدى فاروق قافلة مرسيدس والعرب قدموا حصانا واليهود صندوق مجوهرات
- توقفت طلقات المدفعية عند الطلقة ٤١ فعرف فاروق أنه بشر بأنثى
- فاروق يعطى فريدة شيكاً بـ ٢٠ ألف دولار وخاتما من الماس ويقدم لها مجوهرات بـ ٣٠٠ ألف دولار فى حفل الزواج

بعد التوفيق الذى أحرزه فاروق فى مجال الدعاية والعلاقات العامة كملك، استقل القطار الملكى ومعه أمه وشقيقاته وتوجه إلى الاسكندرية لكى ينعم بالجلوس إلى شاطئ بحر قصر المنتزه.. وبعد أيام قليلة فقط فى ٢٤ اغسطس كان فاروق على صدر صفحات الصحف العالمية مرة ثانية، لكن هذه المرة كانت بسبب خطوبة الملك.

كانت خطيبة الملك فى الخامسة عشرة من عمرها، اسمها صافيناز ذو الفقار، من أسرة كبيرة لها أصول تركية، والدها يوسف ذو الفقار قاض فى محكمة الاستئناف المختلطة بالاسكندرية، ووالدتها زينب وصيفة الملكة نازلى.

فى نظر نازلى كانت صافيناز صغيرة الجسم انيقة جميلة من الطبقة البورجوازية العليا، تتحدث الفرنسية بطلاقة، فضلا عن أنها لا تجرى فى عروقها الدماء الملكية على الرغم من انها تبدو كذلك، وهذا هو كل ما تريده نازلى من صافيناز لتكون زوجة لابنها الملك، ففى اعتقاد نازلى أنه ما دامت العائلة الملكية ستضم ملكتين فهى تريد ان تكون الأولى، ايضا كانت نازلى لا ترغب فى ان يتزوج ابنها اميرة من الاميرات الكثيرات اللاتى كن يضعن عيونهن عليه، فهى دائما كانت تشعر بالقلق تجاهه لأنهن أميرات وهى من عامة الشعب.. ومن هنا فإن صافيناز ابنة وصيفتها هى من وقع اختيار نازلى عليها لتكون زوجة لابنها وهى متأكدة من ولائها لها. وكان فاروق مطيعا لامه فى رغبتها هذه كما توقعت منه.. قاد فاروق سيارته «الفا روميو» الحمراء المكشوفة من قصر المنتزه على الكورنيش متوجها الى فيللا ذو الفقار، وبصحبته عمر فتحى الذى كان يفضل فاروق صحبته خلال قيادته السريعة للسيارات، ربما لعدم شكواه من جنون سرعة الملك وهو خلف عجلة القيادة.

عند باب فيلا ذو الفقار حيا أحد السفرجية الملك وأخبره ان القاضى وزوجته ليسا بالفيلا، وطلب منه فاروق التحدث إلى صافيناز، وعندما

حضرت صافيناز سألها فاروق عن والدها فأجابته أنه فى طريقه إلى لبنان لقضاء اسبوعين، وأنه غادر الفيللا فى اليوم نفسه متوجها إلى بورسعيد، ومن هناك يستقل الباخرة إلى بيروت.

وعلى الفور، اتصل فاروق برئيس شرطة الاسكندرية، وطلب منه عدم مغادرة الباخرة المتجهة إلى لبنان من ميناء بورسعيد وابلاغ القاضى ذو الفقار بالعودة إلى الاسكندرية.

وفى قصر المنتزه مثل القاضى ذو الفقار امام الملك فاروق الذى عرض عليه الزواج من ابنته صافيناز.. كان من رأى القاضى أن كلا من فاروق وصافيناز صغار السن على الزواج، وان عليهما ان يؤجلا فكرة الزواج الى عدة سنوات قادمة، لكن فاروق ونازلى لم يستمعا إليه، وتوصلا إلى حل وسط وهو ان ينتظر بضعة أشهر، ويكون يوم عقد قرانهما فى ٢٠ يناير ١٩٣٨.

فى اليوم التالى من لقاء الملك بالقاضى، اصدر الملك قراراً بترقية القاضى من درجة بيه الى لقب باشا، كما منح السيدة ذو الفقار ارفع لقب تحصل عليه امرأة مصرية.

وفى الاسبوع التالى وبمناسبة عيد ميلاد خطيبته، اهدى فاروق صافيناز شيكا بمبلغ خمسين الف دولار امريكى وخاتما من الماس، كما اهداها ايضا اسما عربيا جديدا «فريدة» يبدأ بحرف «ف» المفضل عند والدة فاروق، بدلا من الاسم الفارسى صافيناز، والذى يعنى «الوردة النقية».

بدأت البلاد تستعد لمهرجانات باذخة اخرى بمناسبة أول زفاف ملكى مصرى منذ عهد الفراعنة، ففؤاد كان قد تزوج من نازلى قبل ان يصبح ملكا.. وفريدة بعد نازلى.. هى ثانى ملكة لمصر منذ كليوباترا.

مستندا إلى ثقته بنفسه، اقدم فاروق على أول عمل سياسى له وكان اقالة رئيس الوزراء النحاس، الذى لم يكن يثق فيه فاروق باعتباره ثوريا قديما ومن الزغلوليين «نسبة إلى زعيم ثورة ١٩١٩ المصرية سعد زغلول» وكان يعتبره عدوا للقصر.. وقد اتخذ فاروق هذه الخطوة عندما بدأ النحاس يسعى لإصدار قرار من البرلمان بطرد مجموعة من الايطاليين العاملين بالقصر الذين يرأسهم انتونيو بولى، باعتبار ان الدولة التى تتحمل دفع رواتبهم لها الحق فى طردهم وليس الملك.

لقد استشعر فاروق ان تدخل النحاس فى امتياز يتعلق بالملك وبصفة خاصة فيما يتصل بانتونيو بولى أعز أصدقائه يعد إهانة للملك.

فى مكان النحاس عين فاروق محمد محمود رئيسا للوزراء، الذى كان منذ سنوات زغلوليا، لكنه اصبح بعد ذلك حليفا قويا للملك فؤاد.. وقد غضب لامبسون لاقالة النحاس ولعدد الوزراء الموالين للايطاليين فى حكومة محمد محمود الجديدة، فى الوقت الذى دفع فيه موسولينى بقوات اضافية الى ليبيا المجاورة، بعد اعلانه عن طموحه فى أن يلعب دوراً اكبر فى العالم العربى والإسلامى.

وقرر لامبسون ان يلقى على فاروق درسا صغيرا، فذهب إليه فى قصر عابدين فى ديسمبر عام ١٩٣٧، ناصحا له بأنه من الخطر اقدامه على اقالة النحاس فى الوقت الذى يتمتع فيه حزب الوفد باغلبية فى البرلمان.

فى ابريل ١٩٣٨ وفى أول انتخابات اجريت لاختبار حكومة فاروق الجديدة، حقق الملك اغلبية الأصوات، ولم يحصل الوفد على ما كان يتوقع من أصوات، ولم يصدق الشعار الذى كان يرفعه النحاس: «الملك يتولى الحكم ولا يحكم» وكان أن برهن الملك الذى عرف كيف يحصل على حب الجماهير انه يمكنه ان يتولى الحكم، وان يحكم فى الوقت نفسه، وقال انه اذا كان حزب الوفد هو حزب الجماهير فإن الجماهير تفضل حزب الملك، لقد عرف فاروق الذى كان يوزع عشرين الف زوج احذية على الفلاحين الحفاة ان يضع حزب الوفد فى مأزق وأن يجبر لامبسون على ان يسحب درسه الصغير الذى لقنه فاروق فى قصر عابدين.

فى يوم زفاف الملك فاروق، تقرر ان يكون عطلة لكل المصريين، وتم تخفيض اجور وسائل النقل بنسبة ٧٠٪ حتى تتاح الفرصة لملايين القرويين التى زحفت يوم تتويجه من الصعيد والدلتا الى القاهرة فى حر يوليو لكى تعود ثانية إلى القاهرة فى برد يناير لحضور زفاف الملك السعيد.

بدأت القاهرة استعدادها لمهرجان الزفاف الملكى.. فشوارع القاهرة يغمرها الضوء، وكل ميدان يزينه تاج ملكى ضخم ملون بالوان زاهية، وعلى النيل العوامات والقوارب تزينت بالاعلام والأضواء.

فى اليوم السابق ليوم الزفاف وقف فاروق فى شرفة قصر عابدين المطلة على الميدان الفسيح ليرد على تحية من جاءوا من انحاء مصر لتهنئته

بالزفاف، وجماعات من اطفال دور الحضانة الصغار جاءوا ليغنوا اغنية كتبت خصيصا لمناسبة زفاف الملك ورجال من بدو الصحراء جاءوا على ظهور الخيول والجمال لتهنئة فاروق الملك.

كما بارك خطباء المساجد فى صلاة يوم الجمعة الزفاف السعيد، والقى شيخ الازهر مصطفى المراغى خطابا اشاد فيه بإخلاص الملك فاروق للإسلام، وآلاف من طلبة الازهر كانوا يهتفون «يعيش الملك الورع».

اقيم حفل الزفاف بقصر القبة وفى وجود الشيخ المراغى، وثلاثة رجال دين آخرين قدم فاروق وهو يرتدى زى فيلد مارشال للقاضى ذو الفقار والد العروس بمعطفه الصباحى شيكا بقيمة نصف مهر فريدة، حيث ان النصف الثانى يتم دفعه فقط فى حالة حدوث طلاق.. بعد ذلك تقدم كل من الملك والقاضى، وضع كل منهما يده فى يد الآخر، وقام الشيخ المراغى بتغطيتهما بقطعة قماش حريرى خضراء اللون واستمرت اجراءات عقد القران حتى جاء وقت توقيع الملك والقاضى على العقد ووقت التهام كعكة الزفاف التى كانت بارتفاع ١٢ قدما وبمحيط دائرة تقدر بستة اقدام.

وفى صباح اليوم التالى كانت صور الملكة الجديدة فريدة تملأ واجهات المتاجر فى القاهرة وصنعت ازرار للثياب مطبوعة عليها صور فريدة.

كان دولاب ملابسها يضم ٤٥ ثوبا من باريس ثمنها ثلاثون ألف دولار أمريكى.. وفى بحيرة القصر كانت الملكة فى انتظار العروسين، وهناك انحنت فريدة امام نازلى وقبلت يدها، ثم قامت نازلى بدورها بتقبيل كل من فريدة وفاروق.

واستقبل قصر القبة بمناسبة زفاف فاروق وفريدة هدايا من كل العالم.. الاتراك ارسلوا صندوق مجوهرات واليونانيون بعثوا بتمثال نصفى لاحد البطالمة الذين حكموا مصر، والفرنسيون بعثوا بطقم ثمين من البورسلين لمائدة العشاء، والعرب أرسلوا حصانا عربيا اصيلا، وموسولينى ارسل تمثالا من الألباستر وهتلر ارسل قافلة من سيارات المرسيدس وانجلترا ارسلت اليه زوجا من البنادق ومجموعة أدوات لعبة الجولف.. والجالية اليهودية فى القاهرة أهدت فاروق صندوق مجوهرات وكانت هدية فاروق لفريدة عقدا من الالماس ومجوهرات اخرى قيمتها ثلاثمائة الف دولار امريكى.

وفى شوارع القاهرة كان الرقص على انغام المزمار والارغول والطبل البلدى وعروض العاب السيرك والاكروبات والسحرة.. وروائح الشواء تصدر من مئات الاطنان من الضأن التى تبرع بها فاروق من اجل اطعام الفقراء.. ونادى السيارات الملكى اقام عرضا للزهور طاف شوارع القاهرة بين قصرى القبة وعابدين.

شهر عسل قصير قضاه فاروق وفريدة فى قصره الريفى فى انشاص التى تبعد خمسة وثلاثين ميلا خارج القاهرة والذى كان يضم حديقة حيوانات.. وكانت العودة الى القاهرة لتولى مهام الحكم، وايضا للاستعداد لاحتفال آخر ضخم هذه المرة كان الاحتفال بعيد ميلاد الملك الثامن عشر فى ١١ فبراير.

على العكس من والده فؤاد، الذى حبس نازلى فى جناح الحريم بالقصر، اصطحب فاروق فريدة معه الى كل مكان.. كانت الى جانبه فى جولاته بالسيارة وارتادا المرقص معا، وحضرا حفلات استقبال فى فندق شبرد وفى السفارات.. لم تكن فريدة ملكة من خلف اسوار حرملك القصر، وكان فاروق يفاجئها كل يوم من ايام العام الاول من زواجهما بهدية تختلف عن سابقتها قطعة مجوهرات، لوحة تصوير، خاتم.. كان فاروق الملك أشبه بمراهق وقع فى الحب.

كما اصطحب فاروق الملكة فريدة معه فى افتتاح البرلمان فى ابريل، ذلك البرلمان الذى خلا من النحاس، والقى فيه خطابا استطاع ان يجعل انجلترا فى صفه، عندما أشاد بسياسة الصداقة مع ايطاليا التى انتهجها رئيس الوزراء البريطانى تشامبرلين مؤكدا ان الاتفاق الانجليزى الايطالى يعد ضمانا أكيدا للسلام.

فى ذلك الوقت انشأ الوفد وبتشجيع من النحاس جماعة القمصان الزرقاء بتأثير من حركة القمصان السوداء الفاشية، ونشأت ايضا جماعة القمصان الخضراء التى انشأتها حركة «مصر الفتاة».. وكان يشجعها على ماهر، والتى صوبت رصاصات أخطأت النحاس فى احدى مظاهراتها، الامر الذى جعل طالبا سوريا من المحتمل ان يكون من جماعة القمصان الزرقاء يقوم بتصويب طلقة طائشة فى اتجاه فاروق وهو على شاطئ الاسكندرية فى صيف ١٩٣٨.

والمقربون الى فاروق يقولون انه شعر بالسرور بعد نجاته من ذلك الحادث لانه اعتقد أنه اصبح سياسيا كبيرا وعرضة للاغتيال لكن فاروق استفاد من الحادثة بأن زعم ان كلمات القرآن الكريم الذى يحمله دائما معه فى جيب صديريته هى التى أنقذته من الاغتيال.. لقد اراد فاروق أن يؤكد للناس انه فاروق الورع الذى لا يمكن النيل منه.

أجبرت الظروف السياسية كلا من فاروق ولامبسون أن يكونا خصمين، لكن كان على فاروق ان يواجه ناظر المدرسة لامبسون، وإلا فإن مصر تفقد كرامتها.. قرر فاروق ألا يكون دمية فى يد لامبسون لذلك استعان بعلى ماهر الماكر ضد ناظر المدرسة.. وبحسانين الفصيح ليكتب له خطبه.

كان والد على ماهر مستشار الخديو عباس حلمى الذى اتهمه اللورد كرومر بانه مستشار سيئ وانه سبب النزاع المصرى - الانجليزى، والعقبة فى طريق تعاون منسجم بين الخديو والبريطانيين وشقيق على ماهر هو احمد ماهر العنيد مثل والده فقد حوكم فى عام ١٩٢٤ بتهمة قتل ميرلى ستاك سيردار الجيش المصرى والحاكم العام للسودان فى وضح النهار بالقاهرة، ولم يتقدم للدفاع عنه سوى مصطفى النحاس الشريك السابق لشقيقه على ماهر فى مكتب محاماة وقد برأه من التهمة.. واحمد ماهر، مثل على ماهر، اختلف مع النحاس لكنه أبدا لم يتفق مع البريطانيين.

منذ بداية حكم فاروق، وقف على ماهر خلف فاروق يقدم له النصائح فى مباريات الشطرنج ألتى لم تنته ابدا بين فاروق ومعارضيه الأساسيين النحاس ولامبسون، ايضا قام على ماهر بتعليم فاروق كيف يجعل قوانين الدستور المصرى لصالحه، خاصة فيما يتصل بدعوة البرلمان للاجتماع وحله وأيضا فيما يتصل بإقالة رئيس الوزراء بغض النظر عمن لهم الاغلبية فى البرلمان وكان ذلك وراء تخلص فاروق من النحاس فى عام ١٩٣٧ وبعد تغلب على ماهر على النحاس، تحول الى لامبسون، ولكى يفعل ذلك فكر فى ان يحارب امبراطورية بامبراطورية، وذلك بتدبير استراتيجية تتعلق بعقود زواج خطرت على عقل على ماهر وهى ان يقوم بتوحيد المسلمين السنة فى مصر مع المسلمين الشيعة فى ايران وذلك بتزويج فوزية شقيقة فاروق الجميلة من الأمير رضا محمد وبذلك تكون مصر شريكة لإيران وعلى علاقة قوية معها.

شقيقات فاروق كن جميلات وأنيقات.. فوزية اكبرهن كانت فى السابعة عشرة.. والثانية فايزة.. كانت أذكاهن وأكثرهن مرحا وحيوية ورغبة فى اقامة وارتياد الحفلات والثالثة فايقة أرقاهن وأكثرهن تعقلا بينما فتحية التى كانت فى السادسة من عمرها فى عام ١٩٣٨ فهى خجولة وجميلة.

ليست هناك مشكلة امام على ماهر، فالعرض الدبلوماسى تم تقديمه وقبوله وعقد الزواج سيتم توقيعه فى مارس ١٩٣٩، بين الأمير رضا والملك فاروق.

وبعد فوزية يمكن لعلى ماهر ان يبدأ فى بحث امكان زواج فايزة من ابن عبدالله ملك الاردن.. وفى العراق هناك الملك الصغير ذو الخمس سنوات فيصل الثانى بعد وفاة والده الملك غازى فى حادث تحطم سيارة، ويمكن لعلى ماهر ايضا ان يفكر فى بحث امكان عقد زواج فى المستقبل بين فيصل الثانى وفتحية.

الى جانب الوحدة العربية الإسلامية التى يطمع اليها على ماهر عن طريق العلاقات الزوجية، هناك طموح اخر امام على ماهر الذى لا تقف طموحاته عند حد.. فلقب خليفة فى الاسلام لم يشغله احد من عام ١٩٢٤ عندما أطاح كمال اتاتورك بآخر السلاطين العثمانيين وأسس جمهورية تركيا.

وفى عام ١٩١٨ طلب البطل العسكرى اتاتورك من السلطان ان يزوجه ابنته لكن السلطان رفض طلبه إما بسبب مرض اتاتورك بمرض تناسلى او بسبب طموحاته المفرطة او بسبب كليهما.. وبعد اربع سنوات فقط تم نفى السلطان فى البداية الى مالطا، ثم الى سان ريمو بايطاليا التى يبدو أنها تخصصت فى ان تكون متنفس السلاطين والخديوية ولفترة قصيرة حل محل السلطان ابن عمه الى أن شعر اتاتورك الذى بدأ فى تحديث تركيا بان الابقاء على لقبه خليفة لا يناسب اهدافه لذلك اصدر قرارا بإلغائه.

بدأ على ماهر فى محاولات التأثير فى فاروق بشأن لقب «خليفة» الذى يجعله قائدا للعالم الإسلامى الذى يبلغ تعداده ثلاثمائة مليون مسلم.. وكان أن كثرت دروس القرآن التى يدرسها الشيخ المراغى لفاروق وبدأ فى الترويج لورع فاروق وتقواه، وحرصه على صحبة القرآن الكريم الذى أنقذه وحفظه من محاولة اغتياله التى أقدم عليها الطالب السورى.

كذلك اشار على ماهر الى فاروق ان يربى لحية صغيرة ويزور المساجد كل يوم جمعة.. وفى احدى المرات التى كان فاروق يؤم فيها الناس للصلاة أمام حشد من المصلين من بينهم خمسمائة ضابط من الجيش المصرى صدر هتاف يهتف لفاروق أمير المؤمنين.

بكل المقاييس كان عام ١٩٣٨ عاما ناجحاً لفاروق، فهو ملك وزوج ونودى باسمه خليفة للمسلمين وحائز على حب المصريين لكن فى نهاية العام حدث الشئ المخيب للآمال فى نوفمبر وبينما فاروق ومعه انتونيو بولى على شاطئ البحر خارج الاسكندرية يفحص مدفعا قديما يرجع إلى وقت غزو نابليون لمصر فى عام ١٧٩٨ مدفونا فى الرمال اراد فاروق ان يضمه الى مجموعته وصل رسول من المنتزه ليخبر الملك ان الملكة فريدة قد أتتها آلام المخاض.

أسرع فاروق وبولى بالعودة إلى القصر، وكل أمل فاروق فى الوريث الذى يحفظ له عرشه من مطامع الأمير محمد على، لكن مدفعية القصر التى توقفت طلقاتها عند العدد ٤١ طلقة الذى يدل على ان المولود أنثى قد خيبت كل آماله.. كان فاروق يود لو استمر عدد طلقات المدفعية الى الرقم ١٠١ الذى يدل على أن الوريث ذكر.

وضع فاروق على وجهه قناع السعادة وأسمى الطفلة فريال على اسم جدته زوجة الخديوى اسماعيل.. وبدأت الاحتفالات فى المدن والقرى واصدر فاروق مرسوما يمنح كل طفل ولد فى ذلك اليوم فى جميع انحاء البلاد دولارين من جيبه الخاص، ووزعت اللحوم على الفقراء، وعزفت الموسيقى واطلقت الاعيرة والالعاب النارية ووزعت الحلوى على الاطفال.. البلاد كانت فى فرح لكن فاروق لم يكن فرحاً.



● العاصمة المصرية تعيش أجواء الحرب رغم أنفها والملك يغير الحكومة مثل قطع الشطرنج

● الألمان والبريطانيون يحولون حياة فاروق إلى جحيم فيقرر الانغماس فى العلاقات النسائية

● بعد زواج فوزية من شاه إيران.. شيخ الأزهر يشيد بالتقارب الإسلامى السنى والشيعى فى خطبة رسمية

انتهت الحرب الأهلية الاسبانية فى ١٩٣٩ وأصبح فرانكو على رأس السلطة وبدأ هتلر يتحكم فى مجريات الامور.. واستغرقت امريكا فى البحث عن علاج للكساد الشديد الذى عانى منه اقتصادها من خلال تزويد الحرب الاوروبية الدائرة بما تحتاجه من السلاح والمعدات فى الوقت نفسه انتجت الاستديوهات فيلم «ذهب مع الريح» الذى رشح لنيل الجائزة الاكاديمية لافضل فيلم ورواية شتاينبك «عناقيد الغضب» التى حصلت على جائزة بوليتزر وأغنية «الله يحفظ امريكا» التى فازت بلقب اغنية العام والعرض «الرجل الذى جاء على العشاء» وأضيئت به انوار برودواى.

فى عام ١٩٣٩ ايضا صدرت الطبعة الانجليزية لكتاب «كفاحى» لهتلر وتوفى سيجموند فرويد عالم النفس الشهير وحققت جوارب النايلون إنتصاراً ساحقا فى الاسواق التجارية.

أما فى مصر، كان فاروق يشاهد افلام السينما الامريكية فى حجرة العرض السينمائى فى قصر عابدين دون أن يتأثر كثيرا بما كان يجرى حوله فى العالم من احداث.. وفى عام ١٩٣٩ ايضا شهدت مصر احتفالات جديدة بمناسبة زواج الاميرة فوزية من الامير الإيرانى رضا بهلوى.

وفى ١ سبتمبر من العام نفسه اجتاح هتلر بولندا، وفى ٣ سبتمبر بدأت بريطانيا مستندة إلى ما نصت عليه معاهدة الاستقلال المصرية الانجليزية فى عام ١٩٣٦ باعادة نشر قواتها المتمركزة فى قناة السويس داخل مصر.

وامتلأت القاهرة الساحرة الفاتنة قبل الحرب، بالجنود والجواسيس، وعندما عبر لامبسون لفاروق عن استيائه وعدم موافقته على امتلاء القاهرة بالجواسيس وعلى وجود العدد الكبير من الايطاليين فى القصر، وخصوصا ارنستو فيروسى المعمارى الذى كان قوادا خاصا للملك فؤاد كان جواب فاروق

هو اصداره لمرسوم ملكى يقضى بمنح كل الايطاليين الموجودين بالقصر الجنسية المصرية الشيء الذى انتقده لامبسون انتقادا شديداً.

فى هذه المرحلة من حياته، كان فاروق شابا طيبا، يذهب إلى المساجد ويهوى جمع الاسلحة القديمة، ويعشق قيادة سيارات السباق، ويحاول أن يكون أبا طيبا وزوجاً طيبا، ولم تكن قد سيطرت بعد تلك الفكرة التى شغلت تفكيره.. لقد تسبب عجزه عن الوفاء باحتياجات فريدة إزعاجاً شديدا له ولها.

كان فاروق يهدى فريدة كل يوم هدية ثمينة فهل كانت هداياه هذه لتعويض عجزه.. استشعر فاروق بالذنب والخجل.. كما ان انجابه لطفلة انثى وليس ابناً ذكراً، له فى المعتقد الشعبى المصرى، ما يدل على نقص فى رجولته.

استشار فاروق أطباءه.. ماذا كان يتناول انطونيو قبل ذهابه إلى حجرة نوم كليوباترا؟ وماذا عن الاسكندر الاكبر؟..

ووجد الجواب فى الطعام، وتحديداً الحمام.

فى ١٥ مارس ١٩٣٩، الذى كان يوافق عيد استقلال مصر، عيد ميلاد الشاه والد الامير رضا قام الشيخ المراغى فى قصر عابدين باجراء مراسيم عقد قران رضا على شقيقة الملك فوزية، وفى وقت لاحق قام فاروق ليؤم المصلين فى مسجد الرفاعى للصلاة، والقى الشيخ المراغى خطبة يشيد فيها بتقارب وتوحيد قطاعى الاسلام السنة والشيعة وهو الشئ الذى جسدته تلك العلاقة الزوجية التى ربطت بين الزوجة المصرية والزوج الإيرانى.. بعد الزفاف، رافقت الملكة نازلى فوزية الى ايران فى رحلة بالقطار عبر بغداد ثم قام فاروق بتعيين والد الملكة فريدة القاضى ذو الفقار سفيرا لمصر فى إيران.

فى ابريل ١٩٣٩ زار د. جوزيف جوبلز القاهرة قائلا: انها زيارة لمشاهدة الاهرام لكن لامبسون لم يصدق زعمه هذا تماماً مثل عدم تصديقه تصريحات موسولينى التى اعلن فيها عدم نواياه العدوانية فى الوقت الذى كان يحشد فيه ٢٠٠ ألف جندى على الحدود الليبية، وربع مليون جندى فى اثيوبيا فى ذلك الوقت صرح موسولينى ايضا ان ايطاليا ومصر شعبان يوحدهما نفس البحر، وفهم لامبسون السفير البريطانى بالقاهرة ماذا كان

يقصد موسوليني بقوله ذلك وعلى الفور بدأ لامبسون خلال رحلته الى انجلترا يرتب مع ملك انجلترا لدعوة الملك فاروق والملكة فريدة لزيارة رسمية إلى لندن وهو الشئ الذى يرضى غرور فاروق.

عند اشتعال الحرب قطع لامبسون اجازته القصيرة بلندن، وعاد إلى الاسكندرية فى الاول من سبتمبر ليجد رئيس الوزراء محمد محمود قد استقال من منصبه لاسباب صحية وتحقق حلم على ماهر ليكون رئيساً للوزراء.

ذهب لامبسون مباشرة الى قصر المنتزه وقدم لفاروق دعوة الملك جورج ملك انجلترا له ولزوجته فريدة لزيارة انجلترا زيارة رسمية.. فى ذلك الوقت كانت انجلترا على وشك اعلانها الحرب، كان كل ما يشغل ذهن فاروق هو حفل الشاى الذى قرر اقامته فى حديقته بأبى قير احتفالا بعيد ميلاد فريدة فى سبتمبر وابتهاجه بعلى ماهر كرئيس جديد للوزراء.

قطعت مصر كل علاقاتها الدبلوماسية والتجارية مع المانيا وصادرت الاملاك الالمانية واعتقلت ألف المانى مقيم بالقاهرة وكان معظم الالمان فى مصر اعضاء فى حزب النازى لكن عدة مئات ممن ليسوا فى حزب النازى كانوا يهوداً.

قامت السلطات بجمع كل الالمان واليهود والنازيين الموجودين بمصر فى المدارس الالمانية بينما فى الاسكندرية اغلق على افراد ينتمون للرايخ الثالث مدارس ايطالية حيث لا وجود لمدارس المانية فى الاسكندرية.

واعلنت مصر قانون الاحكام العرفية وتم وضع كل الموانئ المصرية تحت اشراف البحرية البريطانية.. لكن مصر رفضت ان تعلن الحرب بشكل واضح ومباشر ضد المانيا، فى ذلك الوقت لم تكن ايطاليا قد دخلت الحرب بعد وقد خاضتها فى العام التالى.

شكلت الرغبة المصرية فى عدم دخول الحرب ازعاجاً شديداً لكل من لامبسون ومجموعة القادة العسكريين البريطانيين الذين نفد صبرهم من مراوغات على ماهر ومارسوا ضغوطهم على لامبسون وفيما بعد كانت لهذه الضغوط عواقب وخيمة على كل الجهات التى شاركت فيها.

ورغم عدم اعلان مصر الحرب على الالمان فان الحقيقة التى لا يمكن اخفاؤها هى ان البريطانيين قادمون ليس فقط هؤلاء الذين كانوا موجودين فى مصر ولم يغادروها بل ايضا البريطانيون القادمون من استراليا ونيوزيلندا والهند ومن بريطانيا نفسها، وعلى وجه التقريب فان عدد جنود القوات البريطانية الذين قضوا فى مصر وقتا فى زمن الحرب يتراوح ما بين مليونين وثلاثة ملايين جندى بريطانى.

فى ذلك الوقت، وبرغم العدد الكبير من البريطانيين الذى كانوا موجودين بالقاهرة ويزاحمون سكانها فانه خارج مساحة لا تزيد على ميل مربع فى قلب القاهرة لم يكن هناك اى اتصال بين البريطانيين وبين الافندية المصريين الذين كانوا يرتدون الطرابيش أو بين البريطانيين وبين بقية افراد الشعب الذين يرتدون الجلاليب.. كذلك لم يكن هناك اتصال بين الدائرة المحيطة بالملك فاروق وبين بقية الشعب المصرى.

أما الشئ الذى احتفظ للقاهرة فى زمن الحرب بسحرها وفتنتها فهم النخبة الانجليزية والنخبة المحيطة بالملك فاروق وحاشيته الذين وجدوا فى مصر ما وجدوه بعد ذلك بسنوات طويلة فى باريس المتلألئة ومانهاتن الثروة والمال ولندن الستينيات المرحة.

كانت القاهرة فى أواخر عام ١٩٣٩ وبدايات عام ١٩٤٠ واحة للسلام لكل الفرق والجماعات فلا قنابل تتساقط ولا متفجرات تعكر صفو الحياة لكن ذلك لم يمنع استمرار المكائد والمؤامرات.

إذا كان فاروق أصبح مستعصيا على لامبسون فان على ماهر اصبح من المستحيل التعامل معه.. فعندما كان البريطانيون فى احتياج لبناء بنية عسكرية اساسية لهم فى مصر وطلبوا لذلك مساعدة السلطات المصرية قام على ماهر بطرد كل المسئولين المصريين الذين قدموا لهم مثل تلك المساعدات مثل رئيس هيئة سكك حديد مصر الذى باع للجيش البريطانى ما يقارب من عشرين الف طن من الفحم.

ايضا حرص على ماهر على ان تكون القاهرة مدينة مفتوحة وعلى الحياد ويمنع ضربها بالقنابل وكان ذلك الامر يتطلب عدم وجود اية قوات مسلحة داخل حدود مدينة القاهرة وكان ذلك يقتضى من لامبسون والقيادات

العسكرية البريطانية تحريك مقر قيادتهم العسكرية بعيدا عن القلعة وعن الثكنات المطلة على النيل الى منطقة صحراوية خلف اهرامات الجيزة.. لكن البريطانيين رفضوا الانصياع لذلك الطلب وتوترت العلاقة بين القصر والسفارة البريطانية فى القاهرة.

عندما جاء انتونى ايدن وزير الحرب البريطانى الى مصر لكى يرحب بوصول القوات البريطانية من نيوزيلندا واستراليا ابدى لامبسون عدم ثقته فى الملك الشاب به وبرئيس الوزراء على ماهر ايضا.. كما ساعد الامير محمد على ايدن فى تكوين رأى عن فاروق بعد ان القى اللوم على الملك لثقته الشديدة فى على ماهر غير الجدير بالثقة على الاطلاق حسبما قال محمد على.

وقال الامير محمد على لايدن ان الشعب المصرى لا يمكن السيطرة عليه الا بالشدة والحزم وان اى تراخ فى التعامل معه يؤدى الى فقدان السيطرة عليه.

كان عام ١٩٤٠ سيئا بالنسبة لفاروق على العكس تماما من عام ١٩٣٨ وحينما توقفت للمرة الثانية طلقات مدفعية القصر عند الرقم (٤١) كان ذلك اشارة الى ان طفلة ثانية انثى وليست ذكراً ولدت لفاروق.

وللمرة الثانية وضع فاروق على وجهه قناع السعادة والبهجة وبدأ فى توزيع الطعام والنقود على الفقراء واطلق على طفلته الوليدة اسم شقيقته فوزية التى كانت هناك بعيدا فى طهران والتى افتقدها بشدة لكن ليس قدر افتقاده للوليد الوريث الذكر.

وحمل العام ١٩٤٠ لفاروق ما هو اسوأ.. كان هناك رجل اسمه وحيد يسرى درس فى باريس وعمل لفترة فى السفارة المصرية فى واشنطن ورياضى يمارس الرماية وركوب الخيل ويلعب البولو ومتزوج من الاميرة سميحة التى تكبره بعشرين عاما وهى ابنة السلطان حسين شقيق الملك فؤاد وتردد ان هناك علاقة بين وحيد وفريدة.

كانت الهدايا اليومية التى يقدمها فاروق لفريدة قد توقفت وبدأ الشجار اليومى.. وبصحبة انتونيو بولى راح فاروق يسهر فى اوبرج الاهرام حيث فتيات الاستعراض الاوروبيات حتى ينسى آلامه التى تضاعفت بسبب معرفته

بعلاقة والدته نازلى بأحمد حسانين المتزوج من لطيفة يسرى شقيقة وحيد يسرى.

بينما كانت امريكا مستمرة فى الاعلان عن موقفها المحايد تجاه الحرب الاوروبية بمشاهدة شارلى شابلن فى فيلم «الديكتاتور العظيم» فى دور السينما الامريكية وبقراءة رواية هيمنجواى الجديدة «لمن تدق الاجراس» كان الوضع مختلفا فى اوروبا حيث غزا هتلر الدول الاسكندنافية وهزم القوات البريطانية فى دنكرك واحتفل باحتساء الشمبانيا بعد احتلاله باريس.

فى ١٠ يونيو اعلنت ايطاليا رسمياً الحرب على بريطانيا وصدرت اوامر للسفير الايطالى فى القاهرة مازولينى لاغلاق السفارة، وامتثل للامر، لكنه وعد موظفيه انه عائد فى غضون اسابيع.. وفرض على الاسكندرية اطفاء الانوار ليلا بسبب ان الغارات الجوية من المتوقع حدوثها فى اية لحظة.

مع تصعيد الاحداث ومع عدم ثقة البريطانيين فى فاروق وفى حكومته سارع لامبسون فى ١٧ يونيو بالسفر الى الاسكندرية لمقابلة فاروق الذى كان يقضى الصيف فى قصر المنتزه وفى وضوح شديد طلب لامبسون من فاروق ضرورة اقالة كل من رئيس الوزراء على ماهر واللواء عزيز المصرى رئيس اركان حرب الجيش المصرى وإلا فعلى الملك فاروق نفسه ان يذهب لكن فاروق تغيرت سحنته تماما عندما اقترح عليه لامبسون اسم النحاس عدو فاروق بدلا من على ماهر.

فى ٢٨ يونيو عاد فاروق الى قصر عابدين وطلب لقاء لامبسون وعند لقائهما اخبر فاروق لامبسون باقالة على ماهر وعبر له عن عدم ارتياحه للنحاس لبلشفيته وانه يفضل بدلا منه رئيساً جديدا للوزراء حسن صبرى ابن عم الملكة نازلى وممثل مصر السابق فى بلاط سان جيمس فضلا عن انه محب لانجلترا وللانجليز.

وابتهج لامبسون لان حكومة فاروق الجديدة مكونة من وزراء محبين للبريطانيين واسرع بارسال برقية الى وزارة خارجيته فى لندن يبلغهم فيها انه انتصر على فاروق.. وبالرغم من اذعان فاروق فإن لامبسون كان يفكر فى شئ وحيد يجب عمله وهو الاطاحة بالملك الصبى وقد أسر بفكرته بالفعل الى وزير الخارجية انتونى ايدن عند زيارة من زياراته المتعددة للقاهرة لكن

لامبسون لم يستطع ان يقنع بفكره الجنرال وأفيل القائد العام للجش البريطانى المسئول عن الشرق الاوسط الذى رفض تخوفا من القلاقل التى قد تحدث من بعض الجماعات مثل جماعة حركة شباب القمصان الخضراء المعادية للبريطانيين.

لم تستمر طويلا حكومة رئيس الوزراء حسن صبرى الموالية للبريطانيين ففى نوفمبر ١٩٤٠ عندما صعد حسن صبرى الى المنصة لكى يقرأ خطاب الملك فى افتتاح البرلمان ولم يكد يبدأ فى قراءة السطور الاولى من الخطاب حتى سقط على الارض ولفظ انفاسه الاخيرة وسط اعضاء الحكومة الذين تجمعوا من حوله وحملوه خارج القاعة حيث فحصه الطبيب الذى جاء فى تقريره ان سبب وفاة رئيس الوزراء هو نوبة قلبية حادة.

وقد قام فاروق بتعيين حسين سرى عم فريدة رئيسا للوزراء فى المنصب الذى خلا بوفاة حسن صبرى لكن لامبسون كان يفضل النحاس على حسين سرى ولما كان فاروق يعتبر النحاس خصمه اللدود فقد ارتضى لامبسون بحسين سرى وذلك عندما ابدى فاروق رغبته فى اعادة على ماهر الذى كان فى نظر لامبسون خصما للبريطانيين.

استشعر فاروق ان كل شئ من حوله ينهار وداهمه الاحساس بالاحباط والحزن وخيبة الامل فها هو الملك الشاب الذى لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره بعد قد بدأ يتساقط شعره ويزداد وزنه ويخبو بريق عينيه الذى كان يشع بهجة وسرورا.. ها هو الملك يفقد زوجته ويفقد والدته وربما فقدان عرشه وشيك الحدوث.. والشئ الوحيد الذى لم يكن قد فقده هم الاصدقاء لأنه لم يكن لديه اصدقاء فقط انتونيو بولى لكنه كان يكبره بعشرين عاما وعلى ماهر ايضا كان يكبره باكثر من عشرين عاما ويبدو كأنه حكيم يونانى.

الحياة التى عاشها فاروق عزلته تماما عن حقائق الحياة التى يمر بها أى شاب آخر فى مثل سنه.. فها هو لا يعيش عمره بل يواجه ازمة تلو اخرى حتى الأوقات الطيبة اصبحت اوقاتا تبعث على اليأس والقنوط.

فى فبراير ١٩٤١ حقق الجنرال وافيل انتصاراً كبيراً لبريطانيا فى بنغازى بليبيا على اثره توقفت القنابل التى كانت تسقطها الطائرات الايطالية على المصريين فى الصحراء الغربية المصرية لكن الفرحة بالنصر لم تستمر طويلا

فقد شن روميل حملة عسكرية فى شمال افريقيا بالنيابة عن دول المحور.. فى الوقت نفسه كان الالمان قد حققوا انتصارا خاطفا على بريطانيا وبدأوا السير فى اتجاه موسكو وكانت عيونهم على القاهرة.

اثناء الحرب كان الالمان يروجون فى مصر حملة دعائية تركزت حول شيئين الاول هو ان هتلر دينه الاسلام وولد فى مصر ومنزل امه لا يزال فى مدينة طنطا بالدلتا والشئ الاخر هو انه بعد انتصار هتلر فى الحرب سيحصل الرجل الفقير فى مصر على نصيبه من اراضى الاثرياء.

لم يكن اعادة توزيع الثروة فقط هو ماكان المصريون يتطلعون اليه بل ان وجود ما يزيد على مائة الف من القوات البريطانية فى مصر هو الذى اثار حنقهم وسخطهم.. فقد حول الجنود البريطانيون صغار السن القادمون من برمنجهام القاهرة المسالمة الهادئة الى مباراة كرة قدم لا ينتهى شجارها.



- مدافع الدبابات البريطانية وإهانات جنود الاحتلال للشعب تفقد الملك الرغبة فى الحياة والحكم
- لامبسون يخير فاروق بين تعيين النحاس رئيسا للوزراء أو التنازل عن العرش
- نازلى تتشاجر مع فريدة فى أسوان فيقرر الملك السفر إلى البحر الأحمر

فى مذكراته كتب محمد نجيب «تحرش الجنود البريطانيون بالنساء، ووجهوا الاهانات إلى الرجال، وقاموا باعمال تخريب متعمدة فى الممتلكات العامة والخاصة..

ورغم ان القاهرة سلمت من قنابل الغارات الجوية لدول المحور، الا ان عقل القاهريين كان يمكنه قبول الاصابة باذى جسدى نتيجة ضرب وتدمير، لكنه لا يقبل أبداً بالاهانة.. المتمثلة فى اهانات الجنود البريطانيين فى شوارع القاهرة والإهانة التى وجهها تشرشل رئيس الوزراء البريطانى للمصريين عندما تحدث فى خطابه بعد وفاة تشامبرلين فى عام ١٩٤٠ قائلا ان مصر تحت الحماية البريطانية.

لقد عانى المصريون من الجراح النفسية من قبل الجنود البريطانيين فى شوارع القاهرة، ومن تشرشل ومن معاملة الانجليز لفاروق ومن تلك المعاهدة التى تحدثت عن استقلال مصر الذى اصبح مثار تهكم كل مصرى.

كانت الجراح التى استشعرها الضباط الشباب فى الجيش المصرى اكثر عمقاً وايلاما لانهم لم يسمح لهم بالقيام بأى دور فى الدفاع عن مصر وكل الذى سمح به للجنود المصريين ان يفعلوه هو وقوفهم ببنادق لحراسة قناة السويس من غارات جوية قد تستهدف القناة وقيام بعض الجنود المصريين ايضا بحراسة الحدود الصحراوية.. وحتى عندما بدأ روميل تقدمه فى ابريل عام ١٩٤١ اصدر البريطانيون اوامرهم بعودة وحدات الجيش المصرى التى كانت على الحدود وارسلت بدلا منها قوات الحلفاء، وسواء كان هذا التصرف من جانب البريطانيين سببه شكوكهم فى مقدرة المصريين القتالية او ارتيابهم فى عدم ولائهم فقد تسبب فى شعورهم بالإهانة.

فى ذلك الوقت كون على ماهر واللواء عزيز المصرى اللذان أقالهما فاروق

من منصبيهما تلبية لرغبة البريطانيين جماعة سرية من الضباط أسمياها «الطوق الحديدى» ضمت جمال عبد الناصر وأنور السادات.. وكان حسن البنا قد نفى الى مزرعة فى صعيد مصر عندما وجه الانجليز اصابع الاتهام الى جماعة الأخوان المسلمين بقيامهم بتعطيل خطوط الاتصالات التليفونية الخاصة بالسفارة البريطانية فى القاهرة اثناء هجوم روميل وتقدمه الذى كان من المتوقع له النجاح.

وعندما القى القبض على اللواء عزيز المصرى وعلى انور السادات بتهمة مساعدته لمعلمه اللواء عزيز المصرى على الهرب بطائرة عسكرية خارج مصر لكى يلحق بالقوات الالمانية فى العراق تلك الطائرة التى تحطمت قبل ان تصعد الى الجو لم يبق مسئول عن جماعة «الطوق الحديدى» السرية غير على ماهر الذى عرض عليه رئيس الوزراء سرى تعيينه سفيراً لمصر فى واشنطن فقط من اجل ابعاده عن البلاد لكن على ماهر الطموح لم يقبل بتلك الرشوة التى قدمها له سرى ولما أقر سرى لعلى ماهر ان تلك كانت رغبة البريطانيين عند هذه اللحظة تأكد فاروق من ولاء سرى وفكر فى البحث عن رئيس وزراء جديد.

استمرت مشكلات العائلة الملكية.. الملكتان اللتان سببتا الآلام لفاروق بدأتا الشجار والتحدى، وظهر ذلك بصورة واضحة فى فندق كاتاراكت بمدينة اسوان اثناء الرحلة الملكية المعتادة فى فصل الشتاء ولما لم يستطع فاروق تحمل ما يجرى بين الملكة الام والملكة الزوجة فقد تركهما فى اسوان وغادر فى اجازة بصحبة انتونيو بولى الى البحر الأحمر.

وفى عام ١٩٤١ كان فاروق قد التقى بارين جونيل وبدأ مشوار علاقته الغرامية معها التى حاول بها ان ينسى فريدة لكن يبدو ان قلبه لم يكن له شأن بهذه العلاقة وبعلاقات أخرى.

كان فاروق فى العشرين من عمره قضى معظمها فى عزلة فى القصر، تلك العزلة التى جعلته قليل الخبرة فى التعامل مع النساء أو الفتيات او حتى مع أى من الناس العاديين، كان شغوفا فى عزلته بالقصر بالاشياء وليس بالبشر، ومن هنا كان حبه لجمع أى شئ من مدفع يرجع إلى عصر نابليون إلى زجاجات الكوكاكولا.

ولأن شهر العسل الذى جمع فاروق وفريدة فى جو رومانسى كان له مذاق حلو لم يذق مثله من قبل جعله يفتقد كيفية الاستمتاع بعلاقة اخرى مع ارين غير التطلع اليها وهى تستحم فى البحر المتوسط وتحت ضوء القمر.

كان لدى فاروق اهتمامات اخرى تصرف انتباهه عن احوال وتقلبات الهوى فقد كان عليه ان يحافظ على عرشه بعد ان عرف ان البريطانيين يريدون الاطاحة به. سيما بعد ادراكه ما حدث للشاه فى صيف عام ١٩٤١.

البريطانيون والروس الذين تلقوا هزيمة ساحقة على يد هتلر لم يرغبوا فى تواجد عدة الاف من الالمان فى ايران، وفى الوقت الذى أعلن فيه الشاه عن الحياد الايرانى كانت جيوش النازى بالقرب من ضواحى موسكو لذلك قامت بريطانيا بارسال بعض قواتها المتمركزة فى الهند لغزو ايران واجبار الشاه على توقيع وثيقة التنازل عن العرش لاسباب صحية واضطروه لمغادرة بلاده على ظهر مركب الى موريشيوس، وسمحوا لصهر فاروق محمد رضا، بتولى عرش والده الشاه.. لقد ادرك فاروق ان البريطانيين قدموا عرضا على المسرح الإيرانى، ربما هذا العرض شديد الشبه بعرض آخرهم عازمون على تقديمه على المسرح المصرى.

كان الخطر يحدق بفاروق وعرشه من جهة البريطانيين والموالين لهم داخل العائلة الملكية وعلى رأسهم عمه الامير محمد على، وايضا كان الخطر يحدق بفاروق وعرشه من الالمان. اذا ما كسب الالمان والعسكرى محمد حيدر الموالى لهم الحرب ومن ابن عمه عباس حليم الموالى للالمان والذى كان وراء إضراب عمال السكك الحديدية والنقل العام فى سبتمبر ١٩٤١ واصبح فاروق لا ثقه لديه بهتلر مثلما فقد ثقته بلامبسون من قبل.

كان هناك مرشح اخر لتولى عرش مصر من قبل الالمان هو الخديوى السابق عباس حلمى الذى قام البريطانيون بخلعه عن العرش فى عام ١٩١٤ وهو فى اجازته الصيفيه على شواطئ البوسفور بتركيا وظل فى اسطنبول يطالب من هناك بحقه فى عرش مصر حاملا فى قلبه الضغينة والحقد على فاروق الملك الشاب الوسيم المحبوب.

انهم سلالة محمد على مثلهم مثل ذئاب صغيرة فى تنافسهم الذى يتسم بالحقد وبالرغبة فى الانتقام وبضيق الافق والتفكير.. ومن هنا كانت عزيمة

فاروق الا يلقى بالبلاد الى الذئاب أو إلى أحضان هتلر.. لقد تعلم فاروق من سير مايلز لامبسون ان يحذو حذو حاكم مطلق مستبد.

كانت مشكلات مصر كثيرة فقد سبب الوجود البريطاني في البلاد تضخما في الاقتصاد بشكل لم يحدث من قبل وفي نفس الوقت ظلت اجور المصريين كما هي مع ارتفاع شديد في اسعار السلع ارتفاعاً مذهلاً.

قام الخبازون بوضع نشارة الخشب في الدقيق وصدر قانون بقصر ذبح الماشية وبيعها على ايام محددة ولاتزال الجماهير الغاضبة الجائعة تحب ملكها الصبي.

وضع فاروق مشكلات عائلته تحت غطاء كثيف من التعتيم واستمر في زيارته للمساجد وفي توزيع عطاياه للفقراء وفي القاء خطبه المتفائلة واذا كان هناك من يمكن ان يلام فهو البريطانيون واذا كان لابد من وجود ضحية مصرية للفقر والتضخم والجوع في البلاد فليكن حسين سري رئيس الوزراء دمية البريطانيين.

وجد فاروق الطريقة التي يتخلص بها من حسين سري ويعيد علي ماهر لرئاسة الوزراء.. كان السفير البريطاني لامبسون ومنذ شهر اكتوبر وهو يمارس ضغوطه لكي تقطع مصر روابطها بحكومة فيشي بفرنسا وتطرد افراد بعثتها الدبلوماسية في القاهرة لكن فاروق كان يرفض حرصا على سلامة ثلاثمائة طالب مصري يدرسون في باريس.

وفي يناير ١٩٤٢ وبينما فاروق في اجازة باسوان عاود لامبسون ضغوطه على حسين سري من اجل قطع العلاقات مع فرنسا وكانت تلك هي الفرصة التي استغلها فاروق للتخلص من سري.

خرج طلبة الازهر وجماعة الاخوان المسلمين الى شوارع القاهرة في مظاهرات تهتف بالتحرير الوشيك على يد روميل وبسقوط البريطانيين وبحياة فاروق.

عندما طلب حسين سري من فاروق ان يقوم بقمع مظاهرات الطلبة أجابه فاروق بكلمات استشعر سري فيها بالإهانة، ومن ثم قدم استقالته لفاروق في اليوم نفسه.. وعندما علم لامبسون بخبر استقالة سري أضمر في نفسه شيئاً لفاروق.

قال حسين سرى للسفير البريطانى لامبسون «فاروق جبان ويجب تخويفه من وقت لآخر لانقاذه من نفسه» واجابه لامبسون الذى كان فى جعبته الكثير من اوراق اللعب.. هل يجب ان نقوم بتخويفه من وقت لآخر؟»

غادر الجنرال وافيل الذى لم يقر لامبسون على رأيه فى خلع فاروق من عرشه منطقة الشرق الاوسط ليكون قائدا عاما للقوات البريطانية فى الهند، وحل محله كقائد عام للقوات البريطانية فى منطقة الشرق الاوسط الجنرال سير كلود أو كينليك الضابط الوسيم فارع الطول الذى قضى معظم خدمته العسكرية فى الهند.

لم يقر الجنرال أو كينليك كذلك إبعاد فاروق عن حكم مصر، بسبب تخوفه من احتمال نشوب ثورة فى البلاد ضد ذلك التصرف الامبريالى واصر الجنرال «اوك» كما كان يسميه لامبسون على رأيه وبالرغم من قول لامبسون له انه يعرف مصر جيدا ولا شئ يدعو للقلق إلا أن لامبسون نجح فى اقناعه بالموافقة على انذار فاروق بالعواقب الوخيمة اذا لم يقبل بتعيين النحاس رئيسا للوزراء،

فى ٢ فبراير تحدث لامبسون الى فاروق بشأن تعيين النحاس ووافق فاروق وطلب ان يتشاور مع النحاس من اجل تكوين حكومة ائتلاف لكن لامبسون اصر على أن تكون الحكومة المشكلة حكومة مؤقتة من حزب الوفد فقط.. وكان من المثير للسخرية ان الوفد الذى كان الحزب الوطنى المعادى للبريطانيين دخل فى علاقة غرامية مع عدوه.

فى ٤ فبراير التقى لامبسون الجنرالات والادميرالات الانجليز وذهب الى مقر رئاسة الوزراء فى ١٠ شارع الطلبمات فى جاردن سيتى وقدم مسودة الانذار لفاروق «اذا لم يقم فاروق بالاتصال بالنحاس ليطلب منه تشكيل الحكومة قبل الساعة السادسة من مساء اليوم فعلى جلالته ان يتحمل العواقب» وقد حصل لامبسون على مباركة انتونى ايدن رئيس الوزراء البريطانى لهذه العملية.

وتحسبا لرفض فاروق الانذار قام لامبسون ومجموعة الجنرالات البريطانيين باعداد العواقب .. وبدأ الجنرال ستون قائد القوات البريطانية فى تجهيز قواته للاحاطة بقصر عابدين.

وكان لامبسون قد خطط لذهابه في صحبة الجنرال ستون إلى فاروق لاجباره على التنازل على العرش وعلى اصطحابهم له الى احدث ثكناتهم العسكرية بالاسكندرية استعداداً لنفيه إلى جزيرة سيشل.

بعد الظهر سعد لامبسون بالاخبار التى وصلته بان فاروق يحزم حقائبه ويخطط للهرب.. وفى قصر المنيل ايضا كان الامير محمد على يحزم حقائبه استعدادا لدخوله العظيم الى قصر عابدين فى مساء اليوم نفسه.

جاءت الساعة السادسة دون اية اجابة من القصر.. وفى الساعة السادسة والربع وصل احمد حسانين الى السفارة البريطانية حاملا الرد على الانذار والموقع من سبعة عشر زعيما سياسياً بارزاً.

ان الانذار البريطانى يشكل انتهاكا خطيرا للمعاهدة المصرية الانجليزية ولاستقلال البلاد، ولهذا السبب وعملا باستشارة الزعماء السياسيين فان جلالته لا يمكنه قبول اى عمل يؤدى إلى خرق المعاهدة المصرية الانجليزية وانتهاك حرمة البلاد.

اجرى لامبسون نظراته بسرعة على الاسماء الموقعة أسفل الرد الذى سلمه له أحمد حسانين: على ماهر، أحمد ماهر، واسماء اخرى من المعادين للانجليز.. وفجأة لمح لامبسون اسم حسين سرى ثم مصطفى النحاس.. شحب لون لامبسون، عندما ادرك ان النحاس قد تحول الى الجهة الاخرى.

وبعد انصراف احمد حسانين بعث لامبسون فى طلب امين عثمان المتخرج فى جامعة اكسفورد ووزير المالية السابق والذى لعب دورا مهما كوسيط بين البريطانيين والوفد.

اكد امين عثمان للامبسون ان النحاس ربما وقع تحت ضغط عندماوقع مع بقية الموقعين على قرار الملك برفض الانذار.

أحاط بميدان عابدين ستمائة من القوات البريطانية فى دباباتهم وعرباتهم المصفحة، وتوقفت سيارة لامبسون الرولزرويس امام القصر ونزل منها لامبسون والجنرال ستون.. وخلفهما ستة ضباط مسلحين كانت بوابات القصر مغلقة.. واحد من الضباط الستة صوب مسدسه واطلقه على قفل

بوابة القصر.. صعد لامبسون والجنرال ستون سلالم القصر الى حيث مكتب الملك فاروق.. انتظر لامبسون والجنرال ستون خمس دقائق فى حجرة انتظار الملك.. بعدها لم يقبل لامبسون الانتظار اكثر، وهب واقفا ومعه ستون متوجهين الى مكتب الملك فى تلك اللحظة حاول ياور الملك الذى شعر ان بروتوكوله قد انتهك ان يعترضهما لكن لامبسون ازاحه جانباً.

فوجئ فاروق الجالس الى مكتبه بدخول لامبسون وستون عليه بطريقة غير لائقة قال فاروق للامبسون انه كان فى انتظار دخولة برفقه احمد حسانين قال لامبسون «نعم أو لا؟» وعندما اراد فاروق ان يتحدث فى شأن تعيين رئيس الوزراء قاطعه لامبسون . كل رغبة لامبسون فى تلك اللحظة كانت فى ان تكون اجابة فاروق لا لانها الاجابة التى يريدها لامبسون حتى يقدم على الاطاحة بفاروق وخلعه من عرش مصر.

قرأ لامبسون لفاروق خطابا يتضمن جرائم فاروق وتصرفاته المعادية لانجلترا ولمصر وللمعاهدة المعقودة بينهما كما يتضمن هجوما على مستشارى فاروق يتهمهم فيه بمعاونة العدو ويلوم فاروق فى عدم تلبيته رغبة السفارة الانجليزية فى تعيين النحاس رئيسا للوزراء الامر الذى يعنى تهديدا لأمن مصر ولأمن قوات الحلفاء.. بعد ذلك اوضح لامبسون لفاروق بشكل سافر انه لم يعد كفؤاً لتولى عرش مصر.. ثم قدم لامبسون إلى فاروق وثيقة التنازل عن العرش وطلب منه ان يوقعها على الفور والا فان هناك اشياء اخرى غير طيبة فى انتظاره.

نظر فاروق الى الوثيقة فوجد كلماتها مكتوبة على ورقة من دفتر اوراق قديم يحمل شعار السفارة البريطانية بسبب النقص فى الورق بمصر وفى السفارة البريطانية - آنذاك - اطلق فاروق تنهيدة حارة وقال للامبسون «كان من الجميل ان تقدم لى ورقة افضل من تلك» وبدا انه كان يستعد لوضع سن القلم فى الحبر ويوقع الوثيقة.. فى تلك اللحظة دخل احمد حسانين متحدثاً بالعربية التى لا يفهما لامبسون.. وبعد لحظة صمت قصيرة تطلع فاروق إلى لامبسون وسأله فى شئ من اللطف ان يمنحه فرصة اخرى فكر لامبسون.. لو ان الجنرال ستون لم يكن إلى جانبه لكان قد اجبر ذلك الصبى على التوقيع ومادام ستون معه فعليه ان يستمع الى اقتراح فاروق بان يقوم بتعيين

النحاس فى الحال وفى وجوده اذا اقتضى الامر وان يطلب منه تشكيل الحكومة.. توقف لامبسون عن الكلام للحظة.. كره ان تضيع منه فرصته التى فكر فيها طويلا وهى الاطاحة بالملك الصبى.. تطلع لامبسون الى ستون الى جواره فادرك ان عليه ان يدع الصبى جالساً على عرشه.

كان الملك فاروق فى ذلك الموقف يستشعر ألماً عميقا لاضطراره الى الاذعان للامبسون بل انه اضطر الى ان يشكر لامبسون الذى يحاول دائماً معاونته.

وغادر لامبسون والجنرال ستون مكتب فاروق وبدأت القوات البريطانية بجنودها ومعداتها ودباباتها وعرباتها المصفحة فى مغادرة ميدان عابدين بعد ان استقل لامبسون سيارته الرولزرويس وبصحبته الجنرال ستون فى طريقهما الى السفارة البريطانية.

لكن الشئ الذى لم يكن لامبسون على علم به هو ان حراس فاروق الشخصيين الألبانيين الثلاثة كانوا مختبئين خلف ستائر حجرة مكتب فاروق ممسكين بمسدساتهم وعلى اهبة الاستعداد لاطلاق رصاصاتهم صوب لامبسون والجنرال ستون، عند اى بادرة تحرك منهما لالحاق اذى بالملك او لارغامه على التنازل عن العرش.. ايضا كان حراس القصر المسلحون المختبئون على استعداد لقتل رجال لامبسون اذا اقتضى الامر ذلك.



● الألمان على أبواب الإسكندرية وفاروق يهرب من المستقبل بالغرق فى لهوه وعلاقاته النسائية
● اختفت ساعة تشرشل فى فندق مينا هاوس فعاد بها الملك فاروق بعد عشر دقائق
● أنتونيو بولى يمشط الأندية والمجتمعات المصرية بحثاً عن صديقات جديدات للملك فاروق

لم تستمر فرحة لامبسون بانتصاره على فاروق طويلاً، بل على العكس كلفه هذا الانتصار ثمناً باهظاً، فقد أصدر المسئولون البريطانيون أوامرهم بالتعتيم على حادث ميدان عابدين، ومع التأكيد أن تغيير الحكومة تم بإرادة الملك دون أي تدخل من أية جهة أخرى، لكن ذلك لم يؤخذ على محمل الصدق من الأعداد الكبيرة من الشعب المصرى الذين شاهدوا الدبابات الإنجليزية فى ميدان عابدين، واستطاعوا إدراك حقيقة ما حدث.. وكانت النتيجة طوفانا من التأييد والتعاطف لفاروق والغضب والحنق على البريطانيين،امتد وشمل البلاد كلها.

بالرغم من موافقة وزارة الخارجية البريطانية ومباركتها لعمل لامبسون، إلا أن معظم البريطانيين فى مصر استاءوا من تدخل لامبسون السافر فى شئون القصر، ومن الجنرال ستون الذى صاحب لامبسون إلى قصر عابدين فى مساء ٤ فبراير والذى كان قد أعد عدته لانقلاب ضد القصر.. وعلى ضوء ذلك بعث الجنرال ستون إلى الملك فاروق رسالة شخصية تحمل اعتذاره.

من جانبه كان رأى توماس راسل قائد شرطة القاهرة، أن ما قام به لامبسون دمر كل ما بذله من جهود خلق مشاعر ودية تجاه البريطانيين وبريطانيا.. وأدان المارشال سير وليام شولتو دوجلاس، قائد القوات الجوية فى شمال أفريقيا، العمل غير المسئول الذى قام به لامبسون ووصفه بأنه كان خطأ استراتيجيا من قبل لامبسون، ومعاملة غير لائقة منه لملك مصر.

وإذا كان البريطانيون فى مصر قد استاءوا مما حدث فى ٤ فبراير، فإن المصريين قد روعوا بذلك الحادث المهين.. وقد كتب محمد نجيب، وكان برتبة مقدم آنذاك خطابا بعث به إلى فاروق قائلا فيه إن الفرصة لم تعط للجيش المصرى لكى يحمى الملك، ولذلك فهو يشعر بالخجل من ارتداء الزى العسكرى، ويطلب إذناً من الملك لكى يقدم استقالته من الخدمة فى الجيش.. لكن فاروق لم يستجب لطلبه.

أما جمال عبدالناصر الذى كان يقيم فى ذلك الوقت بالسودان، فقد دفعته أحداث ٤ فبراير إلى بداية التفكير فى حركة الضباط الأحرار، التى أطاحت فى النهاية بفاروق وأنهت نظام الحكم البائد.. وفى نهاية العام عندما أصبح جمال عبدالناصر مدرساً بالأكاديمية العسكرية الملكية، استطاع أن يختار أفضل العناصر من الضباط ويبدأ فى غرس فلسفة الثورة فى أذهانهم.

وكان أنور السادات منشغلاً بعلاقاته مع جواسيس النازى فى القاهرة، وبكتابة مسودات اتفاقيات بين مصر وروميل تدين بالولاء للألمان، وبشراء عشرة آلاف زجاجة فارغة من سوق الموسكى لتجهيزها بمادة المولوتوف المتفجرة، استعداداً لإنهاء الوجود البريطانى فى مصر.

فى ١١ فبراير خرجت مصر كلها من الإسكندرية إلى أبى سمبل لتحتفل بعيد ميلاد الملك فاروق الثانى والعشرين، وأصبحت مصر فى مهرجان احتفالى بفاروق وعم أرجاء البلاد الغناء والرقص وتوزيع الطعام على الفقراء.. وكان تأثير ذلك كبيراً على فاروق، الذى كان فى احتياج شديد إلى ما يرضى غروره ويرفع معنوياته.. وألقى خطاباً فى الراديو متوجهاً به إلى كل المصريين، قائلاً: شعبى الحبيب، وقد عبر فى الخطاب عن شكره لحبهم له والتفافهم حوله.

فى مايو خسر الحلفاء المعركة فى طبرق بليبيا، وبدأت قوات روميل تحركها فى اتجاه مصر، واحتشدت فى العلمين التى تبعد عن الإسكندرية ٦٠كيلومتراً جهة الغرب.. وبدأت الدعاية الألمانية داخل مصر فى توزيع الصور الفوتوغرافية لهتلر وروميل، وفى بث أحاديثها عبر موجات الراديو، التى تدعو فيها الإسكندرية للاستعداد للحفل الراقص بمناسبة انتصار الألمان.

ومع استمرار فقدان الجيش الثامن ميلاً بعد ميل من الأرض الصحراوية التى كان يسيطر عليها، كان النحاس يبذل جهده لمعاونة الإنجليز، فأقدم على الزج بمنافسه المعادى للإنجليز على ماهر وآلاف آخرين من غير المرغوب فيهم من قبل لامبسون والبريطانيين، الذين يخشون كثيراً من فقدانهم لمصر وخسارتهم لقناة السويس.. أيضا قام النحاس بإغلاق نادى السيارات الملكى، المكان المفضل لفاروق للعب القمار، والمفضل أيضا للأمير عباس حليم، وللمتعاطفين مع الألمان من بين مجتمع الارستقراطية التركية بالقاهرة.

ولخشية النحاس من أن يقال عنه إنه دمية فى يد لامبسون، فقد اتخذ اجراءات معينة كانت لصالح المصريين، مثل القانون الذى سنه ويقضى باستخدام اللغة العربية فى جميع التعاملات التجارية، كما سن أيضا وفى الوقت نفسه قانوناً بمنح كل جندى من جنود الحلفاء صندوقاً كهدية بمناسبة عيد الفصح، يحتوى على البيض الملون والسجائر وأشياء أخرى.

فى شهر يوليو، بدأ الكثيرون فى النزوح من الإسكندرية التى تعرضت لغارات جوية عديدة، وكذا من القاهرة، التى كانت فى اعتقاد الكثيرين ستشهد ما هو أسوأ من الغارات الجوية.. وفى محطة قطارات القاهرة تزاحم الناس حول القطار اليومى المتجه إلى فلسطين، والقطار الذى يتجه إلى الجنوب، حيث السودان وأفريقيا.. وأسرع المقيمون الأجانب، وبصفة خاصة، البريطانيون إلى البنوك لسحب أموالهم.. وحتى رئيس الوزراء النحاس، أعد خططه لنقل ثروة مصر وأعضاء البرلمان إلى الخرطوم، وهو الشىء الذى نصح به لامبسون فاروق، إلا أن الملك قال إنه لن ينسحب سواء من مواجهة الألمان أو الإنجليز، حتى لا تعتبره البلاد خائناً.

يوما بعد يوم، كان الوضع فى مصر يزداد تفاقماً، راديو الألمان يذيع أخباراً عن حملة عسكرية كاسحة قوامها مائتا طائرة مقاتلة ألمانية فى طريقها إلى القاهرة.. وكل يوم يمر على القاهرة، تكثر التوقعات بأنه هو اليوم الذى يدخل فيه الألمان القاهرة.. وبالرغم من أن لامبسون لديه عربة قطار خاصة بمقطورة الماكينات، فى حالة استعداد لوصول الألمان، فهو يدير عمله كالمعتاد فى السفارة البريطانية ويأمر بإعادة طلاء أبوابها الحديدية.

ومع استمرار الرحيل من مصر فى صورة أشبه بالهجرة الجماعية، رفضت الإدارة البريطانية فى فلسطين استقبال المزيد من المهاجرين، دون أن يكون لليهود المصريين ولليهود الأوروبيين المقيمين بالقاهرة والإسكندرية نصيب من الأعداد المهاجرة، خاصة بعد الأخبار التى ذكرت أن أكثر من ألف يهودى بولندى كانوا يقتلون يومياً فى معسكرات اعتقال النازى فى بدايات عام ١٩٤٢، الأمر الذى سيجعل اليهود فى مصر تحت رحمة روميل إذا تحقق له دخول مصر.

فى تلك الأجواء الباعثة على القلق تبنى فاروق موقفاً يبعث على الغرابة، ففى الوقت الذى كان فيه روميل على الأبواب، استشعر فاروق أنه على وشك أن

يفقد كل شىء، وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، ومن ثم فقد تحول بكليته إلى البحث عن كل ما يجلب إليه السرور والبهجة، وتحول فاروق إلى شخص ابيقورى النزعة، لا يهمه غير الاستغراق فى المتع والملذات الحسية، لا يفكر فيما قد يأتى به الغد من إطاحة بملكه مادام يشبع رغباته وأهواءه.. ومنذ ذلك الوقت بدأ فى علاقات غرامية لا تنتهى.

ربما الإذلال السياسى الذى تعرض له فاروق من لامبسون، والعار العائلى الذى لحقه من علاقة أمه نازلى بمعلمه أحمد حسانين، فضلا عن عدم انجابه للوريث الذكر الذى يرث عرشه، هو الشىء الذى جعل فاروق شخصاً لا يهمه إلا الاستغراق فى المتع والملذات الحسية..؟ ربما أيضا إحساسه باهتزاز كرسى العرش الذى يجلس عليه، هو الذى أدخل التشاؤم إلى نفسه وجعله غير متفائل بما سوف يأتى به الغد.

وانغمس فاروق فى علاقة حسية غير شرعية مع الأميرة فاطمة طوسون زوجة ابن عمه الأمير حسن طوسون، فى قصره المطل على نيل حلوان، ثم كانت علاقته بأرين جونل، اليهودية الإسكندرانية المطلقة، ثم البريطانية باربارا سكيلتون، ولكن النساء فى حياة فاروق، لم يقتصرن على خليلاته الرسميات، أرين جونل، وباربارا سكيلتون فقط، فقد كان أنتونيو بولى لا يكل ولا يمل من تمشيط الأندية الليلية بالقاهرة والإسكندرية لكى يجلب لفاروق ما يروق له من أصناف النساء.. ولم يترك بولى ركناً فى مصر دون أن يبحث فيه عن امرأة يقدمها للملك حتى بيوت الدعارة والمواخير، بحث فيها بولى عن نساء لفاروق، من أجل أن يكسب رضا ملكه وصديقه، ذلك الرضا الذى اتخذ شكل قطعة مجوهرات ثمينة مقابل كل امرأة تنال الرضا.

أصبح فاروق يهوى اقتناء كل أنواع النساء، تماما مثل هوايته اقتناء الأشياء من زجاجات الكوكاكولا الفارغة، إلى العملات، والآثار المصرية القديمة، والأعمال الفنية الأوروبية، لقد كان فاروق شديد الرغبة فى أن يجرب كل شىء وكل شخص.. وكانت نجمات الرقص الشرقى من بين أصناف النساء اللاتى أحبهن فاروق: تحية كاريوكا، سامية جمال، وحكمت فهمى.

أقامت حكمت فهمى فى عوامتها على النيل حفلات وجلسات كان يحضرها فاروق وكبار رجال الدولة، وضباط كبار فى الجيش البريطانى، وكان إلى جوار

عوامة حكمت فهمى، عوامة أخرى يسكنها جاسوسان للألمان أحدهما بريطانى والآخر أمريكى، كانا يحصلان على المعلومات من حكمت فهمى، وكان يعاونهما أنور السادات فى إرسال تلك المعلومات المشفرة إلى الألمان عبر موجات الراديو.. وقد اكتشفت المخابرات البريطانية نشاط الجاسوسين فى مجال الجاسوسية بالإضافة إلى قيامهما بتزييف الجنيه الاسترلينى، وقامت السلطات البريطانية بإلقاء القبض على الجاسوسين ومعهما أنور السادات لنشاطاته المعادية للبريطانيين.

فى وقت الحرب، وبينما كانت روسيا تعانى من الجوع، وكذلك فرنسا، كانت مائدة فاروق متخمة بكل أصناف الطعام والشراب والنساء، دون أدنى اهتمام منه بالألمان المتمركزين فى العلمين، أو بالنهاية التى تلوح فى الأفق.. لقد كان فاروق يتعامل مع كل امرأة وكل وجبة طعام، كأنها اخر امرأة، وآخر وجبة طعام.

فى أغسطس قام الجيش الثامن بتقوية صفوفه فى العلمين، فى الوقت الذى نشر فيه روميل قواته بشكل مبالغ فيه، وكانت نقاط الإمداد والتموين على بعد يزيد على ألف ميل داخل ليبيا، وكانت قواته معرضة دائماً لغارات جوية من الطائرات البريطانية.. كانت الإسكندرية قريبة، لكن روميل لم يكن فى استطاعته نشر قواته على مساحة امتداد أكبر. فى ذلك الوقت هبط ونستون تشرشل بطائرته فى مصر، وقام بتعيين الجنرال بيرنارد مونتجمرى قائداً للجيش الثامن بدلاً من الجنرال أوكينلك الذى عاد إلى الهند، وكسب مونتجمرى المعركة فى العلمين وانسحب روميل بقواته عائداً إلى ليبيا فى نوفمبر.

قبل أن يعود تشرشل إلى القاهرة، استحم فى مياه البحر المتوسط بالقرب من الإسكندرية، وفى القاهرة أقام فى البيت الأزرق، وهى فيللا تطل على الأهرامات.. وبالرغم من أن فاروق كان قد عبر لأرين جونل عن عدم قبوله لتشرشل الذى وصفه بأنه «إنجليزى بدين آخر»، إلا أن الملك فاروق قام بتوجيه الدعوة لتشرشل للقاء فى فندق مينا هاوس المواجه للأهرامات.. لكن المفاجأة التى عقدت ألسنة الحاضرين على مائدة العشاء الضخمة، عندما لما يجد تشرشل ساعته فى جيب معطفه، تلك الساعة التى كانت قد أهدتها الملكة آن لجده دوق مارلبورو فى مناسبة انتصاره فى معركة بلينهايم.

اتجهت كل أنظار الحاضرين إلى فاروق، لأن الجميع يعلم دروس النشل التى

حصل عليها فاروق مؤخراً على يد نشال كان يقضى فترة عقوبة فى سجن طرة، وعفا عنه فاروق لكى يكون معلمه الذى يعلمه حركة خفة اليد، وبالفعل اجتاز فاروق الاختبار الذى أجراه معلمه له، وأصبح ماهراً فى مهنة النشل.

بعد ما يقرب من ربع الساعة من البحث والتنقيب عن ساعة تشرشل، نهض فاروق من مقعده، وكأنه شيرلوك هولمز، اختفى فاروق عشر دقائق، وعاد وعلى هيئته ملامح الفوز، ممسكا الساعة فى يده، مدعيا أنه استطاع بمهارته التوصل إلى الفاعل، وهو موظف صغير بالقصر مريض بمرض هوس السرقة، عبر تشرشل عن شكره لفاروق، لكن لامبسون كان على علم بكل ألاعيب فاروق.

بعد أن فرض البريطانيون سيطرتهم على العلمين اتجهوا إلى طبرق لكى يستعيدوها من أيدى الألمان.. فى ذلك الوقت تغير موقف فاروق من البريطانيين تماما، ففى شهر ديسمبر أعلن عن تبرعه بآلاف الجنيهات للجيش البريطانى من أجل توزيع هدايا عيد الميلاد «الكريسماس» على جميع أفراد القوات البريطانية.. كذلك قام السلاح الجوى البريطانى بإهداء فاروق زى مارشال فى القوات الجوية البريطانية، وهو الزى الذى أحبه فاروق كثيراً، وكان يرتديه فى معظم المناسبات.

بدأ فاروق يحظى باحترام من كبار الضباط الإنجليز، ذلك الاحترام الذى افتقده من لامبسون.. احبه دوجلاس المارشال فى السلاح الجوى البريطانى، ووجده الفيلد مارشال سماتس ذكياً بصورة مدهشة، وكذا ممثل وزارة الخارجية البريطانة لشئون الشرق الأوسط، أوليفر ليتيلتون الذى أقنع لامبسون فى ليلة ٤ فبراير أن يمنح فاروق فرصة أخرى إذا كانت إجابته بنعم، وكان رأيه فى فاروق أنه محبوب وقادر على تسيير شئون البلاد.. حتى تشرشل بدأ يميل إليه بعد البراعة التى أظهرها فى فندق مينا هاوس فيما يتصل بساعته.

كان من بين الأمريكيين الموجودين فى مصر، ريتشارد راسل عضو مجلس الشيوخ عن ولاية جورجيا، وقد وصف فاروق بأنه شاب جذاب يعرف كيف يدير عمله جيداً أفضل من بقية الحكام العاديين فى الشرق الأوسط.. ورجل المال والأعمال والدبلوماسى وينثروب الدريتش الذى أشاد بفهم فاروق لتعقيدات سوق الذهب العالمى ولأحوال شارع المال والأعمال فى نيويورك «وول ستريت».

ولقد عرفت القوات المسلحة الأمريكية الطريق الذى يدخلون منه إلى قلب

فـاروق، فـمـثلمـا أهـدى هتلر فـاروق السـيـارات المرسـيـدس التى أسـعـدته، فالأمريكيون أيضاً قدموا لفاروق طائرة خاصة، وسيارة جيب، والعربة البرمائية التى سعد بها كثيرا، وكان يصطحب فيها صديقاته من الفتيات إلى شاطىء المنتزه فى منتصف الليل.

بعد ذهاب روميل عادت الحياة فى مصر إلى طبيعتها وصورتها المعتادة، الأكثر روعة من بقية دول العالم، كما يصفها نويل كاوارد فى كتابه «يوميات الشرق الأوسط» ويقول: «هذا المكان هو الملاذ الأخير، مختلف أشكال وصور الحياة المرفهة قبل الحرب، لاتزال موجودة هنا: الأثرياء، والكسالى، وحفلات الكوكتيل، وحفلات العشاء، والمجوهرات، وأثواب السهرة».

كان فاروق غارقا فى لهوه ومسراته، وفى المتع والملذات، مادام القول «غداً سنموت» لايزال شعار حياته اللاهية التى تعيش يومها وكأنها ستموت غداً.. لا أحد يبارى فاروق فى كيفية الاستمتاع بوقت جميل هو ومن فى صحبته.. وكان فاروق يبدو وكأنه يحاول أن يبذل ما فى وسعه للتغلب على عقدة النقص التى أصابه بها لامبسون.

كتب فيلد مارشال دوجلاس فى مذكراته: لقد بدأت أحب فاروق، فلم يكن فى شخصيته ما يدل على فساد طبع، بالرغم من الأوقات التى كان يتحدث فيها بما لا يليق ويثير ضيق وغضب البعض.. لكن ما يمكن أن يكون عيبا فيه هو توقه الشديد إلى اقتناء ثروة ضخمة، فقد كاشفنى فى وقت من الأوقات بأن ثروته تقدر بستة ملايين جنيه، وأن الشىء الذى يوليه عناية وأهمية كبيرة فى حياته هو أن يزيد من ثروته وثرائه، وقد قاده ذلك إلى تملق الأثرياء كسباً لرضاهم، وهو الشىء نفسه الذى فعله الأثرياء معه، وكان ذلك كله على حساب الناس الفقراء، الذين لم يولهم أدنى اهتمام.. وكلما تحدث دوجلاس مع فاروق فى مسائل تتصل بتحسين أوضاع الفقراء، كان فاروق يوقف دوجلاس عن الاستمرار فى حديثه مطلقاً دعاباته وسخرياته ومتهماً دوجلاس بأنه أصبح شيوعياً.

بد زوال شبح الحرب عن مصر فى عام ١٩٤٣، أصبح استمرار الاحتلال البريطانى لمصر، سبباً فى تزايد غضب وحنق المصريين، وقد تبلور ذلك الغضب والحنق فى علاقة النزاع المعقد بين فاروق ولامبسون، ذلك النزاع الذى

ستحدد نتيجته، ليس فقط مستقبل فاروق ولامبسون، وإنما مستقبل العلاقة بين مصر وبريطانيا.

إن النظرة الفاحصة إلى سلسلة النزاعات التى استمرت حتى عام ١٩٥٦ بين فاروق ولامبسون، توضح كيف أن العداء والتنافر الشديدين بين الرجلين كانا يجسدان مظاهر الاختلاف والتباين بين مصر وبريطانيا.. إن الحرب التى اشتعل أوارها بين فاروق ولامبسون، تعد ذات أهمية أكبر لتاريخ مصر الحديث من الحرب العالمية الثانية، نظراً لما سببته حرب فاروق ولامبسون من أذى وجراح.

هذه زينب الوكيل، زوجة النحاس رئيس الوزراء، ومن أعمدة المجتمع فى مصر، كانت تطمح للعب الدور الذى لعبته إيفا بيرون فى الأرجنتين، وإميلدا ماركوس فى الفلبين، وكان نفوذها قوياً داخل حزب الوفد أجبرت زينب الوكيل، زوجها النحاس على طرد مكرم عبيد صديقه لمدة عشرين عاماً من منصبه كوزير مالية ومن حزب الوفد، وكان أن ثار مكرم عبيد لنفسه بإصدار الكتاب الأسود الذى ضم مجموعة من التصرفات أساء فيها النحاس استعمال سلطاته، عددها ١٠٨ تهم، وقد عزم مكرم عبيد على تقديم الكتاب الأسود للملك فاروق حتى يكون مبرراً للملك لإقالة النحاس من منصبه.

وقد وجد فاروق فى الكتاب الأسود فرصته للتخلص من النحاس، كما أن صداقاته مع بعض العسكريين البريطانيين فى القاهرة قد زودته بالثقة بالنفس.. لكن لامبسون كان مصراً على حماية النحاس، الذى إذا لم يكن دمية، فهو أفضل صديق له بين السياسيين المصريين.. انتصر لامبسون على فاروق مرة أخرى، عندما التقيا فى قصر عابدين، وحدثه لامبسون قائلاً: إن إنجلترا غير راغبة فى خفض عدد الملوك فى العالم بعد أن تضاءل عددهم، وأن فاروق يمكنه أن يطيل فترة بقائه فى الحكم إذا هو استمع جيداً لنصائح البريطانيين.

فى كتابه «عالم واحد» أوضح وندل ويلكى أن السفير البريطانى فى مصر هو حاكمها الحقيقى، وقد منعت مصر دخول الكتاب.



- الملك يفضل البقاء بجوار الممرضات البريطانيات بالإسماعيلية على لقاء تشرشل وروزفلت بالعاصمة المصرية
- فاروق يهدد بشن حرب ضد اليهود إذا رفضت صديقته إرين الرجوع إليه
- كاميليا تؤدى أمام الملك رقصات يهودية وعلى رقبتها نجمة داوود

انتهت الحرب وبدأت نتائجها تتفاعل لتزيد من شعور الملك فاروق بالاستقرار السياسى، بيد أن سلسلة الاغتيالات تفاعلت بدورها لتزيد الدول من تدخلها فى صناعة القرار المصرى.

قاد فاروق سيارته الكاديلاك الحمراء بسرعة تزيد على مائة ميل فى الساعة فى طريقه إلى الإسماعيلية على البحر الأحمر ومعه صديقه بولى لكى يرى يخته الجديد الذى شارف على الانتهاء وعندما زاد ضغطه على ذراع البنزين حتى يتجاوز شاحنة للجيش البريطانى أمامه فوجىء بعربة أخرى قادمة فى اتجاهه وكان أن اصطدمت السيارة الكاديلات بمجموعة أشجار.

توقفت الشاحنة ونزل منها الجنود البريطانيون ليتبينوا أمر السيارة الكاديلاك.. ولما أخبر فاروق الجندى البريطانى أنه ملك مصر اعتقد الجندى أن فاروق يهذى وقال للجنود الآخرين ساخرا: «إذا كان هذا هو ملك مصر فأنا إمبراطور أفغانستان».

وعندما جاءت سيارة الاسعاف البريطانية لنقل الملك على ظهر نقالة الجرحى إلى المستشفى تفككت النقالة وانهارت بسبب الثقل الزائد ووقع الملك على الأرض ليكون وقوعه هذا ثانى إهانة تلحق به فى غضون دقائق بعد سخرية الجندى منه وقد شخص أطباء المستشفى العسكرى البريطانى القريب من مدينة القصاصين إصابات فاروق بكسر فى الحوض وشرخ فى ضلعين من ضلوع الصدر.

تم استدعاء مجموعة من كبار الأطباء إلى المستشفى العسكرى أرادوا أن ينقلوه إلى القاهرة لكن فاروق أصر على أن يعالج مثل أى جندى بريطانى عادى وبالرغم من التليفون الذى جاءوا به إلى جوار سريره والطباخين الذين تم استدعاؤهم من القصر والصفوف الطويلة من الفلاحين التى وقفت عند

بوابة المستشفى تهتف بسلامة الملك فإن فاروق حاول أن يمثل دور المصاب في حرب وقد سر فاروق بالممرضات البريطانيات اللاتى كن يقمن بأعمال المساج والعلاج الطبيعي وبعنايتهن به وكان يقوم بمعابثتهن ومغازلتهن بصورة متكررة الأمر الذى يدحض الشائعات التى أثيرت من حول فاروق والتى تتحدث عن أن الإصابات التى لحقت به في الحوض قد تسببت في إصابته بعجز في قواه الجنسية وشائعة أخرى قالت إن الحادث الذى تعرض له فاروق قد أضر بجهازه التناسلي وسبب اضطرابات في غدده الهرمونية.

مع ذلك فإن الأطباء المعالجين لم يشيروا في تقاريرهم الطبية إلى أى شيء غير عادى قد تعرض له فاروق بل إنهم كانوا يريدون من فاروق مغادرة سرير المستشفى بعد أسبوع واحد من وصوله لكن فاروق أحب المكوث في المستشفى وراح يماطل في مغادرتها إلى أن غادرها بعد ثلاثة أسابيع.

كان فاروق مسرورا لإقامته في المستشفى بعيدا عن لامبسون والنحاس وفريدة ونازلي وابتهج لتجنبه استقبال تشرشل وروزفلت وتشيانج كاى شيك عند نزولهم بمصر في فندق مينا هاوس وهم في طريقهم لحضور مؤتمر في طهران.. لقد فضل فاروق الممرضات والمساج والعلاج الطبيعي على القاهرة الفاتنة الساحرة التى كانت مزارا لقادة العالم وملجأ للملوك المنفيين في ذلك الوقت مثل ملوك اليونان ويوغوسلافيا وألبانيا.

كان على فاروق أن يكف عن لعب دور أحد جرحى الحرب وعن تمارضه ويعود إلى الواقع المؤلم القاسى والمحزن فقد أنجبت فريدة في ١٥ ديسمبر بنتا أخرى أسمتها فادية، وفى ذلك الوقت بالتحديد وعلى انغام ثلاث فرق موسيقية كانت تعزف موسيقى أغنية «الناس سيقولون إننا نعيش قصة حب» في الحفل الكبير الذى أقامته شفيقة بمناسبة عيد رأس السنة الميلادية وكأنه كان يريد أن يعلن للقاهرة وللعالم كله كيف أن الحب الرومانسى المشتعل الذى جمع بين الملك والملكة قد خبا وانطفأ.

كان الصراع على السلطة بين فاروق والنحاس سببا في محاولة فاروق مرة أخرى إقالة النحاس وتعيين أحمد ماهر شقيق على ماهر بدلا عنه، كان النحاس قد سافر إلى صعيد مصر عندما داهم مرض الملاريا الناس هناك، وتسبب في موت الآلاف وكان أن أسس النحاس مؤسستين خيريتين في الصعيد

وألحق بهما اسمه وليس اسم الملك، وهذا ما أغضب فاروق وكان الملك تراجع من قبل عن قراره بإقالة النحاس تحت تهديد لامبسون بخلعه عن العرش.

وفي النهاية عندما سافر لامبسون وزوجته لقضاء إجازة في جنوب أفريقيا وهي رحلته الأولى منذ بدأت الحرب أصدر فاروق في ٨ أكتوبر قراره بإقالة النحاس ولم يكن في مصر في ذلك الوقت من يستدعي الدبابات البريطانية ويحاصر قصر عابدين ويهدد الملك، أيضا لم تخرج مظاهرات المصريين تعبيرا عن غضبها لإقالة النحاس، وقد أرضى غرور لامبسون أن ذلك تم في غيابه وليس أثناء وجوده في مصر.

بعد ذهاب النحاس ذهب لامبسون إلى منصب جديد في سنغافورة ولأول مرة يستشعر فاروق أنه حاكم مصر بلا منازع.

لقد أصبح فاروق حاكما في حياته الشخصية فبعد ولادة فادية بقليل غادرت فريدة قصر عابدين وانتقلت هي وبناتها إلى جناحهم الخاص في قصر القبة، فقد كانت فريدة خارج حياة فاروق وسريعا ما تغادر أمه الملكة نازلي بدورها قصر عابدين ولترحل إلى أمريكا مع صديق جديد بعد موت صديقها السابق أحمد حسانين في حادث تصادم.

وجد فاروق نفسه حرا وصاحب سلطة مطلقة ويتمتع بصحة طيبة وبدأت صورته تتخذ هيئة رجل الدولة الابيقوري المحب لمتع الحياة وملذاتها لكنه كانت أمامه الفرصة ليكون قائدا عصريا للشرق الأوسط.

شهد عام ١٩٤٥ تحول مصر من ساحة للحرب إلى ساحة للصراع السياسي وإلى سلسلة طويلة من الاغتيالات السياسية بدأت باغتيال أحمد ماهر في البرلمان المصري. في ذلك الوقت بدأ يظهر على الساحة السياسية المصرية ما يدل على مرجل الغضب الشديد الذي يغلي بالسخط على الأوضاع الاجتماعية المتردية وعلى التفرقة الشديدة بين الطبقات الاجتماعية بين ثراء ونفوذ طبقة الباشاوات وبين الفقر والقهر الذي يعيشه الفلاحون المصريون، وفي ذلك العام أيضا كان فاروق تنفس الصعداء بذهاب لامبسون الذي كان يعد الحاكم الفعلي لمصر لكن فاروق الذي لم يعد يجد مشكلة في تسيير أمور الحكم في مصر واجهته مشكلة أكبر.. إسرائيل.

ومشكلات فاروق مع إسرائيل كمثل كل مشكلات فاروق، كان سببها ومحركها

الأساسى البريطانيون فى مصر وفى إنجلترا، ففى عام ١٩٤١ ألقى انطونى ايدن وزير خارجية بريطانيا فى مانسيون هاوس فى لندن خطابا دعا فيه دول الشرق الأوسط إلى أن تتكاتف وتتحد معا فى مواجهة الخطط والنوايا العدوانية لدى النازيين الشيوعيين، وبعد هزيمة هتلر تنبأ ايدن بأن ستالين سيصبح مصدرا يهدد بالخطر توازن القوى فى العالم، ومن هنا فكر فى إقامة تحالف يجمع دول الشرق الأوسط ويكون سهل الانقياد وتابعا للبريطانيين، واعتمد ايدن على لامبسون فى تنفيذ فكرته تلك وأيضا كان اعتماد لامبسون على رئيس الوزراء المصرى النحاس من أجل اعتماد ذلك التحالف فى منطقة الرمال المتحركة التى تحتوى على النفط الذى يعطى لهذه البلاد أهميتها الكبيرة.

فى عام ١٩٤٤ نجح النحاس فى جمع قادة معظم الدول العربية «مصر، سوريا، لبنان، العراق، الأردن، المملكة العربية السعودية، اليمن» فى الإسكندرية وهناك وقعوا على مسودة إنشاء جامعة الدول العربية وكان ذلك يمثل انتصارا دبلوماسيا دوليا للنحاس، انتصاره الأول والأخير أما بالنسبة لمصر فلم يثر التوقيع على مسودة إنشاء جامعة الدول العربية إلا القليل من الاهتمام، فحتى ذلك الوقت لم تكن مصر قد نظرت إلى نفسها باعتبارها دولة عربية فقد كان الشىء المشترك بين مصر ودول عربية مثل السعودية والأردن والعراق هو أن سكان مصر مسلمون ومعظمهم يتحدثون اللغة العربية لكن كانت هناك اختلافات بين مصر وهذه الدول العربية فى طبيعة أراضى هذه الدول القاحلة وفى طقسها الذى يختلف عن طقس مصر وفى أنها كانت فى درجة أدنى من حيث أن وصف مصر باعتبارها عربية ربما تسبب فى تقلب السلطان محمد على والخديوى إسماعيل وهما فى رقادهما تحت ثرى القبر فقد بذلا كل جهد لكى يخرجا مصر من نطاق الدول العربية ومن نطاق أفريقيا ومن ماضيها ذاته حتى يمكنها إدخال مصر ضمن الدول الأوروبية المتحضرة وبالفعل أصبحت مصر باريس أفريقيا التى تضم بداخلها مسيحيين وأقباطا ويونانيين ارثوذكساً ويهودا ومسلمين يشكلون أغلبية عدد سكانها من الطبقات الدنيا.

لكن منذ متى كان ينظر إلى مصر من زاوية سكانها من الطبقات الدنيا؟ ومن كان يجرؤ على مقارنة مدينة القاهرة أو الإسكندرية وهما فى ذروة مدنيتهما وتحضرهما وتألقهما بعمان أو دمشق أو بغداد؟

وإذا كان الخيار المطروح أمام فاروق هو دراما أن تكون مصر الطفل المتبنى لأوروبا أو تكون الأب الروحى للصحراء العربية، فقد اختار فاروق وقوفه إلى دفة مراكب الجامعة العربية، التى تمنحه إمبراطورية فى طور التكوين لم يبذل فى سبيل الحصول عليها أى شىء لكن الشىء الذى لم يتنبه إليه فاروق جيدا هو أنه عندما نسب إليه جهد النحاس الدبلوماسى فيما يتصل بتوقيع عقد إنشاء إمبراطوريته لم يدرك حجم المسئولية التى كان عليه أن يتحملها تجاه إخوانه المسلمين لقد اتضح فيما بعد أن إمبراطورية فاروق العربية لم يحصل عليها بالمجان ودون بذل أى جهد كما كان يتصور لأنها فى النهاية قد كلفته عرشه.

بعد إتمام توقيع مسودة إنشاء جامعة الدول العربية وبعد إقالة النحاس من منصبه كرئيس وزراء مصر فى أكتوبر ١٩٤٤ وقع فى ٦ نوفمبر حادث اغتيال لورد موين القائم بأعمال السفارة البريطانية فى القاهرة أثناء الفترة التى كان يقضى فيها لامبسون إجازته فى جنوب أفريقيا وقد اغتيل لورد موين وهو جالس فى المقعد الخلفى بسيارته الهمبراز السوداء التى كانت تقله إلى الفيلا التى يقطنها فى الجانب الآخر من نادى الجزيرة الرياضى على يد اثنين من جماعة سرية كانت تطلق على نفسها مقاتلون من أجل تحرير إسرائيل أو عصابة شتيرن نسبة إلى مؤسس الجماعة ابراهام شتيرن.

وكان السبب الذى من أجله قام الصهيونيون الراديكاليون باغتيال لورد موين هو أنه اشترك فى الإعداد لتوقيع مسودة إنشاء جامعة الدول العربية التى اعتبرتها جماعة شتيرن الصهيونية عدوة للشعب اليهودى بالإضافة إلى أن اختيارهم للورد موين جاء اختيارا رمزيا ضد نفاق البريطانيين الذين تراخوا فى تقديم العون لهم وضد العرب فى الوقت نفسه فضلا عن أن لورد موين نفسه هو الذى سلم رسالة ايدن التى كانت تحمل أنباء سيئة للزعماء الصهيونيين وايزمان وبن جوريون.

كان هذا الحادث أسوأ حادث تعرض له البريطانيون فى مصر منذ مقتل سير لى ستاك قائد الجيش المصرى فى عام ١٩٢٤ الذى اتهم بقتله أحمد ماهر وفهمى النقراشى واخلى سبيلهما عندما لم تثبت التهمة على أى منهما وقد رفع هذا الحادث درجة الاستعداد عند رئيس شرطة القاهرة سير

توماس راسل لمقاومة الإرهابيين لكن الشىء الذى لم يكن يتوقعه البريطانيون أن يكون الإرهابيون من الصهيونيين.

وقد بعث زعماء اليهود فى أمريكا بفريق من أكبر المحامين للدفاع عن الإرهابيين الصهيونيين حكيم الياهو وزميله الياهو لكن تشرشل بعث فى ٢٩ يناير ١٩٤٤ ببرقية سرية وعاجلة إلى لامبسون للتأكد من أن القاتلين سوف ينفذ فيهما حكم الإعدام دون أى تأخير وبالتالى فقد طلب لامبسون من فاروق وأحمد ماهر ألا يخضعا للضغوط الأمريكية وحذرهما من عواقب التراخى فى تنفيذ العقوبة على القاتلين ووعده أحمد ماهر بأن حكم الإعدام سينفذ بحذافيره وبالفعل نفذ حكم الإعدام فى مارس ١٩٤٤.

وفى عام ١٩٧٥ أخرجت جثتا حكيم الياهو وزميله الياهو من قبريهما فى هليوبوليس بمصر الجديدة وتم استبدال جثتيهما بعشرين سجينا مصريا فى سجون إسرائيل ودخلت جثتا القاتلين من عصابة شتيرن إلى إسرائيل فى احتفال كبير باعتبارهما بطلى حرب.

كان فاروق أكد لتشرشل أنه مهتم جدا بتنفيذ حكم المحكمة على القاتلين اليهوديين لكن المشكلة التى واجهت فاروق أن بعض أفضل أصدقائه كانوا من اليهود فإلى جانب الدور البارز الذى كان يلعبه اليهود فى القاهرة والإسكندرية فى الشئون السياسية والمالية فإن اليهود لا غنى عنهم فى حياة فاروق الشخصية.

اليهودية هيلين ميسورى كانت الصديقة الحميمة لفاروق التي يتصل بها فى أى وقت من أوقات النهار والليل ليطلب منها إعداد حفلة للعب القمار وارين اليهودية أحب خليلات فاروق والتى هددها بعد تركها له لتتزوج من ضابط بريطانى أنه سيشن حربا على اليهود إذا هى لم ترجع إليه وحتى ينسى فاروق ارين بدأ فى علاقة غرامية جديدة مع اليهودية الإسكندرية ليلان كوهين أو كاميليا المغنية والراقصة فى أوبرج الأهرام بالقاهرة وكانت تغنى وترقص لفاروق فى القصر أغنيات ورقصات فولكلورية يهودية ودائما كانت ترتدى نجمة داود فى عقد حول رقبتها.



● حمام الدم يغطى شوارع القاهرة والملك يطلق زوجته فريدة بعد انفصال دام ٤ سنوات

● الشعب المصرى يعيش مأساة هزيمة قواته فى حرب ١٩٤٨ والملك ينسى همومه فى علاقته مع اليهودية ليليان كوهين

● الملك عبدالله يلتقى جولدا مائير سرا لعقد اتفاقية سلام منفردة مع اليهود

● بولى وجالهان وأندراوس وراء صفقة الأسلحة الفاسدة

كلف فاروق رئيس وزرائه الجديد أحمد ماهر بمهام دخول مصر عضوية الأمم المتحدة والتحضير للمؤتمر الذى تعقده فى سان فرانسيسكو وقام أحمد ماهر بالإفراج عن المعتقلين بسبب تعاطفهم مع دول المحور بما فيهم شقيقه على ماهر وفى ٢٤ فبراير اغتيل أحمد ماهر داخل البرلمان على يد محمود عزاوى أحد أفراد جماعة الشباب المصرى المؤيدة لدول المحور.

لم يتوقف مسلسل الاغتيالات الذى استهدف السياسيين المصريين فبعد اغتيال أحمد ماهر حل محله النقراشى كرئيس للوزراء الذى اغتيل هو أيضا فى عام ١٩٤٨ وكانا معا قد اتهما باغتيال قائد الجيش المصرى السيرلى ستاك أما النحاس المتهم من قبل الوطنيين المصريين بتعاونه مع لامبسون فقد قاموا بتفجير سيارته ولم يكن وقتها موجودا بداخلها وأيضا قام الوطنيون المصريون باغتيال أمين عثمان الوفدى وثيق الصلة بالبريطانيين وبلامبسون.

كتب جمال عبدالناصر عن الاغتيالات السياسية قائلا «بدت لى الاغتيالات السياسية كعمل إيجابى كان علينا أن نتبناه إذا كنا نريد انقاذ مستقبل بلادنا» وبدأ ناصر وزملاؤه الضباط وجماعة الإخوان المسلمين والجماعات الطلابية المختلفة فى إعداد قائمة اغتيالات تضم أفرادا من طبقة الباشوات المتعاونين والمؤيدين للبريطانيين أعداء البلاد وهكذا استيقظ أحفاد بناة الأهرامات وراحوا ينفضون عن كاهلهم عبودية القرون الماضية واضعين نصب أعينهم هدف النضال ضد الاستعمار البريطانى والصهيونية.

وبدأ فاروق يستشعر سعادة بإمساكه بمقاليد الأمور فى البلاد دون أية قيود أو فرض سيطرة من أحد فما دام النحاس خارج السلطة ولامبسون خارج البلاد فهو الحاكم بلا منازع لكن فاروق في غمرة سعادته لم يبدأ فى تشييد سدود أو إقامة مدارس ومستشفيات أو أن يعمل بنصيحة تشرشل له بمعالجة الفجوة المتسعة بين طبقة الباشاوات الأثرياء وطبقة الفلاحين المعدمين.

كان فاروق مثل طفل صغير ذهب عنه والداه بعيدا ومربيته قد غالبها النعاس فراح يفعل ما يحب ويهوى وما كان لا يستطيع فعله فى وجود الرقابة والقيود.

بعد وفاة أحمد حسانين مستشار فاروق السياسى فى حادث اصطدام سيارته بشاحنة جنود بريطانية على أحد كبارى القاهرة يوم جنازة اللورد موين فى فبراير عام ١٩٤٦ عين فاروق محله مستشاره الصحفى كريم ثابت الذى ينتمى إلى عائلة لبنانية مصرية تشتغل فى الصحافة وتملك صحيفة المقطم اليومية وسريعا أصبح كريم ثابت محل كراهية واحتقار كل شخص لتملقه فاروق ولحملاته الصحفية الملفقة التى يظهر فيها فاروق وكأنه أعظم حاكم شهدته البلاد منذ الملك رمسيس كما قام فاروق أيضا بتعيين الياس اندراوس مستشارا اقتصاديا له وادموند جاهلان أحد أفراد حاشيته فى القصر وكان يعمل فى تجارة السلاح وهو الذى أشارت إليه أصابع الاتهام فى صفقة الأسلحة الفاسدة فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨..

كان انتونيوبولى وكريم ثابت والياس اندراوس وادموند جاهلان هم أبرز المحيطين بفاروق من حاشيته التى تضم أيضا مصففى الشعر والأطباء والخدم الخصوصيين والذين يقومون بتربية الكلاب وكانت صفة الوفاء التى اتصف بها فاروق فيما يتصل بحاشيته هى نفسها التى جعلت منه سياسيا لا ينظر أبعد من موضع قدميه. استمر فاروق فى التردد كل ليلة على نادى السيارات الملكى بالإسكندرية للعب القمار مع أصدقائه من الباشاوات اليهود. حتى اثناء حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ وجد فاروق نفسه فى مأزق فجمع أصدقائه ومستشاريه وصديقاته من اليهود فوالده غرس فى ذهنه تقديره الكبير لليهود فضلا عن عزمه على جعل ارين جونل اليهودية زوجة له وتساءل كيف يمكن لفاروق الذى يتصدر قادة الدول العربية الأعضاء فى الجامعة العربية ألا يكون ضد الصهيونية وضد اليهودية.

فى يونيو ١٩٤٦ رحب فاروق بالحاج أمين الحسينى مفتى القدس عندما طلب حق اللجوء السياسى فى مصر بعد هروبه من السجن بفرنسا بسبب نشاطاته المعادية للبريطانيين واليهود والموالية للألمان وكان ترحيب فاروق بالحاج أمين الحسينى بالرغم من أن البريطانيين كانوا يعتبرونه مجرم حرب

إلا أن أمين الحسينى كان صديقا للقاضى ذو الفقار والد فريدة وكان قد سرب إلى فاروق بعد أحداث فبراير ١٩٤٢ معلومات تلقاها من الاستخبارات الألمانية تفيد بمحاولة انقلاب وشيكة الحدوث تستهدف حياة فاروق ونظام حكمه وفى ذلك الوقت فكر فاروق فى الهرب جوا إلى مقر قيادة روميل ثم إلى حيث الأمان التام لدى الفوهرر فى برلين.

وعلى غير عادة فاروق الذى كان يسهر فى فيلا حلوان مع صديقاته حتى الفجر ويستيقظ فى الظهيرة فان المفتى أمين الحسينى الذى استضافه فاروق فى حلوان كان يستيقظ عند شروق الشمس لكى يفترش سجادة الصلاة التى أهداها له والده منذ أربعين عاما فى اتجاه مكة ويصلى صلاة الفجر ثم بعد انتهائه من الصلاة يتجول فى الحدائق المطلة على نهر النيل ثم يعود إلى عشة الدجاج التى أقامها تحت أشجار النخيل فى الفيلا لكى ينثر الحب أمام الدجاج الذى يحبه المفتى. ومثلما كان فاروق يرد الجميل الذى قدمه له الحاج أمين الحسينى من قبل استضاف ملك إيطاليا فيكتور ايمانويل وزوجته الملكة ايلينا فى مصر بعدما اطيح بعرشهما ردا لجميل إيطاليا التى استضافت الخديو إسماعيل عندما أجبر على التخلى عن العرش. فى ذلك الوقت كان حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين التى يزيد عددها على مليون شخص من الفقراء والفلاحين يشعرون بالسخط العميق لإساءة توزيع ثروات مصر التى تعتبر أكثر الدول العربية ثراء فطبقة الباشاوات التى تمثل أقل من نصف فى المائة من عدد ملاك الأرض يمتلكون ثلث الأراضى الصالحة للزراعة فى عموم مصر.

بلغت ديون بريطانيا العظمى على مصر وقت الحرب أربعمائة مليون جنيه استرلينى وكانت هناك ملايين أخرى تضيع على المصريين فوق موائد القمار بنادى السيارات الملكى وفى نفس الوقت يعانى ٨٠٪ من الفلاحين المصريين من مرض البلهارسيا والرمد. لقد كانت الفجوة المتسعة بين ثراء طبقة الباشوات وبين فقراء الفلاحين المعدمين أكثر مما يتحمل الشعب لذلك فقد بدأ المرشد العام حسن البنا فى تسليح جماعة الإخوان المسلمين مكونا خلايا مسلحة تمسك القرآن بيد وفى اليد الأخرى تمسك بالسلاح.

بعد محادثات طويلة أخرى أجراها إسماعيل صدقى مع وزير الخارجية

البريطانى بيفن فى لندن فى أكتوبر ١٩٤٦ عاد صدقى إلى القاهرة حاملا لفاروق نتائج مباحثاته المبشرة فخروج البريطانيين من مصر وشيك الحدوث باستثناء قضية قيد البحث وهى من يحكم السودان الذى يخضع تحت حكم إنجليزى-مصرى مشترك منذ أن قام اللورد كتشنر بهزيمة قوات المهدى فى أم درمان.

وأثناء هذه المباحثات وعدت بريطانيا مصر بأن السياسات المستقبلية فيما يتصل بالسودان سوف يتم صياغتها داخل إطار وحدة مصر والسودان وتحت حكم مصر.. وعلى أساس ذلك الوعد البريطانى عاد إسماعيل صدقى إلى مصر قادما من لندن عودة المنتصر مؤكدا للملك فاروق أن السودان ستكون خاضعة لملكه وأن مياه النيل لن تجف على الإطلاق.

لكن ما انتهت إليه الدبلوماسية البريطانية فى قضية السودان هو أنها أعطت السودانيين الحق فى اختيار مستقبل الأوضاع فى بلادهم وأن بريطانيا ستستمر فى اختيار الحاكم العام للسودان وبذلك تكون بريطانيا مستمرة فى كونها صاحبة اليد العليا في السودان والنيل وتكون قد ألغت كل ما دار فى المحادثات الثنائية بين مصر وبريطانيا كما جاء فى تصريح رئيس الوزراء العمالى كليمينت آتلى «لا تغيير فى الأوضاع القائمة وإدارة السودان محل نظر».

جعلت مناورات البريطانيين حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين يكتب فى صحيفة الجماعة ليحث كل مصرى أن يعلم أطفاله منذ نعومة أظفارهم أن يمقتوا ويلعنوا الإمبراطورية البريطانية وبعد انهيار المحادثات التى جرت بين إسماعيل صدقى والإدارة البريطانية. قدم إسماعيل صدقى استقالته من منصبه كرئيس للوزراء ديسمبر ١٩٤٦ لأسباب صحية بعد ذلك أعاد فاروق النقراشى مرة ثانية فى منصب رئيس الوزراء الخالى الذى أوقف كل المفاوضات الجارية مع البريطانيين والغى مسودة الاتفاقية التى وقعها إسماعيل صدقى معهم وعرض قضية السودان على مجلس الأمن بالأمم المتحدة الذى لم يتخذ فيها أى قرار.

كان عام ١٩٤٧ عاما سيئا بكل المقاييس لبريطانيا والشىء الوحيد الذى لم يكن كذلك هو زفاف الأميرة اليزابيث على فيليب ماونتباتن دوق ادنبرا

الذى جعل المصريين ينظرون إلى بريطانيا فى هذا العام بارتياح خبيث فقد مر ببريطانيا فى ذلك العام اسوأ فصل شتاء منذ عام ١٨٩٤ قاسى منه البريطانيون كثيرا خاصة بسبب النقص فى الفحم الأمر الذى دفع بريطانيا إلى تأميم صناعة الفحم ثم تلا ذلك تأميم السكك الحديدية والغاز الشىء الذى جعل لندن تشبه موسكو إلى حد كبير.

فى ذلك العام حصل اليهود على تعاطف العالم الغربى والفرد العادى فى الغرب الذى سمع عن معاناة اليهود فى الحرب على يد الألمان وعن نزاع العرب واليهود على فلسطين كان يتساءل فى سهولة ويسر لماذا لا يحصل اليهود على قطعة الصحراء هذه؟

فى ذلك الوقت الذى حصلت فيه فلسطين على اهتمام العالم كانت مصر سادرة فى الصمت فالبلاد هاجمها وباء الكوليرا الذى تسبب فى موت خمسة وثلاثين ألف شخص فى ستة أشهر وهو الوباء الذى تسبب فيه حاج كان يحمل معه زجاجة مياه من الخارج ملوثة بميكروب المرض، وقام بصب محتوياتها فى بئر قريب من مدينة أسيوط فى صعيد مصر.

أما فاروق فكان منشغلا فى علاقة غرامية جديدة مع اليهودية ليليان كوهين وفى ليالى القمار فى نادى السيارات الملكى مع أصدقائه الباشاوات اليهود مطلقا ضحكاته ودعاباته: «احضروا لى أعدائى الصهيونيين لكى أحصل على أموالهم» كل أعمال فاروق كانت موالية ومؤيدة لليهود أما كلماته فكانت فى مصالح العرب.

منح فاروق لاجئا سياسيا آخر حق اللجوء فى مصر هو عبدالكريم الخطابى الذى قاد تمردا ضد فرنسا واسبانيا فى المغرب فى عام ١٩٢٥ ونفاه الفرنسيون فى جزيرة فى المحيط الهندى وأثناء إعادته إلى فرنسا على ظهر باخرة عبر قناة السويس طلب اللجوء وأجابه فاروق إلى طلبه وكان بصحبته زوجتان وخمس بنات وستة أبناء وستون حقيبة.

فى ديسمبر ١٩٤٧ اجتمع فى مقر الجامعة العربية بالقاهرة رؤساء وزارات سبع دول عربية لكى يقرروا كيف يمكن لـ٤٥ مليون عربى القضاء على ستمائة ألف من اليهود فى فلسطين.

رئيس وزراء المملكة العربية السعودية اراد معاقبة الغرب بمنع تزويدهم بالنفط.

ونورى السعيد رئيس وزراء العراق الذى اتهم بأنه يأتمر بأمر البريطانيين حث العرب على أن يلعبوا دورهم بحذر وللمدى الطويل. وأكثرهم اندفاعا كان رياض الصلح الوطنى المتحمس الذى حاول الفرنسيون قتله ست مرات فقد أراد تشكيل جماعات مسلحة والبدء فى شن هجماتها كما فعل نظيره السورى جميل مردم العضو المؤسس لجماعة الفتاة السرية التى أسهمت فى التخلص من السلطان العثمانى الذى كان يحكم سوريا. وعبدالله الذى كان يريد ضم القدس إلى الأردن وسعى إلى تسوية مع اليهود والتقى سرا عدة مرات مع جولدا مائير لهذا الغرض.

فى ١٥ مايو ١٩٤٨ انتهى الانتداب البريطانى لفلسطين وانسحبت على الفور القوات البريطانية وتم الإعلان عن دولة إسرائيل وعلى الفور اعترفت بها كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى فى الوقت الذى أراد فيه العرب خوض الحرب.

اجتمع مجلس الوزراء المصرى برئاسة النقراشى وأقروا بأن الجيش المصرى غير مستعد لخوض حرب لكن فاروق لم يأخذ برأيهم فكيف يمكن لملك الملوك فى العالم العربى ألا يكون مستعدا لخوض الحرب؟ ومثل طفل يلعب بألعاب الحرب ارتدى فاروق زى فيلد مارشال وراح يعاين قواته من فوق ظهر حصانه ثم سلم الآلاف منهم مصاحف قرآنية من الحجم الصغير وأمر بإنشاء طريق متسع يبدأ من ضاحية هليوبوليس القريبة من مطار القاهرة وينتهى فى ميدان محمد على ليكون طريق النصر الذى يستعرض فيه فاروق قواته العائدة المنتصرة ذلك الاستعراض العسكرى الذى لم يحدث أبدا فى حرب فلسطين جرح اللواء محمد نجيب ثلاث مرات والنقيب جمال عبدالناصر حوصرت كتيبته وظل يدافع عنها بشجاعة وبطولة ولم يستسلم لكن المصريين كانوا قد استشعروا العار والمهانة والهزيمة تلك الهزيمة التى وجدوا أن أفراد حكومة المطبخ المحيطة بفاروق داخل القصر والمكونة من بولى وجالهان واندراوس وثابت والذين كانوا وراء صفقة الأسلحة الإيطالية الفاسدة التى كانت أعيرتها تنطلق فى اتجاه صدور المصريين هم من أسباب تلك الهزيمة المهينة التى أعطت الفرصة لإسرائيل لكى تؤكد ذاتها كدولة أمام المجتمع الدولى

ولأول مرة منذ تولى الحكم بدأ فاروق يخسر تأييد شعبه الحبيب ذلك الشعب المصرى الذى وقف إلى جانب فاروق خلال حقبة لامبسون وإهاناته المتكررة له ووقف إلى جانب ملكه بالرغم من الفقر والجوع والتضخم ووباء الكوليرا والملاريا وبالرغم من كل عشيقاته وسياراته وبذخه وإسرافه فى حفلات الطعام وسهرات الأندية الليلية وموائد القمار.. إنه أكثر شعوب الأرض سماحة وتسامحا وتفهما.

كان من الصعب على الشعب المصرى أن يتحمل خسارة الحرب مع دولة صغيرة يهودية خاصة وقد سبقتها حملات دعائية ضخمة شنها كريم ثابت فى الصحف والراديو حول انتصار المصريين الذى لم يحدث. لقد احست جموع المصريين أنه تم خداعها وخيانتها ليس من قبل البريطانيين وإنما من قبل حاكمها وملكها وجاء حادث البارجة المصرية الأمير فاروق التى أغرقتها مدفعية سفينة إسرائيلية ليوضح كل شىء للمصريين الذين خيم عليهم الصمت.

بالإضافة إلى صورة فاروق التى فقدت بريقها عند المصريين تعرض فاروق أيضا لهجوم عنيف من قبل مجموعة كتاب ومفكرين غربيين لعلاقاته أثناء الحرب العالمية مع دول المحور وللحرب التى شنها ضد إسرائيل وكان من بين هؤلاء الكتاب الغربيين الذين قدموا مذكرة استنكار للأمم المتحدة بهذا الشأن: ارسكين كالدويل ومارك كونلى وليليان هيلمان وتوماس مان ورينولد نيبور ويوجين أونيل وروبرت ستيفن وايز.

قبل أن تنتهى حرب فلسطين رسميا فى يناير ١٩٤٩ وفى الفترة التى اعقبت الهزيمة مباشرة وبعد أن خسر فاروق شعبيته فى مصر وفى الخارج اختار يوم ١٧ نوفمبر ١٩٤٨ لكى يعلن فيه الطلاق الرسمى بينه وبين فريدة بعد أربع سنوات من الانفصال كان كل منهما يعيش فى قصر غير القصر الذى يعيش فيه الآخر، ربما كان موت الأميرة شفيقة قبل عام والتى كان يسمع لنصائحها قد حرمه من الرأى السديد.

كان كل من فاروق وفريدة أصبحا غير قادرين على الاستمرار فى التمثيلية أكثر من ذلك.

اتخذ فاروق قرار طلاقه من فريدة ذلك القرار الذى تجنبه طويلا والذى

اتخذه من قبل والده الملك فؤاد وكذلك أجداده السلطان حسين والخديوى عباس.. فى البداية كانت رغبة فاروق فى أن يعاقب فريدة العنيدة بألا تنال فريدة من مخصصات مالية إلا ما تناله زوجة مطلقة عادية إلا أنه بعد ذلك تراجع فى تنفيذ عقوبته حتى لا يبدو أن باعثه على ذلك هو الانتقام.

حدد فاروق يوم طلاقه من فريدة فى اليوم نفسه الذى تم فيه طلاق شقيقته فوزية من الشاه بعد إنجابهما طفلتهما شاهيناز ذلك الزواج الذى لم يسفر عن وريث ذكر ولم يحقق التوقعات الكبيرة التى انعقدت عليه وفوزية التى سافرت إلى إيران وفى حوزتها ما يقدر بنصف مليون دولارمن المجوهرات ومائة ثوب سهرة وسبعة معاطف من الفراء عادت إلى مصر خالية إلا من خيبة الأمل.

الملكة فريدة بعد طلاقها من فاروق أصبحت تسمى مدام صافيناز ذو الفقار لكنها كانت تصر دائما على أن يخاطبها كل من حولها بمن فيهم والدتها بلقب «جلالتك» وافق فاروق على أن تحتفظ معها بمجوهراتها ومنحها أراضى شاسعة بالزقازيق وفيلا فاخرة فى مواجهة الأهرامات لتعيش فيها مع ابنتها الصغرى فادية أما فريال وفوزية فقد مكثتا فى رعاية والدهما الملك فاروق فى قصر القبة وسمح لهما بزيارة والدتهما مرة واحدة فى الأسبوع.

لم تستمر صدمة وحزن الشعب المصرى على طلاق الملك من الملكة فريدة طويلا فبعد أقل من شهر توالت سلسلة اغتيالات قامت بها جماعة الإخوان المسلمين ضد حكومة فاروق بدأت فى أكتوبر ١٩٤٨ باغتيالهم قائد شرطة القاهرة وبعد أسابيع قاموا باغتيال محافظ القاهرة وفى ديسمبر انتحل أحد أفراد جماعة الإخوان المسلمين شخصية ضابط شرطة وقام باغتيال النقراشى رئيس الوزراء وهو فى طريقه لدخول مصعد وزارة الداخلية.

كان النقراشى دائما يقول إنه يعيش حياته فى وقت مستعار لأنه كان محظوظا ولم يشنق بعد اشتراكه مع أحمد ماهر فى اغتيال سير لى ستاك فى عام ١٩٢٤ الآن انتهى وقته المستعار كذلك كان كل من النقراشى وأحمد ماهر متشابهين فى أن كلا منهما قام بعملية اغتيال سياسى دافعها الحماس الوطنى وفى أنهما وهما فى منصب رئاسة الوزراء تم اغتيالهما بنفس دافع الحماس الوطنى.

ولم ينته حمام الدم فبعد مرور ستة أسابيع وفى فبراير ١٩٤٩ أطلقت طلقة نارية صوب حسن البنا من جهة الخلف أثناء مغادرته جمعية الشبان المسلمين واختفى القاتل وسط الزحام ونقل المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين إلى المستشفى بواسطة سيارة الاسعاف التى وعلى غير المعتاد قد تأخرت كثيرا فى حضورها وكان أن استمر حسن البنا ينزف دمه حتى مات الأمر الذى جعل المصريين يشيرون بأصابع الاتهام والشك إلى الملك فاروق الذى أراد الانتقام من المرشد العام بسبب القلاقل والاضطرابات التى أشعلها فى القاهرة وبسبب ما كان يسعى إليه حسن البنا من أجل الإطاحة بفاروق وتنصيب نفسه رئيسا لجمهورية مصر.

وسواء كان فاروق وراء مقتل حسن البنا أو أنه لا يد له فيه فقد خسرت جماعة الإخوان المسلمين قائدها كذلك غادر المفتى الحاج أمين الحسينى مصر لكى يعيش فى لبنان ليثير حماس القائمين على عمليات الاغتيال لمعاقبة المتسببين فى كارثة فلسطين من هناك وكانت البداية اغتيال الملك عبدالله الذى كان يطمع فى ضم القدس إلى مملكته بالأردن وذلك بإطلاق الرصاص عليه أثناء دخوله المسجد فى القدس لصلاة ظهر الجمعة. بعد الحرب الأولى والأخيرة لفاروق وجد نفسه وحيدا ومعزولا فالأعداء ذهبوا وأيضا الأصدقاء خاصة اليهود الذين كانت لهم مكانة متميزة داخل المجتمع المصرى لم يكن من المتوقع تغيرها وتبدلها وأيضا عائلته وأصبح بيته خاليا وفارغا وتضاعفت عزلة فاروق عندما استشعر ولأول مرة الفشل طوال الفترة التى كان يتعرض فيها فاروق لإهانات لامبسون الذى كان حاكماً فعلياً لمصر، كان موضع تعاطف كضحية للمحتل البريطانى لكنه الآن عليه أن يتحمل مسئولية كل قرار يتخذه وهو فى عمر الثامنة والعشرين. فجأة تغير مظهر فاروق من الملك الصبى إلى رجل أكبر من سنه بحوالى عشرين عاما.. فقد شعره ووسامته وزاد وزنه كثيرا وتحول الصبى الذهبى إلى رجل عجوز بدين أصلع يحكم دولة من باشاوات القطن ومن الفلاحين المعدمين الذين يذكر فقرهم وعوزهم الشديد الذى يدعو إلى الرثاء بالأحوال المتردية للمزارعين فى الجنوب الأمريكى قبل انفجار الحرب الأهلية.

ازاء السخط العام الذى امتلأ به الشارع المصرى وازاء غياب لامبسون

والنحاس والمرشد العام حسن البنا والمفتى الحاج أمين الحسينى وغياب معارضة منظمة وجادة تكشف عن مواضع الفساد وعن أسباب السخط تحول فاروق فى أوائل عام ١٩٤٩ إلى طاغية وديكتاتور. استطاع فاروق أن يطلق زوجته بمرسوم ملكى وأمكنه حرمان أمه من كل حقوقها ومن دخولها مصر إلى الأبد بمرسوم ملكى وأيضا تخلص من كل عدو له بمرسوم ملكى.. وراح فاروق ينظر إلى نفسه باعتباره فوق القانون.



- فاروق ينسى فضيحة ١٩٤٨ بالانغماس فى الصفقات واستغلال النفوذ حتى بلغت ثروته ١٤٠ مليون دولار أمريكى
- فريدة ترفض التصالح مع الملك إلا بعد التخلص من حاشيته الفاسدة
- فاروق يضع خصلات شعر وعظاماً ملطخة بالدماء على سرير زوجته لتنجب الوريث الذكر
- مؤامرة بين تاجر مجوهرات وعرّاف القصر تنتهى بزواج فاروق من ناريمان

كان فاروق يعتقد اعتقادا جازما فى أعمال السحر والخرافات وكذلك فى أقوال العرافين وتكهناتهم، وذلك منذ أيام والده الملك فؤاد الذى اعتقد -مثلا- فى أن حرف «الفاء» يجلب له الحظ السعيد، كما كان الملك فاروق فى جناح الحريم بالقصر يشاهد عرّافة والدته نازلى المقيمة بصفة دائمة. من جانبها اعتقدت نازلى اعتقادا راسخا فى إمكان معرفة ما يجرى فى المستقبل من خلال كرات الكريستال وأوراق نبات الشاى وأوراق اللعب وأمعاء الحمام، وهى الأدوات التى يستخدمها المنجمون.

كانت فريدة فى الأيام الأولى من زواجها تستيقظ من نومها فتجد فى سريرها الملكى عظاما مدماة وخصلات شعر وضعها فاروق كتعويذة تجلب له الحظ السعيد والابن الذى يرث العرش من بعده.

وكان فاروق يطلب من بناته اللاتى أخطأهن الحظ فلم يولدن ذكورا القفز بعدد معين من القفزات بلا زيادة أو نقصان فى الوقت الذى كان يحرق فيه البخور ويطلقه فى اتجاههن إيمانا منه بأن مثل هذه الحركات ستأتى له بالوريث الذكر.

فى خريف عام ١٩٤٩ أسرّ عرّاف الملك فى أذن فاروق بنبوءته: ستلتقى بامرأة شقراء شابة فى متجر للمجوهرات وسوف تعطيك ابنا.

كان لدى فاروق كل الأسباب التى تجعله يصدق النبوءة التى يسعى لتحقيقها دون أى نبوءات أخرى لكن الشىء الذى لم يكن يعلمه فاروق أن تلك النبوءة لم تأت من النجوم أو من أمعاء الحمام وإنما أتت من جيب صاحب متجر المجوهرات الذى يتعامل مع الملك والذى قدم بدوره رشوة إلى عرّاف القصر لكى تشير كلماته السحرية إلى ابنة صديقته وهو مغرم بها وكانت الابنة فى السادسة عشرة من عمرها.

شعر الملك فى عام ١٩٤٩ بالوحدة الشديدة بعد أن منعته الظروف التى تلت الحرب بين مصر وإسرائيل من القيام برحلته الأوروبية التى ينتظرها بشوق شديد لذلك راح يقضى سهراته الليلية مع ليليان كوهين فى أوبرج الأهرام أو فى قصر الحلمية التى تقدم فيه سامية جمال رقصاتها الشرقية أو ملاحقة المغنية الفرنسية آنا بيرير التى كانت تغنى فى أحد البارات على موسيقى البيانو.

كانت لـ فاروق خليلاته وعشيقاته لكنه كان يريد الزوجة بعد طلاقه من فريدة التى رفضت محاولة فاروق للتصالح عندما أصر على ولائه وعدم طرده لأفراد حاشيته الأربعة بولى، ثابت جالهان، وأندراوس وهو الشرط الذى اشترطته فريدة قبل البدء فى أى تصالح.. وفضل فاروق الوحدة على اتخاذ أى قرار ينال من ولائه لأفراد حاشيته الأربعة وبدأ فاروق البحث عن الزوجة.

وجاء فى تقرير بعث به السفير الأمريكى الجديد جيفرسون كافرى إلى وزير خارجيته دين اتشيسون أن الملك فاروق أعلن عن مجموعة مطالب يتطلبها من ملكته الجديدة:

- يجب أن تكون الابنة الوحيدة لوالدين كبيرين فى السن حتى لا تكون هناك أى فرصة أمامهما للإنجاب مرة أخرى.

- ألا تحمل فى عروقها أى دماء سورية أو لبنانية أو تركية أو أى دماء أجنبية أخرى.

- أن تكون من الطبقة فوق المتوسطة وليست من طبقة الباشاوات.

- أن يكون عمرها ستة عشر عاما وقادرة جسمانيا على إنجاب أطفال.

كان وراء تحديد المتطلبات التى يريدها فاروق من ملكته الجديدة كريم ثابت مستشاره الصحفى الذى وصفه كافرى بالذئب والذى أراد أن تكون الملكة الجديدة من عامة الشعب المصرى وأن يبدأ بحثه عنها فى صورة أقرب إلى البحث عن سندريللا النيل من خلال يانصيب وطنى على مستوى البلاد كلها.

فى اليانصيب الوطنى الذى فكر فيه كريم ثابت والذى خطط له عرّاف القصر وأحمد نجيب صاحب متجر مجوهرات القصر الملكى ووافقت عليه الأم أسيلة صادق والأب حسين فهمى صادق فازت ناريمان صادق بلقب سندريللا ! لنيل بعد أن تم فسخ خطوبتها من خطيبها زكى هاشم.

اتفق الملك فاروق مع الأب صادق على إخراج ناريمان من مدرسة الأميرة فريال وعلى سفرها إلى روما لمدة عام لكى تعد ليس فقط لتكون سيدة أوروبية مثقفة وإنما لتكون الملكة القادمة لمصر.. لقد قرر فاروق أن يلعب دور بيجماليون حتى لو على البعد.

طبقا لما روته ناريمان فى مذكراتها عندما وجه صديق لفاروق سؤالا عن السبب الذى من أجله اختارها هى دون نساء مصر لتكون ملكته الثانية وعن الشىء الذى وجده فيها ولم يجده فى غيرها ابتسم فاروق وقال: لا أدرى ما الشىء الذى وجدته فيها لكن بالتأكيد لديها ذلك الشىء ثم انفجر فاروق ضاحكا.

فى روما أقامت ناريمان فى فيللا سافوى مقر السفارة المصرية فى ذلك الوقت والفيللا السابقة الخاصة بالعائلة الملكية الإيطالية التى كانت تعيش فى الإسكندرية وقد أعطيت لناريمان هوية جديدة باعتبارها ابنة أخ السفير المصرى فى إيطاليا عبدالعزيز بدر.

كانت سعادة ناريمان لا توصف عندما وجدت أن غرفة نومها هى غرفة نوم ملكة إيطاليا السابقة وراحت تتخيل ما سوف يقال فى صالة مزادات كبرى بعد عشرات السنين: ملكتان واحدة أوروبية والثانية شرقية نامتا على هذا السرير.

وجىء بالكونتيسة ليليا مارتيلينى وهى واحدة من أكثر السيدات فى أوروبا ثقافة وخبرة لتكون وصيفة ناريمان لتعلمها التاريخ وقواعد وآداب السلوك فى بلاد أوروبا.. كما جىء أيضا لناريمان بمتخصصة فى الألعاب الرياضية لتضعها على نظام غذائى ولتعلمها بعض الدروس فى قواعد الحفاظ على صحة الجسد وجماله كذلك بمعلمة فى الغناء الأوبرالى الإيطالى.

وعملا بالقول المأثور الذى كان يردده فاروق دائما وهو: اللغة الإيطالية

للغناء والألمانية للفلسفة والإنجليزية للمراوغة واختلاق الأعذار والفرنسية للحب وللأطفال وللعب.

كان على ناريمان أن تدرس اللغات الأربع.

وكان على الملكة المقيمة فى روما أن تدرس بجد واجتهاد فلا وقت لديها لأى شىء آخر.. لكن الشائعة التى انتشرت فى مصر كانت تقول إن السبب الحقيقى لتستر ناريمان تحت اسم مستعار أثناء إقامتها فى روما هو أن تنجب لفاروق طفلا فإذا جاء ولدا تزوجها فاروق وعلى أن يمكث ابنه فى إيطاليا لمدة تسعة أشهر أخرى بعدها يعلن عن مولد وريث الملك.. أما إذا جاء الطفل بنتا فسوف يقول لها فاروق وداعا.

كان الإنجليز يريدون معلومات عن ملكة مصر القادمة لذلك كانت إحدى جواسيسهن من بين مجموعة المعلمات اللواتى يقمن بتعليم ناريمان اللغات والتاريخ والموسيقى وقواعد وآداب السلوك وكانت هذه الجاسوسة الإنجليزية تقوم بتدريس ناريمان دروسا فى اللغة الإنجليزية. ذكرت هذه الجاسوسة أن ناريمان خاطبت السفير المصرى فى إيطاليا وهو من المفترض أن يكون عمها بـ «فخامتك».

ومن بين ما ذكرت الجاسوسة الإنجليزية عن ناريمان: أنها كانت لا تحب اليهود ولا الأفكار الشيوعية ولا الاتحاد السوفيتى وفى اعتقادها أنه يجب على المصريين أن يتحدثوا باللغة العربية وليس ذلك المزيج من العربية والفرنسية كما أنها كانت على وعى كبير بالفرق الشاسع بين الغنى والفقير فى مصر لكنها ترى أن الفلاحين الأميين الفقراء قانعون وراضون بأحوال معيشتهم.

وقالت: كانت ناريمان شغوفة بالسفر لكنها لا تفضل الحياة خارج مصر كما أنها تبدى اهتماما بالموسيقى والتاريخ وتحب الرسم والسينما والأزياء والمجوهرات ورياضة السير على الأقدام بالإضافة إلى اهتمامها الشديد بأخبار العائلة الملكية البريطانية الذى كان يدفعها إلى البحث عن الجرائد والمجلات التى تحمل مقالات وأخبارا عنها.

شعرت ناريمان بالاستياء لأن العديد من المصريين المسلمين فى المجتمع الراقى لا يهتمون كثيرا بشئون دينهم وتقول إنها كانت تؤدى الصلاة كل

يوم.. وحين تعبر عن إعجابها بالملك فاروق تصفه بأنه محبوب من شعبه لأنه قام بعمل الكثير من أجلهم فقد بنى لهم المدارس وأيضا الجامعة.

وأضافت الجاسوسة الإنجليزية فى تقريرها الذى قدمته إلى الإدارة البريطانية أن ناريمان ليس لديها الفهم السياسى فى الوقت الذى يبدو عليها بعض الميول والأهواء الملكية حول اقتناء المجوهرات والأزياء التى ترى باريس عاصمة لها فى العالم وليست روما أو لندن كما أنها قانعة بتلك الفترة التى تقضيها فى حرملك السفارة المصرية فى روما من أجل الحصول على معارف تفيدها فى السنوات المقبلة وكانت شديدة الاهتمام بالنظام الغذائى وبالحمامات التركية من أجل إنقاص وزنها إلى الوزن المفضل عند الملك فاروق.

بعد اغتيال النقراشى رئيس الوزراء تحالف فاروق مع الشخص الذى لم يكن من الممكن أن يخطر على بال أحد فقد تحالف فاروق مع مصطفى النحاس وأعاده إلى منصب رئيس الوزراء مرة أخرى فى عام ١٩٥٠.

حدث ذلك بعد أن رأى فاروق أن أفضل الطرق لجذب الرأى العام المصرى إلى جانب الحكومة ولتخفيف حدة الإحساس الباهظ الذى نما عند المصريين بأنهم عبيد للباشاوات هو أن يقوم بإجراء انتخابات حرة.. لكن الشىء الذى لم يتنبه إليه فاروق هو أن الانتخابات الحرة تجرى بين غالبية من الفلاحين الأميين الذين لا يعرفون قراءة ورقة الاقتراع ويحتاجون إلى عون من يدلهم على كيفية الإدلاء بأصواتهم ولهذا سوف يتطلب من المشرفين على صناديق الانتخاب ومعظمهم من الوفديين أن يعينوا الفلاحين الأميين على كيفية انتخابهم لمرشح ما، وبالتالى كان فى إمكان المشرف على صندوق الانتخاب توجيه الأصوات إلى مرشح الوفد دون غيره، وكان إجراء انتخابات حرة يعنى فوز حزب الوفد وعودة النحاس الذى يبغضه فاروق كثيرا.

لكن مع ذلك قام كريم ثابت بإقناع فاروق بأن النحاس أصبح شخصا آخر ولكى يبرهن كريم ثابت على أن النحاس قد تغير رتب مقابلة شخصية بين فاروق والنحاس.

برهن التصالح الذى تم بين الخصمين والعدوين اللدودين فى مصر

على أن النحاس الذى كان له شأن كبير فى الشئون الوطنية المصرية كان فى الحقيقة من أكثر السياسيين المتملقين براعة.. كان ا لنحاس آنذاك فى السبعين من عمره وعانى قبل فترة من نوبة قلبية إلا أنه لا شئ يمكن أن يطفئ رغبته المشتعلة فى أن يعود مرة أخرى إلى كرسى السلطة حتى لو كانت مشاركته فاروق فى السلطة تعنى أنه تراجع عن عدائه للملكية.

كانت عودة النحاس كرئيس لوزراء مصر أمرا مروعا للسفير الأمريكى فى مصر جيفرسون كافرى ليس بسبب يتعلق بالأفكار والأيديولوجيات وإنما لجهل النحاس الكامل والتام لحقائق الحياة والأوضاع فى عام ١٩٥٠.. لكن الشىء الوحيد الحسن فيما يخص النحاس بالنسبة إلى كافرى هو أنه يمكن الحصول على أى شىء من النحاس ما دام كافرى مستعدا لدفع ثمن ذلك الشىء.

انتهز النحاس كل فرصة ممكنة لكى يطرى فيها على الملك ويمجده ويجعل الأضواء كلها مسلطة عليه فلم يعد يقوم بزيارات إلى الصعيد وتوقف عن بناء المستشفيات التى تحمل اسمه وعن الصلاة فى المساجد فى أيام الجمع والأكثر من ذلك فإن النحاس بدأ يغرس فى أذهان جماهير حزب الوفد كيف يعبرون ويظهرون احترامهم وولاءهم للملك فضلا عن الخطب التى كان يلقيها زعماء حزب الوفد التى كانت تبدو وكأن كريم ثابت المستشار الصحفى والمتملق الذليل للملك هو الذى قام بكتابتها.

وفى الوقت الذى ارتضى النحاس لفاروق أن يتولى الملك ويحكم عاد هو وزوجته وأصدقاؤه إلى أساليب استغلال النفوذ القديمة وبدأوا يجمعون الأموال الكثيرة من التلاعب فى سوق القطن بالإسكندرية ذلك السوق الذى شهد ازدهارا كبيرا بسبب الطلب المتزايد على القطن المصرى نتيجة النقص الحاد فى محصول القطن الأمريكى بسبب الحرب الكورية.

وأدت زيادة الطلب على القطن المصرى إلى أن كثيرا من الباشاوات توقفوا عن زراعة القمح والأرز فى أراضيهم الشاسعة ليزرعوا القطن الأمر الذى سبب نقصا فى القمح الذى يأكله الفلاحون وسبب ارتفاعا كبيرا فى الأسعار.

وكانت النتيجة أن النحاس وأتباعه قد ازدادوا غنى وثروة وسمنة فى

الوقت الذى لا يجد الفلاحون الفقراء غير الفول كطعام لسد حاجة البطون الفارغة وفى غيبة من الزعيم الحقيقى الذى ينطق باسم آلام الفلاحين المعدمين.

ووصل استغلال النفوذ إلى حد أن النحاس نجح عن طريق أصدقائه فى البرلمان فى أن يخصصوا لرحلته الصيفية التى يقضيها فى أوروبا مبلغا من المال قيمته ثلاثون ألف جنيه، الأمر الذى دفع السير رالف ستيفنسون السفير البريطانى الجديد فى القاهرة إلى أن يبعث بخطاب إلى وزارة الخارجية فى لندن يستنكر فيه تخصيص البرلمان المصرى ثلاثين ألف جنيه لرحلة النحاس الأوروبية وهو الذى لم يكن قد مضى عليه فى المنصب غير فترة قصيرة جدا خلالها استطاعت زوجته أن تحصد المال الوفير نتيجة صفقاتها المالية التى عقدتها مستعينة بنفوذ زوجها رئيس الوزراء.

وأضاف السفير البريطانى فى خطابه إلى لندن ساخرا أن العائلة النحاسية عند عودتها من رحلتها الترفيهية بأوروبا وكانت محملة بثمانين حقيبة وبعدد من الصناديق التى تحوى أجهزة ومنقولات أخرى لم تدفع رسوما جمركية سوى خمسة جنيهات مصرية.

وأشار تقرير السفير البريطانى بالقاهرة إلى نموذج آخر من الاستغلال وهو قيام حكومة مطبخ الملك بالقصر باستثمار أموالها فى إنشاء شركة بيبسى كولا فى مصر ولما لم تستطع شركة البيبسى منافسة شركة كوكاكولا الموجودة أساسا بدأ أفراد حكومة مطبخ القصر فى استغلال نفوذهم بأن تم فرض عقوبات مرورية على سيارات شركة الكوكاكولا الأمر الذى عطل الشركة عن بيع منتجها حتى يخلو السوق أمام شركة البيبسى.

وأخيرا اضطرت شركة كوكاكولا إلى رشوة كريم ثابت بأن عينته عضوا بمجلس إدارة الشركة فى مصر بالإضافة إلى تبرع قدره خمسة وعشرون ألف جنيه وضعتها تحت تصرفه هو ومدير خزانة القصر من أجل الأعمال الخيرية التى يقوم بها الملك فاروق.

وسواء كان الملك فاروق شريكا مع كريم ثابت والنحاس فى عمليات استغلال النفوذ أو كانا يعملان لحساب نفسيهما فإن ثروة فاروق فى ذلك الوقت كانت تزيد عن مائة وأربعين مليون دولار أمريكى بالإضافة

إلى المساحات الشاسعة من الأراضى التى تقدر بمئات الآلاف من الأفدنة.

واستمر فاروق فى انغماسه فى الحفلات والسهر وفى بذخه وإسرافه على ملذاته وأهوائه وفى عام ١٩٥٠ شرع فى مواصلة رحلته الأوروبية التى توقفت منذ رحلة عام ١٩٣٧.

بعد أن استنفدت طاقته معركته مع أمه الملكة نازلى ورياض غالى وبعد أن أبهجه صمت جماعة الإخوان المسلمين وبعد أن تحول عدوه اللدود النحاس إلى رجله المطيع استشعر فاروق أن الوقت قد حان لكى يعرف ماذا ادخرت له أوروبا من متع ومباهج قبل أن يحين موعد زواجه من ناريمان.



- الصحف الأوروبية تهاجم رحلة ملك مصر الأسطورية.. وصديقته تلقى مصرعها فى تحطم طائرة
- فاروق يوزع آلاف الأفدنة على عامة الشعب احتفالاً بخطبته ناريمان
- العلاقات النسائية تأتى فى المرتبة الثانية من اهتمامات الملك بعد لعب القمار
- الملك يفشل فى استئجار صحفى أوروبى

على متن الباخرة «فخر البحار» أبحر الملك فاروق وحاشيته من ميناء الإسكندرية برفقة مدمرة مصاحبة. رست الباخرة فى ميناء مارسيليا الفرنسى فى أوائل شهر أغسطس، ومن هناك ترأس فاروق قافلة من السيارات تحمل ثلاثين من الحراس الألبانيين، والأطباء والسكرتيريين المصريين، والطباخين النوبيين، وأنتونيو بولى، وكريم ثابت، وعددا من الأتباع، واتجهت القافلة المكونة من سبع سيارات كاديلاك سوداء وباص، وعدد من راكبى الدراجات البخارية، فضلا عن إحدى طائرات فاروق الخاصة التى وضعت تحت تصرفه فى حالة ما إذا رغب فى سفرة سريعة خلال الرحلة، إلى الشمال، جنوب كازينو دوفيل.

وصلت القافلة الملكية إلى ليون فى منتصف الليل، وباتت ليلتها فى فندق هناك، لكن قبل أن تصل القافلة إلى ليون، كانت أوروبا كلها علمت أن المتنكر تحت اسم فؤاد مصرى باشا لم يكن غير الملك فاروق، الذى احتشد من حوله يوم مغادرته ليون أكثر من ثلاثة آلاف شخص، وكان أن أمر فاروق أحد أفراد حاشيته بأن ينثر قطع الحلوى الفاخرة على المتجمعين من حوله، وكأنه يسير فى شوارع مصر.

عند وصولهم دوفيل، نزل الوفد الملكى فى خمس وعشرين حجرة فى فندق دوجولف القريب إلى كازينو دوفيل، المكان المفضل لأثرياء العالم، مثل أغا خان وزوجته البيجوم، وعلى خان وزوجته ريتا هيوارت، والكاتب المسرحى الفرنسى ساشا جوتيرى، ومشاهير العالم ممن يهوون الجلوس إلى موائد القمار وقيادة سيارات السباق.

كان الملك فاروق يتناول عشاءه الفاخر الحافل بكل ألوان وأصناف الطعام الفرنسى، بعد أن يكون تسعة من حاشيته قد تذوقوها قبل أن يتذوقها، كانت سهرة فاروق تمتد إلى الساعات الأولى من الصباح فى كازينو دوفيل، والتى

كان قد أعد لها إلى جانب برنامج الكازينو وموائد لعب القمار، برنامجه الخاص الذى جلبه معه على ظهر الباخرة «فخر البحار»: سامية جمال راقصة مصر، لكى ترقص له خصيصا رقصة بعنوان «عروس النيل».

كانت عروس النيل الحقيقية ناريمان صادق، فى ذلك الوقت، تتلقى دروسها الملكية فى روما، وكانت تقرأ ما تكتبه الصحافة الأوروبية عن رحلة الملك الأوروبية وسهراته ونزواته دون أن يبدو عليها أدنى شكوى أو تذمر، فى ذلك الوقت أيضا كان فاروق قد حجز جناحا إلى جواره بالفندق فى دوفيل، تحت اسم ليليان كوهين التى كان من المقرر وصولها بالطائرة التى أقلعت من مطار فاروق بالقاهرة، لكن بعد الإقلاع بوقت قصير تحطمت الطائرة فوق الصحراء، وراح ضحية الحادث كل ركاب الطائرة البالغ عددهم خمسة وخمسين راكبا، من بينهم ليليان كوهين، التى كان عمرها عشرين عاما.. وبكى فاروق حزنا على ليليان.

كانت النساء بالنسبة لفاروق تأتى فى المرتبة الثانية فى الأهمية بعد لعب القمار، فهو لم يكن يغادر مائدة القمار قبل الساعة الخامسة صباحا.. فى الليلة الأولى كسب فاروق من لعب القمار بالكازينو عشرين مليون فرنك فرنسى، أى ما يعادل سبعة وخمسين ألف دولار أمريكى، وفى الليلة الثانية كسب خمسة عشر مليون فرنك فرنسى.. وقد خصصت إدارة الكازينو لصانع القهوة التركية التابع للوفد الملكى مكانا فى إحدى شرفات الكازينو لصنع أقداح القهوة لفاروق وأفراد حاشيته، لكى تبقيهم فى يقظة دائمة.

وبينما كان فاروق يختم كل دور من أدوار اللعب سواء خسره أو كسبه بضحكة عالية، كان المئات من رجال الشرطة الفرنسية يحيطون بالكازينو لحماية فاروق من أى خطر محتمل قد يتعرض له من قبل الآلاف الذين دفعهم فضولهم للقدوم لمشاهدة الملك المصرى.

انتقل الركب الملكى إلى بيارتيز، حيث لحقت به باربارا سكيلتون بعد أن اتصل بها فاروق تليفونيا ودعاها للانضمام إلى الموكب، وبالفعل تركت باربارا خطيبها سيريل كونلى فى لندن وسافرت إلى بيارتيز، وهناك مكثت فى فندق بالاس، ذلك البناء الذى كان قد بناه نابليون الثالث للإمبراطورة أوجينى، والذى مكث فيه دوق ودوقة وندسور، لكن مع الفارق، فبينما مكث الدوق

والدوقة فى حجرة واحدة، مكث فاروق وحاشيته فى خمسين حجرة، وبينما الدوق والدوقة كانا يرتديان ملابس الشاطئ البيضاء وخفا فى القدم ويمشيان على الرمال، كان فاروق ينام طوال النهار.

كانت المحطة التالية للموكب الملكى فى منتجع سان سباستيان بالقرب من الحدود الفرنسية الأسبانية، والتى كان يقام فيها مهرجان سان سباستيان للأفلام السينمائية، وبعد مغادرة باربارا الموكب إلى لندن بصحبة خطيبها الذى لحق بها وكان يأمل فى مجوهرات لباربارا كهدية من فاروق ينفق منها على شهر العسل بعد زواجه من باربارا، كان عدد أفراد الموكب ٥١، بمن فيهم ١٤ من الشرطة السرية المصرية، و١١ سيارة كاديلاك سوداء، وأربع من صديقات فاروق.

وفى تقريره الذى بعث به إلى لندن السفير البريطانى فى أسبانيا ووصف فيه موكب الملك فاروق، ذكر ساخرا، بأن ملك أسبانيا كان يسافر وفى صحبته ستة أفراد فقط.. كما وصف السفير البريطانى فى تقريره كيف أن أفراد الشرطة السرية المصرية وصلوا إلى فندق رينا كريستينا قبل وصول الموكب لاختيار حجرة نوم الملك، والحجرة التى على يمينه المخصصة لسيدة الموكب الأولى، والحجرة التى يساره لسيدة الموكب الثانية. فى الريفيرا كان فاروق يجمع حاشيته بعد الظهر فى حفل صيد جماعى.. وفى مدينة كان شغل فاروق وحاشيته عدة طوابق من فندق كارلتون، وعلى موائد القمار بها خسر فاروق كثيرا من المال، لكن الشىء الغريب أن غريمه على مائدة القمار الذى كسب كل نقود فاروق فى إحدى الليالى، بعد أن أنهى اللعب لصالحه، وبعد أن كسب كل النقود التى كانت على مائدة القمار، فاجأته نوبة قلبية ومات.

وبحثا عن حظ أفضل لفاروق على موائد القمار، كانت محطته الأخيرة فى سان ريمو بإيطاليا، ومنها اعتلى هو وحاشيته ظهر باخرته فخر البحار، مبحرا إلى الإسكندرية التى وصلها فى نهاية أكتوبر، منهيا أكثر الإجازات الصيفية بذخا وإسرافا فى العالم.

على رصيف ميناء الإسكندرية، احتشد عشرة آلاف مصرى لتحية فاروق القادم من رحلة البذخ، أغراهم بذلك وجبة الطعام المجانية التى وزعت عليهم مجانا فى مقابل انتظار الساعات الطويلة والهتاف لجلالة الملك العائد بسلامة الله.

وكان فى انتظار فاروق فى مصر ما أثار غضبه: مقال فى المجلة البريطانية «ايكونومست» يهاجم بذخ فاروق وإسرافه على متعه وملذاته، ويهاجم سياسات حكمه، وكان هجوما أحرج الإدارة البريطانية التى حاولت تطييب خاطر فاروق وبعثت إليه دوق جولستر من أجل أن يمنحه رتبة جنرال شرفية فى الجيش البريطانى.

من بين ما جاء فى مقال المجلة البريطانية، اتهام كاتب المقال لفاروق بتبديد المال العام فى تعلية سور قصر القبة الذى يبلغ طوله ستة أميال، وسخرية الكاتب من ذلك التحالف الشرير بين فاروق والنحاس وأتباعه.

وبينما كانت لندن تبحث عن طريقة لنشر مقال فى إحدى صحف التابلويد التى يملكها اللورد بيفربروك فى فيلت ستريت فى صالح فاروق، فإذا بالقاهرة تتحرك بصورة طائشة.. لقد سافر إلى انجلترا محمد عبود رجل الصناعة ومالك الأراضى والثرى المتزوج من امرأة اسكتلندية، وصاحب العلاقات الوثيقة ببريطانيا، ومعه مئات الآلاف من الدولارات الأمريكية لكى يصحح بها انطباعات الصحافة البريطانية عن فاروق والبلاط الملكى.. لكن محمد عبود عاد إلى مصر وقد فشل فى مهمته، قائلا إنه من المؤسف أن الصحافة البريطانية لا تقبل الرشوة مثل الصحافة فى مصر.

ربما كان على فاروق أن يستأجر الصحفى الإيطالى جيدو أورلاندو، مثلما تم استئجاره من قبل عائلة الفتاة الأمريكية ميمى ميدارت لكى يلفق موضوعات صحفية على الصفحات الأولى لصحف التابلويد عن علاقة فاروق الغرامية بها أثناء رحلته الأوروبية.. لكن أورلاندو الصحفى الإيطالى فى ذلك الوقت كان مرتبطا بعملية جديدة غير عائلة ميدارت: الأميرة بايان جافيدان - ٧٤ عاما - أرملة الخديو عباس حلمى الثانى الذى قام البريطانيون بنفيه لعلاقاته مع الأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى، والتى اعتقدت أن أورلاندو فى استطاعته مساعدتها فى الحصول على هبة ملكية أو معاش من أحد أفراد سلالة محمد على.

والحملة الصحفية الوحيدة التى نجح فاروق فى إخمادها فى انجلترا،

كانت عبارة عن سيرة ذاتية للملكة فريدة بعنوان «الاسم فى الجنة، والحياة فى النار»، ومع ذلك فقد استمر الهجوم على فاروق فى مصر، وبلغ ذروته فى أول خطاب مفتوح يتلقاه الملك وتنشره الصحف موجه إلى فاروق من قبل الأحزاب المعارضة للقصر ولحزب الوفد.

وجاء فى الخطاب المفتوح الموجه للملك أن صبر الجماهير قد نفد، وأن الثورة على الأبواب، تلك الثورة التى لن تدمر فقط الظالمين، وإنما ستترك البلاد فى حالة إفلاس سياسى ومالى كامل.. وكان المقصود بالظلم والظالمين الذى جاء فى الخطاب المفتوح هم أفراد حكومة مطبخ القصر، فقد جاءت صيغة الخطاب، خطاب الالتماس مهذبة، فلم تذكر أسماء أحد من الظالمين.

وقد أشار الخطاب المفتوح إلى الشكوك التى حامت حول أفراد حكومة القصر فيما يتصل بصفقة الأسلحة الفاسدة، وإلى أن العدالة لا تلحق المسئولين الفاسدين، وأن أقوال الحكومة والبرلمان التى تؤكد ملاحقة الفساد والنيل منه مجرد حبر على ورق.. وأضاف الخطاب أن الصحف الأجنبية تصف المصريين بأنهم يتعرضون للظلم فى صمت ولا يدركون أن الحكومة تسوقهم مثل الحيوانات.. لكن الخطاب فى نهايته يؤكد أن صدور المصريين تغلى بالغضب.

كان فاروق لا يهتم كثيرا بحملات الصحف الصفراء، لكن خطاب الالتماس الذى وجهته إليه المعارضة، وجد اهتماما لدى فاروق، وجاءت استجابته له بالطريقة الوحيدة التى يعرفها لإسكات هذا النوع من الانتقادات، والتى تتمثل فى برنامجه المعتمد والمصدق عليه: إخراج البريطانيين من مصر، وهو الشىء الذى حاول أن يؤكده بعد عودته من أوروبا.

فى افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة فى ١٦ نوفمبر ١٩٥٠، نادى خطاب الملك فاروق الذى قرأه النحاس باتحاد مصر والسودان تحت حكم الملك فاروق، وبإلغاء معاهدة ١٩٣٦ المصرية - الإنجليزية، وأشار إلى أن معاناة اللاجئين الفلسطينيين ستظل وصمة عار فى جبين العصر، ولن تزال إلا بعودة اللاجئين إلى ديارهم وتعويضهم عن الأضرار التى لحقت بهم.

وبمجرد أن انتهى النحاس من قراءة الخطاب المعادى للبريطانيين

والصهيونيين، بدأت أعمال الشغب فى شوارع القاهرة خارج البرلمان وارتفعت أسهم فاروق الذى ظهر فى صورة صانع السلام بالإضافة إلى صورته كعدو للبريطانيين، وتم نسيان كل شىء عن رحلة فاروق الأوروبية وبذخه وإسرافه وسط أصوات الشجار والعراك.. وكانت الخطوة الثانية التى أقدم عليها فاروق ورفعت أسهمه أكثر لدى المصريين هو إعلانه فى ١١ فبراير ١٩٥١ عن خطبته فتاة من عامة الشعب المصرى هى ناريمان صادق، وهى الخطبة التى أشاد بها النحاس قائلا إن زواج الملك سيدعم الروابط التى تربط بين الشعب المصرى والعرش.

ومن جديد ظهرت الشائعات بأن السبب وراء إعلان الخطبة أن ناريمان نجحت فى إنجاب الوريث الذكر للملك الذى لن يظهر للعيان إلا بعد تسعة أشهر من الزواج.. وماذا عن روما وما تعلمته ناريمان من قواعد وآداب السلوك والإتيكيت؟ ويضحك الساخرون قائلين إن أهم قاعدة من قواعد وآداب السلوك والإتيكيت هى أن ناريمان قد أنجبت ولدا لفاروق وليس بنتا.

أقام فاروق أقواس النصر، ورفع الأعلام والزينات والأنوار التى غمرت أرجاء البلاد،، واحتفلت قوات الجيش بالمناسبة الوطنية وقدمت طائرات القوات الجوية عروضها فى سماء مصر، وقام الملك بتوزيع عدة آلاف من الأفدنة على الفلاحين الأجراء، وفى أقسام الولادة بالمستشفيات والعيادات الخاصة والملاجىء تم توزيع الحلوى والثياب على الأمهات وعلى الأطفال اليتامى.. إن ملك مصر الذى كان يعانى قلبه من الوحدة، قد خفق قلبه الملكى بالحب.

تأجل زواج فاروق وناريمان لبعض الوقت بسبب دخول ناريمان المستشفى لاستئصال الزائدة الدودية، لكن كريم ثابت استغل ذلك التأخير لكى يحدد يوم الزواج فى ٦ مايو ١٩٥١، وهو اليوم نفسه الذى أصبح فيه فاروق ملكا منذ خمسة عشر عاما.. وفى حجرة الخديو إسماعيل بقصر عابدين جلس فاروق ليضع يده فى يد محمد على صادق عم ناريمان بعد وفاة والدها بنوبة قلبية ويقوم المأذون بوضع قطعة قماش حريرية على يديهما ويبدأ فى إجراءات الزواج الرسمية.

وبينما كانت يد فاروق فى يد محمد على صادق بيه الذى منحه الملك لقب

البهوية، وعينه سفيرا لمصر فى هولندا، بعد ذلك، كانت ناريمان فى منزلها بضاحية هليوبوليس المكون من طابقين وبصحبتها الأميرة فوزية لتساعدها فى ارتداء ثوب زفافها الساتان الأبيض المطعم بعشرة آلاف قطعة ماس، ذلك الثوب الذى استغرق صنعه أربعة آلاف ساعة من قبل فريق عمل مكون من عشرين شخصا فى بيت أزياء جيرمان ليكومت بباريس.. وغطت ناريمان وجهها بوشاح فينيسى مطرز، ووضعت على رأسها التاج المرصع بالجواهر الذى كان فاروق قد أهداه لها.

جهاز العروس الذى أهداه فاروق لناريمان، والذى تقدر قيمته بأكثر من مائتين وخمسين ألف دولار أمريكى، يحتوى على خمسين ثوبا من ثياب السهرة المشغولة باليد، ومئات من السراويل الداخلية المصنوعة باليد أيضا، ومائة زوج من الأحذية، الكثير منها مثبت به كعوب من الذهب الخالص.

استقلت الملكة الجديدة ناريمان وبصحبتها الأميرة فوزية السيارة الرولزرويس الحمراء التى تتقدم عددا من سيارات الكاديلاك الحمراء وسط أقواس النصر على شكل قلب، تزينها الأحرف الأولى من اسمى العروسين «ف. ن» وتيجان ملكية، وتوجه الركب صوب قصر عابدين، حتى تلتقى الملكة الجديدة ناريمان زوجها الملك فاروق عند أسفل الدرج الرخامى للقصر.

وعند أولى عتبات الدرج، قاد فاروق ناريمان إلى قاعدة المرايا ثم إلى حجرة العرش المطلية بالذهب، وهناك بدأت زوجة النحاس رئيس الوزراء فى تقديم زوجات الوزراء إلى العروسين، ثم قامت زوجة السفير الأمريكى جيفرسون كافرى بتقديم زوجات أعضاء السلك الدبلوماسى.. بعد ذلك توجه الحاضرون إلى حدائق القصر لتناول الشاى، وليشهدوا الملك وهو يتناول شريحة من كعكة الزفاف الضخمة المكونة من سبعة طوابق وبارتفاع سبعة أقدام، ليقدمها للملكة الجديدة فى طبق من الذهب الخالص.

وتوالت البرقيات والهدايا من كل أنحاء العالم فى مناسبة الزفاف الملكى.. الرئيس الأمريكى ترومان بعث بأربع زهريات من الكريستال، والملك جورج الخامس ملك انجلترا بعث بقلم ومحبرة من الفضة، وستالين أهدى فاروق منضدة للكتابة مصنوعة من الحجر الثمين، وأهدى ناريمان معطفا من فرو السمور.. وجاءت من سويسرا ساعة ذهبية، ومن تركيا ثلاث سجادات نادرة،

ومن الهند ثلاث مفارش حريرية، ومن تشيكوسلوفاكيا طقم من الصينى لحفلات الشاى، ومن هولندا كأس من الكريستال.

وكانت هدية هيلاسيلاسى للعروسين زهريتين ذهبيتين عليهما نقوش مطعمة بالمجوهرات، وملك المغرب أهدى فاروق سيفا مطليا بالذهب، وأهدى ناريمان عقدا من اللؤلؤ، وكانت هدية الحاكم العام البريطانى لمصر والسودان حجرة سفرة من الأبنوس مطعمة بأنياب فيلين، وأهدى رئيس جامعة الأزهر بالقاهرة فاروق قلما ومحبرة من الذهب على شكل جامع الأزهر.. وفى وقت لاحق تم صهر كل الهدايا المصنوعة من الذهب وتحولت إلى سبائك ذهبية، عملا بنصيحة عملية من كريم ثابت مثل كل نصائحه وأفكاره التى تتبع من عقله النفعى ضاربا بعرض الحائط كل ما يمت إلى العاطفة بصلة.

فى الشوارع كانت الأعيرة والألعاب النارية لا تكف عن الإطلاق، وقوات الجيش تسير فى طوابير عسكرية، والذبائح تم ذبحها، وطائرات القوات الجوية المصرية تسبح فى تشكيلات فى السماء وتسقط من ارتفاعاتها بطاقات التهنئة الملونة، وأجهزة الراديو تبث أغنياتها المبتهجة بالمناسبة السعيدة.. وفى الليل كانت القوارب والعوامات والبواخر النيلية تتألق فى مهرجان الضوء، وتصدح بالموسيقى وهى تتجول فى نيل القاهرة الذى غمره الضوء والأعلام والزينات من كل جانب، والميادين امتلأت بالفقراء الذين تمت دعوتهم لتناول عشاء العرس.. حتى البريطانيون فى القناة شاركوا فى احتفالات الزفاف بخروج قواتهم فى زيهم الرسمى ليجوبوا الشوارع فى طوابير تنظم خطواتها إيقاعات الموسيقى.



- الارتياح يعم الشارع المصرى بعد زفاف فاروق إلى ناريمان صادق
- مدفعية القصر تطلق ١٠١ طلقة احتفالاً بولادة ولى العهد أحمد فؤاد
- فاروق يخسر ١٥٠ ألف دولار فى سبع ساعات بكازينو فرنسى
- قطار فاروق الخاص تكلف مليونى جنيه

فى اليوم التالى ليوم الزفاف، ارتدت ناريمان فى أول ظهور رسمى لها باعتبارها ملكة مصر، ثوباً أسود اللون، واستقلت السيارة الكاديلاك الحمراء التى توجهت بها إلى أحياء القاهرة القديمة إلى حيث توقفت السيارة أمام مسجد الرفاعى من أجل الانحناء أمام مقبرة الملك فؤاد إظهاراً لتقديرها واحترامها للسلالة الملكية التى أصبحت عضواً فيها.

استطاع شهر العسل الملكى، الذى تلا احتفالات الزفاف أن يمحو كل ما حققه فاروق من رضا وارتياح لدى الشعب المصرى، عندما تزوج من فتاة من عامة الشعب لتكون ملكة مصر، وذلك عندما علم الشعب المصرى بشهور العسل الثلاثة التى قضاها فاروق وحاشيته فى أوروبا فاروق منغمساً فى ملذاته وأهوائه وبذخه وأسرافه، تلك الشهور الثلاثة التى حولت ناريمان من ابنة إحدى العائلات البورجوازية فى القاهرة إلى نموذج من النماذج المتكررة لزوجات مليونيرات العالم اللاتى يستلقين بأجسادهن على رمال شاطئ ميامى، ولا شىء يشغلهن سوى الانغماس فى الشراء وببذخ.

لمدة ثلاثة عشر أسبوعاً، سافر الموكب الملكى الذى يضم ستين عضواً باليخت وبالسيارات الكاديلاك من صقلية إلى كابرى، ثم إلى كان وباريس وجنيف وميلانو، وفى كل مراحل الرحلة كانت الصحافة الأوروبية تتبع الموكب لتكتب تحقيقاتها عن الإسراف الفاحش وعن هدر الأموال الطائلة التى ربما كانت مخصصة لشراء خبز للفلاحين المصريين الفقراء.. كتبت الصحافة الأوروبية عن المباراة التى استمرت سبع ساعات متصلة على مائدة القمار فى كازينو بالم بيتش بمدينة «كان» الفرنسية بين الملك فاروق وداريل زانوك، والتى انتهت بخسارة قدرها مائة وخمسون ألف دولار، كانت من نصيب فاروق، الذى ضرب رقماً قياسياً فى حجم الخسارة على مائدة قمار الكازينو لم يصل إليه سواه.

ناريمان كذلك، لم تترك بيت أزياء عالمياً فى باريس إلا واشترت من كل تصميم دستة فساتين، بل إنها بعثت فى طلب مصمم أزياء هوليوود البولندى المولد ماروسيا الذى كان يقضى إجازة فى الريفيرا كى يصمم لها خصيصاً مجموعة من الثياب، وبالإضافة إلى ذلك اشترت ناريمان من باريس أيضاً مائتى مجموعة من ثياب تخص طفلاً رضيعاً بألوان الأبيض والأزرق والوردى.

كتبت الصحافة الأوروبية عن قطار فاروق الخاص الذى قيمته مليونا دولار أمريكى، الذى تم شحنه إلى مصر، والمجهز بأجهزة تليفزيون وتكييف الهواء وحجرات نوم مؤثثة بفاخر الأثاث وكل الكماليات.. وبالرغم مما كتبته الصحف الأوروبية عن بذخ فاروق وإسرافه، وبالرغم من تهديد أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين له فى باريس بالقتل لتبذيره الشديد، فإنه لم يغير من طريقته فى إنفاق المال ذات اليمين وذات اليسار.

فى عام ١٩٥١ وضع حزب الوفد أول مشروع للضمان الاجتماعى فى العالم العربى، وذلك بتخصيص عشرين مليون دولار أمريكى سنوياً بهدف تحسين الظروف المعيشية للفقراء والفلاحين من كبار السن، لكن بعد ستة أشهر فقط من الإعلان عن ذلك المشروع قدم وزير الشئون الاجتماعية المسئول عن تنفيذ هذا المشروع استقالته، فى أعقاب إدراكه لاستحالة إتمام هذا المشروع لأسباب لا يمكنه مقاومتها.

بعد فترة قام النحاس بالإعلان عن خطة طموح مدتها خمس سنوات هدفها إنشاء طرق جديدة، وبناء محطات لمياه الشرب، والقضاء على الأمية، والارتفاع بمستوى الخدمات فى جميع المجالات، لكن معظم الوعود التى انتظر المصريون تحقيقها فيما يخص النهوض بالبنية الأساسية فى المجتمع المصرى لم تتحقق، وكل الأموال المخصصة لتمويل هذه الوعود والتى كانت توضع فى حسابات خاصة لزعماء حزب الوفد، لم يعلم أحد عنها شيئاً.

بالإضافة إلى ذلك، فإن زعماء حزب الوفد انتهزوا فرصة زيادة الطلب على القطن المصرى أثناء اشتعال الحرب الكورية، واستطاعوا أن يثروا ثراء كبيراً، عندما حافظوا على ارتفاع أسعار القطن بالتلاعب فى بورصة القطن بالإسكندرية حتى يمكنهم بيع كل المخزون لديهم من القطن، هذا فى الوقت

الذى أصر فيه زعماء الوفد على زيادة الأراضى التى تزرع القطن على حساب الأراضى التى تزرع القمح مما سبب ارتفاعاً شديداً فى أسعار القمح والخبز والغذاء، عانت منه غالبية الشعب المصرى.

كثيرون فى مصر كانوا على علم بأن زوجة النحاس هى العقل المدبر لكل الفساد الذى يختبئ خلف كلمات النحاس المنمقة وخطبه الرنانة، فقد استطاعت أن تحصل لنفسها فى عام ١٩٥١ فقط على عدة آلاف من الأفدنة من أجود الأراضى الزراعية فى الدلتا.. وكان حزب الوفد الذى يرأسه مصطفى النحاس رئيس الوزراء، هو المسئول عن نظام الحكم الفاسد، وكان فاروق على وعى تام بمدى الفساد الذى استشرى فى مصر بسبب حزب الوفد، فقد تحدث إلى جيفرسون كافرى السفير الأمريكى فى القاهرة قائلاً فى شىء من السخرية: «هل تعتقد أننى لا أدرى بما يجرى؟ لا تنس أن مؤسس سلالتنا كان بائع تبغ».

فى مواجهة ذلك الفساد، لم يكن أمام فاروق إلا إقالة النحاس من منصب رئيس الوزراء وهو العمل الذى كان سبباً فى كل المشكلات التى عاناها من البريطانيين ابتداء من عام ١٩٣٨.. لكن قبل أن يشرع فاروق فى اتخاذ إجراء من هذا القبيل، بادر النحاس فى أن يكون البريطانيون مرة أخرى، هم وسيلته للحفاظ على وجوده فى السلطة، لكن هذه المرة كانت مختلفة تماماً عن المرات السابقة، فقد حمل النحاس مسئولية الفساد فى مصر على الوجود البريطانى، وذلك بأن أعلن فى أوائل أكتوبر عام ١٩٥١ عن رغبته أمام البرلمان فى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ المصرية - الانجليزية، وهى المعاهدة التى وقع عليها النحاس والتى أسماها عندئذ معاهدة الشرف والاستقلال بالرغم من أنها كانت تترك الباب مفتوحاً أمام البريطانيين لاحتلال مصر عند أى ظرف من الظروف التى تقتضى ذلك، وهى أيضاً المعاهدة التى جعلت من النحاس الصديق العزيز لرئيس الوزراء البريطانى بمقره فى وايتهول بلندن.

لقد كان النحاس يدرك جيداً ضعف ذاكرة المصريين، لذلك فقد وقف يخطب فى البرلمان المصرى قائلاً: «من أجل مصر كان توقيعى على معاهدة ١٩٣٦، ومن أجل مصر أيضاً، أدعوكم للموافقة على إلغائها».. وكان أن صاح أعضاء البرلمان: «موافقون».. وفى محاولة من النحاس لاسترضاء القصر،

طالب بإلغاء كل الاتفاقيات المبرمة بين مصر وبريطانيا حول السيادة المشتركة على السودان، والإعلان عن أن فاروق ملك مصر والسودان.. وجاء فى خطاب النحاس وصفه لبريطانيا بأنها العدو المغتصب الذى يتوجب على مصر أن تقتلعه من أرض مصر.

وقبل أن يظهر أى رد فعل من البريطانيين بدأت بعض الجماعات المتحمسة هجماتها على معسكرات الجيش البريطانى فى منطقة القناة، وأوقف تزويد المنطقة بالأغذية الطازجة، وتم استدعاء العاملين المصريين لدى البريطانيين فى القناة واستيقظت جماعة الإخوان المسلمين من سباتها الطويل بعد مقتل حسن البنا، وبالإضافة إلى عمليات التخريب والغارات الليلية على المواقع البريطانية فى قناة السويس، نادى الوطنيون المصريون بمقاطعة انجلترا والانجليز فى مصر.

فى ذلك الوقت نجح د.محمد مصدق الزعيم الشعبى بايران فى تأميم شركة النفط الانجليزية ـ الإيرانية، التى كان وضعها كمستعمرة بريطانية شديد الشبه بوضع قناة السويس فى مصر التى يسيطر عليها البريطانيون، الأمر الذى جعل النحاس يتساءل: إذا كان الإيرانيون استطاعوا هزيمة البريطانيين بتأميمهم للنفط الإيرانى، فلماذا لا يحذو المصريون حذوهم؟ وعندما خرجت الجماهير المصرية فى الشوارع وعلت هتافاتها: «يسقط البريطانيون، يعيش النحاس»، أدرك فاروق أن التاريخ يكرر نفسه، وأن النحاس بعد كل تملقه عاد ثانية ليقبض بيده على مزيد من السلطة.

«عدو عدوى، هو صديقى»، ذلك القول المأثور الذى شهدته الحياة السياسية فى مصر، وسبب لها مشكلات كثيرة، عندما ارتبطت مصر بالنازى عدو عدوها بريطانيا، ها هو ذلك القول المأثور يرى فيه فاروق حلاً يخلصه من النحاس.

إذا كان هناك من يبغضه فاروق أكثر من النحاس، فهم البريطانيون.. لكن البريطانيين الذين أبغضهم فاروق هم على شاكلة مايلز لامبسون، وبريطانيو اليوم غيرهم فى الأمس، فهم الذين بذلوا الكثير من أجل إصلاح ما سببه تعجرف لامبسون لفاروق من أضرار، والذين كرموه برتبة جنرال شرفية فى الجيش البريطانى، وبطائرة خاصة مثل التى مع لورد ماونتباتن ودوق أدنبرة.

وإذا كان هناك من يبغضه فاروق أكثر من النحاس ومن البريطانيين، فهم الشيوعيون أعداء القياصرة وأعداء الملوك.. وبالرغم من خلو مصر فى ذلك الوقت من حزب شيوعى فعال ونشط، فقد كانت هناك صحافة شيوعية سرية تعمل تحت الأرض ويتزايد نشاطها يوماً بعد يوم.

كان فاروق يعلم أنه إذا كانت هناك دولة مستعدة لتقبل الشيوعية، فهذه الدولة هى مصر، كذلك كان فاروق على وعى تام بعناصر لينين الثلاثة الضرورية لقيام الثورة: العنصر الأول السخط العام، وهو متوافر فى مصر، والعنصر الثانى فساد الإدارة الحكومية، وهو أيضاً موجود فى مصر، والعنصر الثالث الوحيد المفتقد فى مصر، هو قائد الثورة بعد ذهاب حسن البنا زعيم الفقراء.

قبل عام من هذه الأحداث، حذر البريطانيون فاروق من خطر شيوعى وشيك الحدوث، الذى يهدد عرشه مثلما يهدد وضعهم فى الشرق الأوسط، عندما قدم إلى القاهرة من لندن فيلد مارشال سير وليام ، رئيس هيئة الأركان الملكية، وبحوزته رسالة تحذير بأن بريطانيا ترى أن الظروف الحالية أصبحت أقرب إلى الحرب من الظروف التى كانت فى عام ١٩٣٦، وذلك لتخطيط الروس لغزو مصر عن طريق الجو عبر إيران وتركيا لاحتلال قناة السويس التى يعتبرونها بوابتهم للشرق ولأفريقيا المستعدة لقبول النظام الشيوعى بها.. وقد ذكر وليام المصريين بأنهم إذا كانوا لم يستطيعوا هزيمة إسرائيل فمن المؤكد أنهم لن يستطيعوا الصمود طويلاً أمام الروس إذا لم تكن بريطانيا إلى جانبهم، ثم أضاف محذراً بأنه فى الوقت الذى تترك فيه بريطانيا قناة السويس، فإن الحرب الباردة، ستتحول سريعاً إلى حرب ساخنة.

وبينما رفض النحاس إيلاء تحذيرات وليام أى اهتمام، فقد أولاها فاروق كل اهتمامه، واقتنع بأن فرصته السانحة للحفاظ على عرشه هى أن يكون تحالفه مع أمثال وليام وليس النحاس، ثم بدأ تحالفه مع البريطانيين بتعيين اثنين من المحبين لبريطانيا، كانا فى فترتين سابقتين سفيرين فى بريطانيا، وفى منصبين مهمين بالقصر، حافظ عفيفى كرئيس مستشارى الملك، وعبدالفتاح عمرو المليونير وبطل العالم فى الاسكواش، كمستشار فاروق

للشئون الخارجية.. ومع دخول عفيفى وعمرو القصر، خرج كريم ثابت الذى كان شاهداً على عقد القران غير الناجح بين القصر وحزب الوفد، والذى ألقى اللوم على ناريمان باعتبارها السبب وراء خروجه من القصر، بشن حملة ضده فى أذن فاروق حتى تأتى بغيره من الذين تربطهم بها علاقات قربى وثيقة.

كثرت الشائعات أثناء رحلة شهر العسل الأوروبية، وقيل إن فاروق الذى وصلت ثروته فى أوروبا إلى ٧٥ مليون دولار أمريكى، ربما لا يعود إلى مصر، وأنه تلقى نصائح بالعودة إلى مصر بأسرع ما يمكن، لكن الشىء الذى أكده السفير الأمريكى جيفرسون كافرى وغيره أن الملك لايزال يحب أن يكون ملكاً.. ومن المؤكد أن فاروق كان أكثر حباً لاستمراره ملكاً على مصر.

فى الساعة السادسة وعشرين دقيقة من صباح يوم ١٦ يناير ١٩٥٢ عندما أطلقت المدفعية مائة طلقة وطلقة إعلاناً عن مولد أول ابن لفاروق، الأمير أحمد فؤاد، ولد قبل موعده بشهر، ويزن أكثر من سبعة أرطال، وفى الوقت الذى سالت فيه دموع الفرح على وجه فاروق، كان هناك فى قصر المنيل الأمير محمد على «٧٥ عاماً» الذى بكى أيضاً عندما استمع إلى طلقات المدفعية المائة طلقة وطلقة، وعرف أن حلمه بأن يكون ملكاً على مصر لن يتحقق.. كذلك كان على الثالث فى طابور وراثة عرش مصر، الأمير عبدالمنعم «٥٢ عاماً» ابن عم فاروق أن يتجه بكليته إلى تخصصه الأثير لديه وهو علم الأسماك.

بعد ولادة فؤاد مباشرة، كرس فاروق كل وقته لابنه الصغير، حتى أنه كان ينام على حشية على الأرض أسفل سرير ناريمان حتى يكون قريباً من فؤاد.

وأمام تعلق فاروق الشديد بابنه الرضيع، وعد زوجته ناريمان بأنه لن يقوم بتدليل فؤاد، وقرأ عليها قصيدة للشاعر البريطانى كبلنج، كان قد تعلمها فى انجلترا وحفظها عن ظهر قلب:

«إذا أنت تستطيع التحدث مع الجمع المحتشد
دون أن تفقد فضائلك.
أو تسير بصحبة الملوك،
ولا تفقد حب الشعب لك.

وكل الرجال يضعون ثقتهم فيك.
لكن ليس إلى حد كبير.
فالأرض كلها وما عليها تكون لك
والأكثر من ذلك ستكون رجلاً
أنت يا ابنى».

عاش فاروق أسعد لحظات حياته التى دامت حتى تسعة أيام.. فى ذلك الوقت كان قطع إمدادات الغذاء عن القوات البريطانية فى قناة السويس مستمراً، وقامت الجماعات الفدائية الوطنية بشن هجوم كبير على مستودعات الذخيرة التابعة للجيش البريطانى، ذلك الهجوم الذى كشف للبريطانيين عن مساعدات سرية كان رجال الشرطة المصريون يقدمونها للجماعات الفدائية، الأمر الذى جعل الجنرال أرسكاين قائد القوات البريطانية فى منطقة القناة يفقد أعصابه وصبره.

فى ٢٥ يناير، أصدر أرسكاين أوامر إلى عدد من الدبابات التابعة للقوات البريطانية بحصد قسم الشرطة فى مدينة الإسماعيلية القريب من القناة، وطلب من الموجودين بالقسم أن يسلموا جميع أسلحتهم فى خلال ساعة واحدة، عندئذ قام مأمور قسم الشرطة بإجراء محادثة تليفونية مع فؤاد سراج الدين وزير الداخلية فى حكومة الوفد وبرغم علم سراج الدين أن أسلحة قسم الشرطة لا قبل لها أمام دبابات البريطانيين، فقد أصدر أوامره لمأمور قسم الشرطة بخوض المعركة حتى آخر رجل وآخر طلقة رصاص فى بنادقهم وإلا سيتعرضون للمحاكمة العسكرية.

كانت نتيجة المعركة غير المتكافئة مصرع ثلاثة وأربعين من أفراد الشرطة المصريين، وإصابة مائة منهم إصابات بالغة، وتهدم قسم الشرطة.. بعد ذلك بدأ المصريون جهادهم ضد البريطانيين.. وكان اليوم التالى ٢٦ يناير، يوم السبت الأسود.. الجماهير الساخطة فى شوارع القاهرة لم تكن تردد قصيدة الشاعر البريطانى كبلنج، وإنما علت هتافاتها ضد الملك وضد الأمير الرضيع الذى ولدته أمه كبير الحجم وثقيل الوزن تماماً، ككبر وكثقل العار والخزى الذى يسم كل شىء فى القصر.

فى ذلك الوقت، كان الملك فاروق يحتفل فى القصر بالأمير الرضيع وسط ستمائة من كبار ضباط الجيش، فى مأدبة الغداء التى أقامها بهذه المناسبة.. وطبقاً لمصادر كريم ثابت داخل القصر، فإن فاروق لم يعلم بالدمار الذى حل بالقاهرة، إلا بعد مشاهدته لسحب الدخان الكثيف من نوافذ قصر عابدين، فقد كان أقارب ناريمان الذين أصبح لهم السيطرة على مجريات الأمور بالقصر، يحاولون عزل فاروق عن كل ما قد يسبب له أى ضيق أو كدر.

لو كان فاروق قد علم بأحداث العنف قبل حدوثها بساعتين، فهل كان فى مقدوره أن ينقذ فندق شبرد، أو دار الأوبرا، أو شيكوريل، أو الستة وعشرين أجنبياً الذين لقوا حتفهم بعد أن تعرضوا للضرب، ولخطر الحرائق؟

فى اللحظة التى شاهد فيها فاروق ألسنة النيران المشتعلة فى مدينة القاهرة من نوافذ القصر، أدرك أن حربه من أجل البقاء قد بدأت، وأن عليه أن يواجه حقائق الحياة من حوله، تلك الحقائق الشديدة القبح، وأنه إذا كان لايزال يحب أن يستمر ملكاً، فعليه أن يضع التاج جانباً، لكى يدافع عنه.



- القاهرة تحترق والضباط الأحرار يخططون للثورة وفاروق يفكر فى رحلته الصيفية
- كريم ثابت ينافق الملك ويزعم أن جذوره تعود إلى الأسرة النبوية
- فاروق يعين زوج شقيقته إسماعيل شيرين وزيراً للحربية ويتجاهل ترشيح اللواء نجيب
- فاروق يدعى الفقر فى روما ومحاميه يبحث له عن قصر ليعيش فيه

اشـتـعلت النيـران فى يوم السـبت الأسـود، فى دور السـينمـا والملاهى والبـارات والأندية الليليـة وفى كل المنشـآت الأخـرى العـديدة التى جعلت من القـاهرة باريس الشـرق الأوسط، وكانت دور اللهو من أكثـر الأمـاكن تعـرضاً لهجمات مشعلى الحرائق.

وأشـارت أصـابع الاتهـام إلى جـمـاعـة الإخـوان المسلمين التى صـرح لهـا النحاس فى الفترة الأخيرة ببدء شن هجماتها ضد الأجانب والباشاوات.

فى صباح ٢٦ يناير، توقفت شاحنة تحمل رجالاً فى زى عمال أمام فندق شبرد، ودخلوا بهو الفندق، وعرفوا أنفسهم بأنهم عمال يتبعون بلدية القاهرة، جاءوا لرش قاعات الفندق بمبيد الحشرات.. لكن حقيقـة الأمـر كان المبيد الحشـرى الموجود بحوزتهم جازولين سـريع الاشـتعـال، وبعد دقـائق أمـسكت النيران فى كل أرجاء الفندق.

عـاد الهـدوء والنظام إلى القـاهرة فى اليـوم التـالى، وألقى فـاروق بكل اللوم على الوفد باعتباره السبب فى إحداث الشغب، ومن ثم فقد أصدر قراراً سريعاً بإقالة النحاس من منصبه وعين بدلاً منه حليفه القديم على ماهر البارع، البالغ من العمر سبعين عاماً، والذى يعد واحداً من أكثر الرجال المصريين ثراء.

أصبـح رئيس الوزراء الجـديد على مـاهـر القـديم مـثـيـر الفتن والقـلاقل والجماهيـر يميل أكثر إلى التسـويات وإلى الحلول الوسط، فـبـدلاً من أن يحل البـرلمان الذى يسـيطر عليـه حـزب الوفد، راح يبحث عن تسـوية مـؤقـتـة مـعـه، كانت وجهة نظره ألا يقوم بتطهير البرلمان من حزب الوفد إلا بعد أن يتوصل إلى نوع من اتفـاق مع البريطانيين بشـأن قناة السـويس، وأنه فـى هذا الصـدد يمكنه الاعتمـاد على الوفـد فى أن يقـوم بإخـراج مظاهرات تـأييد فـى بعض المدن الصغيرة فى الجنوب والشمـال، لكن فاروق لم يستطع الانتظار طويلاً،

وأجبر على ماهر بعد ما يقرب من شهر له فى منصبه كرئيس للوزراء على تقديم استقالته.

وكان رئيس وزراء فاروق الجديد هو نجيب الهلالى أحد المحامين البارزين فى مصر. لكنه كان يختلف عن على ماهر فى استقامته وطهارته. عام ١٩٥١ خرج من حزب الوفد بعد اتهامه فؤاد سراج الدين بالتجسس غير المشروع على المحادثات التليفونية، وفى أول يوم له فى المنصب الجديد، أعلن عزمه على اجتثاث جذور الغواية فى مصر، وقام بإرسال خمسين من أفراد الشرطة إلى منزل سراج الدين فى القاهرة لمصاحبته إلى منزله فى الدلتا الذى تم تحديد إقامته فيه بسبب تورطه فى أحداث السبت الأسود، وبدأت محاكمات المسئولين عن أحداث الشغب، وتطهير حزب الوفد من الفساد، وكان أول عمل لنجيب الهلالى فى هذا الشأن إصدار أوامره بإيقاف العمل فى اليخت الجديد «السودان» الذى يسع ثمانين مسافراً والخاص بزوجة النحاس.

ولأن نجيب الهلالى كان نقياً وطاهراً وأراد أن يطهر البلاد من الفساد ومن البريطانيين فقد تكاتفوا ضده، ونالوا منه، فقد ورد فى تقرير بعث به السفير الأمريكى بالقاهرة جيفرسون كافرى إلى واشنطن، حول محادثته السرية مع كريم ثابت ألد أعداء نظافة وطهارة نجيب الهلالى، جاء فيه على لسان كريم ثابت أن الهلالى كان بصدد إصدار قانون يجبر كل الوزراء المصريين فى الماضى والحاضر، والمستقبل بالكشف عن مصادر ثرواتهم وهو الشىء - فى اعتقاد كريم ثابت - الذى قد يدمر فاروق، بالإضافة إلى أنه يمكن أن يؤدى برجل الشارع فى مصر إلى إدراكه أن المسئولين عن إدارة أمور الدولة مجموعة من اللصوص، وهو الأمر الذى يمكن أن يرجعوه إلى فاروق باعتباره المسئول عن اختيارهم فى حكومته.

أضاف كريم ثابت فى محادثاته مع السفير الأمريكى، أن الأمور يمكن أن تسوء أكثر فى مصر بأن تتحول إلى الشيوعية، وأنهى كريم ثابت حديثه مع كافرى بأن حثه على أن يقدم النصح لفاروق بأن يقيل نجيب الهلالى من منصبه كرئيس للوزراء قبل أن يستفحل الأمر، وأن يعين بدلاً منه رجل الملك المطيع رئيس الوزراء السابق حسين سرى.. وكانت خطة كريم ثابت أنه بقيامه بدور الوسيط بين فاروق وحسين سرى رئيس وزرائه الجديد، يمكنه العودة إلى مكانته السابقة فى القصر.

فى ١ يوليو تم الأخذ بنصيحة كريم ثابت، واستقال نجيب الهلالى، وحل محله حسين سرى رئيساً للوزراء وعاد كريم ثابت إلى مكانته السابقة بالقصر.. وكان أول شىء يؤديه بعد عودته المظفرة، هو إعلانه أن فاروق ينتمى بجذوره وأصوله إلى النبى محمد عليه الصلاة والسلام، وذلك من جانب والدته نازلى.. حدث هذا الإعلان فى شهر رمضان الذى يصوم فيه المصريون ويتعبدون، وفاروق يقضى وقته على موائد الطعام والقمار.

كان قرار حسين سرى الأول هو الإفراج عن سراج الدين الذى حدد نجيب الهلالى إقامته فى منزله بالدلتا، وكان قراره الثانى الذى حاول أن يصدره وغضب منه فاروق غضباً شديداً، هو تعيين اللواء نجيب وزيراً للحربية، لقد كان حسين سرى مثل على ماهر يسعى لتهدئة ضباط الجيش وإعادتهم إلى حالة السلام والسكينة التى كانوا عليها من قبل.

كان اعتقاد فاروق بعد أحداث السبت الأسود، أنه إذا كانت هناك شريحة من مصر يمكنه أن يضعها فى جيبه الملكى، فهذه الشريحة هى الجيش، فبعد فلسطين، كان فاروق قد تحدث مع جيفرسون كافرى السفير الأمريكى فى القاهرة. مباهياً بجيشه الذى برغم هزيمته إلا أنه حارب ببسالة قائلاً: «كانوا يقاتلون بصدورهم العارية أمام الدبابات والعربات المصفحة، إن الجيش المصرى فعل ذلك من أجلى، وسوف يفعل أى شىء أقوله له، من أجلى أنا وليس من أجل أى أحد آخر، وهذا هو السبب الذى يجعلنى أفاخر به.

كان فاروق يعتبر نفسه الأب الكريم لضباط جيشه الذين لن يعضوا اليد التى أطعمتهم فى المائدة الكبيرة التى جمعتهم فى قصر عابدين احتفالاً بالأمير فؤاد، وكان يعتبرهم المدافع عن نظام حكمه.. كان اعتقاد فاروق فيما يتصل بالجيش المصرى هو خطأه الكبير الذى أظهر ضعف بصيرته، فقد كان داخل الجيش المصرى يستقر العنصر الثالث من عناصر لينين التى تقود إلى الثورة «القيادة والقائد»، ذلك العنصر الثالث الذى بإضافته إلى العنصرين السخط العام وفساد الإدارة الحكومية، تكون البلاد مؤهلة وجاهزة للثورة.

ربما كان انشغال فاروق بوليده الأمير الصغير، هو السبب الذى جعله لا يدرك إشارات التحذير الأولى الصادرة من الجيش المصرى.. ففى أوائل يناير تم انتخاب اللواء محمد نجيب رئيساً لنادى ضباط الجيش بالزمالك بعد

فوزه على مرشح الملك اللواء سرى عامر، الذى اتهمه نجيب ببيع زيت الديزل وذخائر وأشياء أخرى تابعة للجيش المصرى إلى تاجر يهودى بالجيزة قام ببيعها لإسرائيل.. وكان وراء تحقيق نجيب الفوز فى انتخابات نادى ضباط الزمالك، جماعة الضباط الأحرار، وناصر، والسادات.

كان فى تقدير حسين سرى رئيس الوزراء أنه بتعيين اللواء نجيب وزيراً بالحكومة سوف يضمن له إسكات كل الأصوات المعارضة لفاروق داخل الجيش، لكن فاروق لم يقبل إلا بتقاعد اللواء سرى عامر غير المرغوب فيه من قبل ضباط الجيش. فى مقابل ذلك يتقاعد اللواء محمد نجيب غير المرغوب فيه من قبل فاروق نفسه.. وكانت نتيجة ذلك أن قدم حسين سرى استقالته من رئاسة الوزراء بعد ثمانية عشر يوماً فقط من يوم حصوله على المنصب.

وأعاد فاروق إلى رئاسة الوزراء الرجل النظيف نجيب الهلالى، ووعده بإطلاق يده فى حملة تطهير يشنها ضد حزب الوفد، وكان أن اختار فاروق لمنصب وزير الحربية ضابط الجيش الذى يعرفه جيداً والذى يمكنه الثقة به، إسماعيل شيرين، الزوج الثانى للأميرة فوزية، ومادام فاروق جنرالاً بالجيش البريطانى، فيمكنه أن يخبر إسماعيل بما يفعله إذا ما جاء وقت الحرب.

اطمأن فاروق إلى أن الهلالى سوف يخلصه من الفساد، كما أن جواسيسه أخبروه بجماعة الضباط الأحرار، ناصر، والسادات وعشرة ضباط آخرين، واستقر على أنه من الممكن أن يتم التعامل معهم بالطريقة نفسها التى تم التعامل بها مع حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين.. لقد عرف فاروق أعداءه، الضباط الأحرار، والشيوعيين، واطمأن إلى أنه فى سبيل التعامل معهم بما يكفل له سلامة وأمن عرشه، لكن وقت الصيف قد حان، ووقت مباهج ليالى الصيف بالإسكندرية على موائد قمار نادى السيارات الملكى، قد أزف، وموعده مع القاهرة فى أكتوبر.. كان اليوم ٢٠ يوليو ١٩٥٢.

وكان فاروق قد وضع فوق مكتبه الملكى تلك الكلمة التى أخذها عن والده فؤاد «الصبر» وهى الكلمة التى كلفته عرشه.. لكنها مصر، والصيف، ودرجة الحرارة المرتفعة فى القاهرة، الشىء الذى جعل فاروق يفترض أن لديه

فسحة من الوقت كى ينتهى من الضباط الأحرار، ويفترض أن صيف مصر الحار جداً لا يمكنه أن يقوم فيه أحد بثورة.

خلال الأيام الثلاثة وهى الفترة التى قطعها اليخت «المحروسة» فى رحلته ما بين الإسكندرية ونابولى، لم يكن هناك شىء يعزى فاروق ملك مصر المعزول، ويهون عليه سوى استعادة أحداث ما قبل الرحيل التى تبعث على السخرية والألم، ها هو فاروق وبصحبته ابنه الصغير فؤاد يبحر إلى المنفى على ظهر اليخت نفسه الذى أبحر به والده فؤاد وهو صغير مع والده المنفى الخديو إسماعيل.. إذا كان نفى الخديو إسماعيل كان بفعل البريطانيين، فإن كسل وتراخى البريطانيين هو الذى تسبب فى نفى فاروق.. لماذا تخلى البريطانيون عن فاروق الذى كان ملكاً لفترة طويلة لمستعمرة بريطانية، وكان واحداً منهم. كجنرال فى الجيش البريطانى؟ لأنهم بريطانيون، ولأنه كان من الحمق أن يثق فيهم؟

تساءل فاروق.. والأمريكيون كيف يمكنهم وهم أعداء الشيوعيين، أن يتركوا مصر تقع فى أيدى جماعة يعرف فاروق جيداً أنهم شيوعيون؟!.. هل تحمل أمريكا عداء للملوك بغض النظر عن مواقفهم معها؟.. كان من الخطأ أن يعتقد فاروق أن الأمريكان أصدقاؤه مثلما هو صديق لهم.. وعلى ماهر رجله، الشديد الولاء له وللملكية، من بين كل الناس، يصبح هو المتحدث الرسمى للانقلابيين.

فى ٢٩ يوليو، وصل اليخت الملكى المحروسة بالعائلة الملكية إلى نابولى، وهناك انتقلوا من اليخت الملكى إلى باخرة صغيرة لندا لكى تقلهم إلى كابرى، وفى فندق إيدن باراديسو بجزيرة آنا كابرى، نزل فاروق وعائلته وحاشيته، وسجل اسمه فى سجل الفندق تحت اسم «صاحب السمو الملكى الأمير فاروق فؤاد».

وفى اليوم التالى. عقد فاروق مؤتمراً صحفياً فى قاعة بالفندق حضره أكثر من مائة صحفى.. جلس فاروق والى جانبه ناريمان وبناته والملك فؤاد يرضع من زجاجة وضعتها فى فمه مربيته آن تشير مسايد.. بدأ فاروق بالحديث عن جمال كابرى، وأكد أن منفاه هو أول إجازة حقيقية له منذ أن أصبح ملكاً، وأنه طوال إجازته الأوروبية قبل الزواج وإجازة شهر العسل، كان

مشغول الذهن بأحوال ومصالح الدولة.. توالت أسئلة الصحفيين باللغات الانجليزية والفرنسية والإيطالية.

قدم فاروق ابنه الملك فؤاد للصحفيين، وأشار إلى المصاعب والمشكلات التى أحاطت بالعرش، وكان حريصاً على ألا يصدر عنه ما يحرج الحكومة الإيطالية المضيفة، وأكد فاروق أنه هو وحده المحكوم عليه بالنفى، وليس زوجته أو أطفاله الذين يمكنهم العودة إلى مصر فى أى وقت.

ورداً على سؤال وجه إلى فاروق بشأن المكان الذى سيعيش فيه، أجاب قائلاً: إنه لم يستقر عليه بعد، لكنه يتوقع أنه لن يكون وراء ستار حديدى، وعندما طرح عليه سؤال حول ثروته قال: «أطفالى هم الآن كل مملكتى، فأنا لم أعد رجلاً غنياً.. لكن بالنسبة للفقراء جداً من الناس، فيمكن أن أكون محل حسد بعضهم.. ونفى فاروق فى ختام مؤتمره الصحفى ما أشيع عن أنه أحضر ثروته معه من مصر أو أنه يملك ثروة فى أوروبا، وقال: «زوجتى وابنى وبناتى الثلاث سوف يعشن حياة بسيطة جداً جداً.. لكن صحفياً واحداً من الصحفيين فى المؤتمر لم يعتقد فى صدق كلماته.

وبينما كان محامى فاروق الإيطالى كارلوايميليو. الشهير بأنه محامى الملوك وملك المحامين، يبحث عن مكان مناسب لكى يستقر فيه فاروق وعائلته لم يكف الصحفيون عن تعقب فاروق وبناته وابنه وزوجته فى كل مكان يذهبون إليه من أجل قصة صحفية مثيرة ينشرونها على صفحات صحفهم.

فى شهر سبتمبر غادر فاروق وأسرته كابْرى وتوجهوا صوب فيللا داسميت خارج روما، بالقرب من قلعة جاندوفلو القصر الصيفى للبابا، وهى الفيللا التى استأجرها لهم المحامى كارلوايميليو.. وكانت الفيللا تحوطها أسوار عالية، وتحرسها كلاب حراسة.. ورجال شرطة إيطاليون خصصتهم الحكومة الإيطالية لحماية المصريين المنفيين.

وبينما كانت الأميرات الثلاث يقضين أوقاتهن مع معلماتهن، كان فاروق وناريمان يقضيان أوقاتهما بصحبة نورمان برايس رائد سابق فى الجيش البريطانى، وأصبح كاتباً بعد الحرب، وكلاوس بلومر الطبيب الألمانى الذى تحول إلى صحفى، وفى ديسمبر وقع الانفصال بين فاروق وناريمان.

فى ٣٠ يوليو، ألغى محمد نجيب الألقاب، وألقى القبض على كريم ثابت

وعلى اللواء سرى عامر وحكم عليهما بالسجن مدى الحياة، كما قامت محكمة الشعب بتوقيع عقوبة الحبس خمسة عشر عاماً ضد رجل الوفد القوى فؤاد سراج الدين، وأيضاً ضد طبيب الملك وسائقه.

وفى شهادته أمام المحكمة أقر عباس حليم ابن عم فاروق، بأن فاروق كان يغش فى أوراق اللعب على موائد القمار التى كان يجالس فيها اليهود، بالإضافة إلى أنه كان يظهر نفسه بمظهر ساحر النساء حتى يخفى ضعف رجولته، وفى المقابل، حكمت عليه المحكمة بالحبس خمسة عشر عاماً مع إيقاف التنفيذ لدوره فى قضية بيع الأسلحة الفاسدة، للجيش المصرى فى حرب ١٩٤٨.

وصادرت محكمة الشعب مساحات شاسعة من الأراضى التى كانت تملكها زوجة النحاس فى الدلتا واستطاع النحاس أن يجد طريقاً يبتعد به عن انتقام الضباط الأحرار.. وتعرض انتونيو بولى للتعذيب حتى يعترف بحقيقة أموال فاروق فى أوروبا وآخرون واجهوا عقوبة الإعدام لارتكابهم جرائم ضد الدولة.. كما صادرت مصر ممتلكات ما يقرب من أربعمائة شخص من سلالة أسرة محمد على.



● الضباط الأحرار يصادرون القصور والأراضى الزراعية الشاسعة والملك يجتر أحزانه فى كازينوهات أوروبا
● ثورة يوليو تعزل الملك الطفل أحمد فؤاد فى ١٩٥٣ لتنهى ١٤٨ عاماً من حكم أسرة محمد على باشا
● فايزة تتمكن من الهروب إلى باريس بمساعدة السفارة الامريكية بالقاهرة
● فاروق يخرج عن وعيه فى أندية إيطاليا الليلية فتقرر ناريمان العودة للقاهرة هرباً من الفضائح

قـامت الثـورة بتـوزيع مئـات الآلاف من الأفـدنة المصـادرة على الفـلاحـين المصـريين، لقد كانت قلوب الضبـاط الأحرار تخلو من الشفقة حيال الطبقة الارستقراطية، وتجاه من يبدى تعاطفا معها، فعندما حاول رئيس الوزراء على ماهر أن يساعد الامير محمد على، الذى كان لايزال وريث فؤاد الصغير فى عـرش مصـر، على مـغادرة مـصـر، وفى حـوزته مـائة ألف جنيـه مـصـرى من ثروته، قام الضبـاط الأحـرار بإجبـار على مـاهر علـى الاسـتقـالة من منصبـه كرئيس للوزراء.

لقد كانوا شديدى الاستياء من الاميـر محمد على، الذى كان قد أوصى بتنظيف شـوارع القـاهرة من الاطفـال الذين يضـبطون وهم يتـسـولون، وذلك بترحيلهم مع عـائلاتهم الى السـودان، كمـا كـان سببـا فى إصدار قانون يعفى سائقى السيـارات الفـارهة من مسـئوليـة إلحـاق الضـرر بالذين يسيـرون على أقدامهم بالإضافة إلى إسرافه وبذخه الذى اكتشفه الضبـاط الاحرار من واقع دفاتر حساباته.. وكان الأمير محمد على محظوظا لانه عرف كيف يغادر مصر إلى سويسرا فى الوقت الذى تعرض فيه بقية أفراد عائلته إلى الاعتقال.

وفيمـا يتصل بأفـراد حكومـة القصـر فقـد توفى اليـاس اندراوس فى لندن بعد انقلاب الضبـاط الاحـرار مبـاشـرة وادموند جـالهـان، كان يقضى الصيف فى الريفييرا ولم يعد إلى مصر على الإطلاق اما انتونيو بولى فبعد اعترافاته التى لم تتضـمن كشـفـه عن ممتلكات فـاروق فى أوروبا لعـدم مـعـرفتـه بهـا، تم إطلاق سـراحـه من السـجن ليفـتتح ناديا ليليـا فى عـوامـة على النيل ولما كـانت تجارة النوادى الليلية غيـر رائجة فى العـهد الجديد فقد أغلقـه وافتتح بدلا منه متجراً لصنع الفطائر والمعجنات والكعك فى منطقة هليوبوليس.

وفى ١٨ يونيو ١٩٥٣ اعلن مجلس قيـادة الثـورة رسـميـا وضـع نهـاية لحـكم سـلالة محـمـد على التى استـمـرت حاكمـة طوال ١٤٨ عـامـا وذلك بـعـزل الملك

فؤاد البالغ من العمر ١٨ شهراً وفى اكتوبر ١٩٥٤ خرج محمد نجيب من دائرة الضوء ليحل محله جمال عبدالناصر باعتباره القائد الحقيقى لثورة ١٩٥٢ وزعيم مصر بلا منازع. وكان فاروق فى منفاه الإيطالى، يريد أن يقول لمحمد نجيب: ألم أخبرك بذلك..؟

لقد تمنى فاروق أن يقدم ناصر على عمل طائش يؤدى بالبلاد الى حرب أهلية، عندئذ يتدخل البريطانيون لحماية قناة السويس وإعادة الملكية التى تحافظ على الاستقرار أو أن تتسبب حماقة ناصرفى أن يهاجم القناة نفسها، الامر الذى يجعل البريطانيين يرجعون الى فاروق قائلين له: لم تكن سيئا أيها الصبى القديم، لماذا لا ترجع إلى عرشك الذى خلفته وراءك..؟

ولم يكن أمام فاروق فى مستقره الايطالى إلا الصبر.

كانت روما فى اوائل الخمسينيات تشهد ازدهارا وانتعاشا جعلاها قبلة نجوم ونجمات السينما العالمية وأصحاب الثروة والشهرة وكان فاروق صاحب ثروة وشهرة لكنه كان يفتقد كثيرا ليالى أو برج الاهرام ونادى السيارات الملكى.. كان فاروق ملك ليل مصر، فلماذا لا يخرج إلى ليل روما الحافل فى فيافينيتو..؟

مستقلا سيارته المرسيدى الليموزين الخضراء المصرية الجديدة وبصحبته ناريمان، ومن خلفه وأمامه حراسة الالبان ورجل شرطة إيطالى على دراجته البخارية.. يتوجه فاروق الى منطقة الكازينوهات والنوادى الليلية الفاخرة فى فيا فينيتو يجلس الى موائد القمار، يشاهد العروض الفنية التى يقدمها النادى الليلى، يطلب الشراب لكل الموجودين، ويلقى بدعاباته ونكاته، ويضحك، ويغنى، وينقر على أدوات المائدة الفضية ضابطا لإيقاع الموسيقى، وناريمان فى صمت ولا أثر لأى تعبير على وجهها الجامد.. وعند الفجر يتحرك الموكب المصرى وحرسه من الالبان والايطاليين، مغادرا أضواء فيافينيتو متجها صوب التلال بالقرب من قلعة جاندوفلو، حيث مكان الفيللا ذات الاسوار العالية التى يقيم فيها.

بعد قليل من الوقت بدأت ناريمات تقضى لياليها فى الفيللا، مفضلة رحلات الشراء النهارية مع سائق سيارتها المرسيدس الحمراء على السهر

حتى الفجر فى الكازينو والنادى الليلى.. وبعد فترة توقفت ناريمان تماما عن الخروج من الفيلا.

فى شتاء ١٩٥٢ اصطحب فاروق زوجته ناريمان فى أجازة إلى تلال الألب على الحدود الايطالية السويسرية، ومكثا فى جناح بفندق وسط الجبل، كان فى وقت من الأوقات عش الحب الذى جمع موسولينى وعشيقته كلاريتا بيتاسى.. وبالرغم من باقات الزهور التى نثرها فاروق فى أرجاء جناحهما بالفندق فإن ناريمان كانت غير راغبة فى شئ فقد رفضت ممارسة رياضة التزحلق على الجليد، ورفضت حتى الخروج لمشاهدة المتسابقين والسباق على الجليد وحتى عندما نجح فاروق فى أن تصحبه إلى قاعة الطعام بالفندق، رفضت أن تتناول شيئا ورفضت الحديث فقط كانت تجلس عابسة الوجه تحرك بأصابعها اجزاء السوار الذهبى الذى يحيط بمعصمها محدثة صوتا جعل الجالسين من حولهما يعتقدون إما أن فاروق يمسك بيد ناريمان وهو فى حالة هيام شديد أو أنه يقبض على يدها ليمنعها من فعل شئ وناريمان تحاول أن تتخلص من قبضته.

كانت ناريمان فى التاسعة عشرة من عمرها فى ذلك الوقت ومع ذلك فان العالم لم يكن يتوقع منها كملكة تلك التصرفات التى لا تصدر الا من مراهقة صغيرة.. ففى ١٣ مارس ١٩٥٣ غادرت ناريمان فاروق روما وتوجهت إلى جنيف بصحبة أمها وكلبها الكثيف الشعر، وفى ٢٣ مارس استقلت المرأتان طائرة الخطوط الهندية من جنيف إلى القاهرة.

علم فاروق من أمين فهيم السكرتير الثالث فى السفارة المصرية بروما والذى كان قد فصله اللواء محمد نجيب ان السيدة أسيلة صادق والدة ناريمان قد طلب منها نجيب أن تأتى بالملك فؤاد الى مصر وان السيدة صادق صرحت فى مصر بان السبب الذى من اجله تركت ناريمان فاروق هو انها لم تعد قادرة على استمرار الحياة مع فاروق للاختلاف الكبير بين شخصيتيهما.

وقد زود الضباط الاحرار الملكة السابقة بجواز سفر مصرى وسمحوا لها بالحصول على قدر محدد من متعلقاتها الخاصة الموجودة بقصر عابدين ولما لم تستطع ناريمان إحضار فؤاد معها من روما قام نجيب بإصدار أمره بإلغاء الملكية.

وبعد ان تقدمت ناريمان بطلب الطلاق من المحكمة الشرعية بهليوبوليس بالقاهرة أرسل فاروق محاميه السورى إلى مصر للاتفاق على اجراءات الطلاق الذى تم فى فبراير ١٩٥٤.. وفى شهر مايو من نفس العام تزوجت ناريمان من د. أدهم النقيب الجراح بالاسكندرية وابن طبيب فاروق د. أحمد النقيب الذى لم يحضر حفل الزفاف لوجوده بالسجن يقضى فترة العقوبة خمسة عشر عاما التى حكمت بها عليه محكمة الشعب.

واخبرت ناريمان الصحافة انها سعيدة وانها تحاول أن تعيش حياتها بالدخل المتواضع والمحدود لزوجها الجديد الطبيب بالمستشفى الانجليزى الامريكى بالاسكندرية.. واضافت ناريمان ذات العشرين عاما: إن السعادة لا توجد فى القصور الفخمة وانما تحيا بالحب والتعاطف والفهم المتبادل بين الزوج والزوجة.. عشت بالقصور ولم استشعر السعادة وأنا الآن على يقين بأننى سأجد سعادتى مع أدهم النقيب لأننى أحبه وهو يحبنى.

وفى العام التالى حدث الانفصال بين ناريمان والنقيب وقدمت الملكة نازلى فى عام ١٩٥٣ وهى فى بيفرلى هيلز مع ابنتها الاميرة فتحية وزوجها رياض غالى التماسا الى القضاء المصرى بطلب رفع الحراسة على ممتلكاتها التى كانت ضمن ممتلكات ابنها فاروق لكن دعواها تم رفضها وكان عليها أن تتحمل تكاليف إقامة الدعوى.

وكان على الملكة فريدة فى نوفمبر ١٩٥٣ ان تسلم تاجها ومجوهراتها وسياراتها الثلاث والاشياء الثمينة الاخرى التى فى حوزتها الى لجنة المصادرة التى تكونت لإيقاف عمليات تهريب الاموال والمجوهرات التى تمت على نطاق كبير وبصفة خاصة من الأفراد المنتمين الى اسرة محمد على، مثل بنات الامير عباس حليم، اللاتى وافقن على إعادة بعض ما قمن بتهريبه فى مقابل إسقاط التهم الموقعة عليهن.. وبينما لم تضطر فريدة الى اخلاء قصرها بجوار الاهرامات الذى أعطاه لها فاروق، فقد كان عليها ان تدفع إيجاراً له خاصة انها اصبحت فى استطاعتها إعالة نفسها من عملها فى مجال الرسم والتصوير.

ولم يكن حظ الاميرات شقيقات فاروق، أفضل من حظ الملكات الثلاث فقد قام نجيب وجماعة الضباط بمصادرة قصر فايزة التى تمكنت من خلال

علاقاتها الوثيقة بالسفارة الامريكية بالقاهرة من الهرب الى باريس وهناك استقرت فى شقة هى وزوجها بعد ان استطاعت ان تحمل معها بعض مجوهراتها الى ان لحقت بامها وأختها فى كاليفورنيا.

اقامت فوزية دعوى ضد نجيب وجماعته لانهم قاموا بمصادرة مجوهرات تزيد قيمتها على ستمائة الف دولار وهى المجوهرات التى جاءتها من الشاه وليس من فاروق على حد قولها لكنها خسرت الدعوى وظلت فى القاهرة هى وشقيقتها فايقة.

واستمرت المحاكمات فى مصر وظل فاروق فى كل محاكمة الورقة الرابحة لكل من يريد دفع التهم عنه فكلما تزايدت الروايات المرعبة حول فاروق خفت العقوبة الموقعة على الواقف فى قفص الاتهام.. عباس حليم قال عن فاروق انه كان يعانى ضعفا فى رجولته بالرغم من كل ما كان يثيره من حوله من غزوات نسائية.. وكريم ثابت تحدث عن قبول فاروق رشاوى من اليهود.. وعلى ماهر وصف فاروق بانه شره لجمع المال.. د. النقيب تحدث عن رحلات فاروق الاوروبية التى كان يبحث خلالها عن اجمل ممرضات العالم كى يستقدمهن لحجرة الطوارئ بالطابق الاخير بمستشفى المواساة بالاسكندرية المخصص كاستراحة لفاروق.. وشهود تحدثوا عن فريق الاطباء العالميين الذى جلبهم فاروق لمستشفاه الخاص.

وقد استطاعت روما ان تعيد لفاروق حبه لحياة السهر والمرح لكن الوحدة هى الشئ الوحيد الذى كان يخافه فاروق ويخشاه وبعد رحيل ناريمان بدأ فاروق يظهر على صفحات صحف التابلويد بصحبة عارضات ازياء وممثلات وفتيات استعراض مثل جابرييل ويج عارضة الازياء البلجيكية ذات الشعر الاحمر التى تشبه اودرى هيبورن ومثل فتاة الاستعراض الدانماركية مارجريتا جورجنسون التى تشبه جريتا جاربو ومثل جوان روديس لكنهن جميعا كن من صاحبات الجمال المحترف وفاروق كان يميل اكثر الى البراءة والى الجمال البرئ.

لقد افتقد فاروق ناريمان لكنه لم يحاول استعادتها لانه عرف بعلاقة والدتها بقائد انقلاب مصر نجيب وبدأ فى محاولة استعادتها فى شخص ارما كابس كنيوتولو الجميلة ذات الستة عشر عاما التى رآها اثناء جلوسه

حول حمام سباحة فى كابرى.. لكن قبل أن يستقر فاروق على ارما لكى تكون ملكته الجديدة كان قد قابل عديدات فى نفس السن تقريباً.

التقى فاروق بالسويدية برجيتا ستتبرج - ١٨ عاما - فى احد المطاعم بروما وهى بصحبة صديقه تشارلز لوتشيانو فى صيف ١٩٥٣ عندما قدمت من السويد الى باريس وروما لاكتشاف اوروبا والحياة والحب وهى الرحلة التى سجلتها فى أول كتاب لها فى سلسلة كتب بلغت الثلاثين كتابا وجعلتها من اشهر الكاتبات فى السويد.

غادر فاروق وبرجيتا المطعم وسارا على قدميهما لمدة ساعة وهما يتحادثان فى شتى الامور بعدها عرض عليها فاروق ان يوصلها الى الفندق الذى تقيم فيه ثم اصطحبها الى حيث سيارتيه الكاديلاك اللتين لا يخترقهما الرصاص سيارة له والاخرى لحراسه الالبان وعند باب الفندق ودعها وداعا عاديا.

أخبر فاروق برجيتا انه يحبها لانها تذكره بناريمان فضحكت وسألته ألأننى عذراء مراهقة..؟ وضحك فاروق ايضا لكن كان من الواضح أن برجيتا كانت اكثر من الملك خبرة فيما يتصل بممارسات الحب ففى كتاباتها تقول: كنت أمارس الحب مع ملك كان يحكم عشرين مليوناً من البشر.. ذلك الرجل البدين اللطيف كان واحداً من رموز السلطة فى العالم.

عبر فاروق لبرجيتا عن كراهيته العميقة لوالدة ناريمان وأكد لها أن كراهيته لها كانت أشد من كراهيته للضباط الاحرار وكان يتحدث كثيرا معها وفى شئ من حزن عن ناريمان، وكان دائما يقارن بينهما، وأكثر ما كان يغضب فاروق من برجيتا هو كتابة يومياتها بصفة مستمرة ومتصلة حتى فى الأوقات التى كانا يختليان ببعضهما ويمارسان فيها الحب.

وبرجيتا مثلها مثل إرما كانت ذات طموحات موسيقية فى ذلك الوقت وكان على فاروق ان يرتب لها الحصول على دروس فى الموسيقى والغناء ثلاث مرات فى الاسبوع وكان عليه أن يدفع فاتورة حساب الفندق الذى تقيم فيه مع شابين أمريكيين وايضا فاتورة حساب دروس ركوب الخيل للثلاثة معاً.

وعندما اصبحت إرما عشيقة فاروق الرسمية.. بدأت علاقته تفتر ببرجيتا التى عادت الى السويد.. وانتقل فاروق من فيللا داسميت التى كانت

تكلفه خمسين الف دولار امريكى فى العام الى شقة فى حى فيا اوشيمدى لإقامته بعد ان استأجر فيللا كبيرة فى لوزان بسويسرا لاقامة اطفاله الأربعة بصحبة المربية آن تشير مسايد والمعلمة تابورت ورستم اكثر حراسه الالبانيين إخلاصاً.

واصطحب فاروق ارما لزيارة صديقته السابقة الاميرة هانى شيل فى القصر الذى تعيش فيه مع زوجها فى النمسا وكان فاروق على اتصال بباربارا سكيلتون التى وجه اليها دعوة للحضور الى روما ووجدت نفسها حبيسة المنزل الى جوار إرما بينما هو يقضى وقته فى كازينوهات فيا فينيتو مع صديقه القديم لوسين غالاس الذى تعرف عليه فاروق فى أول رحلة له باوروبا فى عام ١٩٣٨ واصبح سكرتيره الصحفى فى المنفى وأرسله فاروق لكى يتعرف على اخبار إرين جونيل التى استقرت فى روما بمفردها وعملت مصممة ديكور بعد ثلاث زيجات منذ ان تركت فاروق ومصر أثناء الحرب.

وأكثر من مرة قام فاروق بزيارة إرين بشقتها وكانت تقدم إليه عصير البرتقال ولا أكثر من ذلك والشئ الذى اندهش له فاروق هو ان إرين لم تكن تشعر بالحنين إلى مصر.

فى صيف ١٩٥٤ تركزت انظار العالم على فاروق عندما اقامت مصر مزادا عالميا فى قصر القبة لبيع مقتنيات القصر الملكى فى مصر، وهو المزاد الذى يشابه الى حد كبير ذلك المزاد الذى اقيم فى عام ١٦٥٣ لبيع مقتنيات قصر وايتهول فى لندن وايضا مزاد قصر فرساى فى عام ١٧٩٣ بعد قيام الثورة الفرنسية.. لكن المزاد جاء مخيبا لآمال نجيب وناصر اللذين كانا يتوقعان ملايين الجنيهات المصرية ثمنا لبيع مقتنيات القصر، فقد بلغ اجمالى البيع سبعمائة وخمسين الف جنيه مصرى.

ومع إغلاق مزاد ثوثبى فى قصر القبة قام جمال عبدالناصر باغلاق صفحة محمد نجيب من حكم مصر عندما دعا نجيب إلى إعادة الاحزاب المصرية الى المجتمع المصرى مثل حزب الوفد وغيره من الاحزاب السياسية الاخرى وهو الامر الذى اعتبره ناصر عودة جديدة للباشاوات السابقين.. ولم يمر وقت حتى وجد جمال عبدالناصر نفسه امام تحد جديد، عندما حاولت جماعة الاخوان المسلمين اغتياله وهو يلقى خطابا عاما على الشعب المصرى

لكن الرصاصات أخطأت ناصر الذى واصل حديثه على المنصة دون ان يهتز أو يجفل قائلا إنهم اذا قتلوا ناصر فهو واحد من بين كثيرين وسواء هو عاش أو مات فالثورة مستمرة.

وقد أدهشت شجاعة ناصر جماهير شعبه الذين أدانوا أعمال جماعة الإخوان المسلمين الإرهابية.. وكان أن نجح ناصر فى إسكات جماعة الاخوان، مثلما نجح من قبل فى الإطاحة بأسرة محمد على.. لقد أصبحت مصر عبدالناصر، واصبح قادرا على تحدى العالم.

منذ اللحظة الاولى، اضمر البريطانيون كراهية عميقة لجمال عبدالناصر، فوزير الخارجية البريطانى لم يقبل بتحييد عبدالناصر كما اقترح عليه مستشاروه واستشاط غضباً قائلاً لهم: أنا اريد تدميره ألا تفهمون..؟

أما الرئيس الامريكى أيزنهاور ووزير الخارجية دالاس فقد كانا فى البداية يشعران بميل تجاه الضابط الشاب الذى قام بالثورة كذلك كان كافرى السفير الامريكى وكرميت روزفلت من وكالة الاستخبارات الامريكية «سى. آى. أيه» اللذان اسعدهما كثيرا إعلان جمال عبدالناصر انه ضد الشيوعيين وهو كل ما يريد الامريكيون سماعه. لقد هاجم عبدالناصر فى إحدى خطبه الماركسية لانها لا تعنى ولاتهتم بالانسان الفرد فهل كان عبدالناصر يهاجم الشيوعية بسبب انها قد تجعل المصريين اكثر انتماء إلى مذهب أجنبى والى موسكو أكثر من انتمائهم إليه..؟

عندما تقابل دالاس ومحمد نجيب لاول مرة فى عام ١٩٥٣ قام وزير الخارجية الامريكى بإهداء نجيب مسدسا عيار ٣٨ من الفضة عليه نقش «إلى نجيب من الصديق دوايت دى إيزنهاور» وطوال السنوات الاولى للثورة المصرية كان ذلك المسدس هو قطعة السلاح الوحيدة التى زودت بها الولايات المتحدة مصر وكان ذلك موضع ضيق وألم لجمال عبدالناصر الذى لا يزال يستشعر عار هزيمة مصر فى حرب ١٩٤٨ مع إسرائيل بالاضافة إلى أن الهجوم الذى شنته إسرائيل عام ١٩٥٥ على الفلسطينيين فى قطاع غزة وعلى مركز القيادة العسكرية المصرية هناك قد بين للعالم مدى ضعف تسليح جيش ناصر ومصر.

ومع رفض امريكا تزويد مصر بالسلاح اتجه ناصر الى الشرق وعقد صفقة اسلحة سوفيتية قيمتها ٨٠ مليون دولار امريكى قام بشرائها من تشيكوسلوفاكيا وكان وقع المفاجأة على امريكا شديدا فجاء ردها الانتقامى بأن ألغت وعدها لمصر بتمويل مشروع السد العالى.

وكانت الخطوة التالية لجمال عبدالناصر هى تأميمه لقناة السويس التى يمكنه دخلها من بناء السد وقد تحدث ناصر فى خطابه إلى الشعب قائلا: ان قرار التأميم اذا اغضب القوى الامبريالية فيمكنها ان تموت بغيظها.. وكان أن تحالفت كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وأعدوا خطة لغزو مصر فى خريف ١٩٥٦.

أحس فاروق فى منفاه بروما باقتراب يوم عودته الى مصر.. فى مؤتمر صحفى فى عام ١٩٥٥ تنبأ فاروق بنهاية كابوس مصر المرعب والمزعج وان النهاية بلا شك آتيه فى القريب وقد وصف فاروق نظام حكم جمال عبدالناصر بانه ديكتاتورى قام بسجن ستين الفا من المعارضين السياسيين.. بالنسبة لفاروق كان الضباط الاحرار مستبدين صغاراً وكانت مصر دولة بوليسية وكان المصريون شعبا سجينا.. وأضاف فاروق فى المؤتمر الصحفى أنه إذا كان نظام حكمه قد اتسم ببعض العيوب الا انه على الاقل كان كل فرد فيه يشعر انه حر وفى أمان وان المحاكمات العادلة مكفولة أمام الجميع والسجناء كانوا لا يلقون التعذيب وانه بالرغم من التفرقة الطبقية وعدم المساواة فى نظام حكمه الملكى الا انه كان هناك عمل وخبز للجميع.. وأنهى فاروق مؤتمره الصحفى بتأكيد ان ناصر المتقلب الذى يستطيع ان يكون فى آن واحد ضد الشيوعيين ومع الانحياز ومؤيدا للروس سوف يذهب سريعا.

وأثناء أزمة قناة السويس، بعث فاروق برسائل سرية الى كل من إيدن وزير الخارجية البريطانية والرئيس الامريكى ايزنهاور والرئيس الفرنسى كوتى موضحا فيها اهتمامه المستمر بمصالح مصر العليا وبالمسار الخطر الذى تسير فيه بلاده وفى الرسائل اكد فاروق ضرورة ان تجد امريكا وبريطانيا وفرنسا حلا سلميا حتى لا يدفع الشعب المصرى ثمن أخطاء زعمائه.

بعد ان اتفقت الدول الثلاث بريطانيا وفرنسا واسرائيل على خطة الغزو قامت اسرائيل بأول خطوة فى الاتفاق بان غزت سيناء.. بعد ذلك وجهت

بريطانيا وفرنسا انذارا مشتركا الى كل من مصر واسرائيل بوقف القتال وسحب قواتهما بعيدا عن قناة السويس بعشرة اميال.. ولأن اسرائيل لم يكن لها قوات بالقرب من القناة فقد أبدت موافقتها أما ناصر فلم يقبل الانذار ثم فى ٣١ اكتوبر بدأ البريطانيون والفرنسيون فى شن هجوم بالطائرات المقاتلة ضد مصر وعطلوا الملاحة فى قناة السويس باغراق بعض السفن فى الممر الملاحى الامر الذى عرض اوروبا الغربية لخطر النقص فى امدادات النفط.



- هل وضعت ماريا جاتى السم للملك فى المطعم الفرنسى تنفيذاً لمؤامرة اغتياله من قبل المخابرات المصرية؟
- فاروق يرفض حق المواطنة بإمارة موناكو حتى لا يُمنع من ممارسة ألعاب القمار
- صلاح نصر أبلغ صديقته فى القاهرة: «فاروق سيموت الليلة فى روما»!
- فاروق يشعر بخيبة الأمل بعد زواج ابنته فادية من شاب مسيحى دون علمه

أظهر الرأى العام العالمى غضبه الشديد ضد المستعمرين القدامى الذين تحولوا إلى مستعمرين جدد.. وجعل دالاس - الذى كان يبغض أيدن بنفس قدر البغض الذى يحمله إيدن لناصر - أمريكا تلقى بثقلها كله ليس لصالح ناصر وإنما ضد بريطانيا لكى تحل أمريكا محل بريطانيا لتلعب دور «الرجل الأبيض الكبير» فى منطقة الشرق الأوسط.

كانت النتيجة فوزا كبيرا لناصر الذى أمم قناة السويس وكل الممتلكات البريطانية والفرنسية فى مصر، وأصبح بطلاً وطنياً كبيراً استطاع أن يخرج البريطانيين من مصر، وهو العمل البطولى الفذ الذى لم يستطع أى حاكم تحقيقه منذ محمد على وحتى فاروق.. وللمرة الأخيرة تكون بريطانيا بعد تركها قناة السويس قد خذلت فاروق وأصبح السيناريو الذى تصوره من تدمير ناصر إلى عودة الملكية كقوة استقرار فى الشرق الأوسط حلماً من أحلام اليقظة. كما أن أى آمال عقدها فاروق على عودته إلى مصر مرة أخرى كملك أو حتى كسائح انهارت تماماً.

وبدأت هالات الضوء تنحسر عن فاروق، وشيئاً فشيئاً كانت ستائر النسيان تلقى بظلالها على شخصيته.. عندما توجه فاروق إلى كازينو من الكازينوهات الفاخرة التى كانت رهن إشارته تفتح أبوابها له فى أى وقت من أوقات النهار والليل، منعوا دخوله بسبب ارتدائه ملابس لا تناسب ملابس السهرة.. وفى عام ١٩٥٦ عندما ذهب لحضور حفل زفاف جريس كيلى إلى صديقه رينيه أمير موناكو، لم يلق الترحيب والاحترام اللائق.

قام فاروق ببيع يخته فخر البحار الذى كان فى إيطاليا لإجراء بعض عمليات الصيانة له أثناء قيام الثورة، واضطر إلى البحث عن وظيفة فى مجال العلاقات العامة فى إحدى الشركات الصناعية الكبيرة.

فى عام ١٩٥٩ منح أمير موناكو الأمير رينيه فاروق حق المواطنة فى الإمارة وجواز سفر، لكن فاروق اكتشف أن ذلك لا يمنحه حق ممارسة ألعاب القمار فى كازينوهات الإمارة إلا فى حالات استثنائية، ففضل البقاء فى روما، ولم يزر موناكو إلا مرات قليلة، فلم يكن يخته فخر البحار فى موضعه بين يخت أوناسيس «كريستينا»، ويخت الأمير رينيه «كوستاديل سول»، لقد تحول فخر البحار بعد أن باعه فاروق إلى ملهى ليلى على شاطئ ريمينى فى الساحل الادرياتيكى الإيطالى.

كان فاروق قد دخل فى مفاوضات صفقة بينه وبين أوناسيس فى عام ١٩٥٥، بشأن شراء فاروق لكازينو فى مونت كارلو، لكن فاروق انسحب من المفاوضات عندما أخبره بيترو ديللا فاللى مصفف الشعر الخاص بفاروق الذى هرب من مصر لكى يظل إلى جوار الملك السابق - إن أوناسيس قد أساء إلى فاروق بكلمات باليونانية اعتقد أوناسيس أنه لا أحد من الموجودين يفهمها، ولم يندم فاروق أبداً على انسحابه من تلك الصفقة لأنه كان يعرف عن نفسه الإيمان بالقدر، وأن عليه أن يقبل أوقات الشدة مثلما يقبل أوقات الفرج.

كان فاروق يقضى أيامه بصحبة إرما التى كان يتركها فى شقتها، ليذهب بمفرده إلى النوادى الليلية لكى يجلس إلى موائد القمار حتى الساعات الأولى من الصباح، كما كان يسافر إلى سويسرا مرة كل شهرين ليزور أطفاله ولكى يجرى بعض الفحوصات الطبية بعد أن زاد وزنه كثيراً.

ابنة فاروق الكبرى فريال التى ودت أن تصبح طبيبة والتى رشحها على ماهر لتكون زوجة للملك حسين، التحقت بكلية لأعمال السكرتارية بالقرب من منزلهم فى لوزان، وكان فاروق اصطحبها معه إلى عدة حفلات زفاف ملكية فى أوروبا على أمل أن يجد لها الزوج المناسب.

أما الأميرة السابقة فوزية فتولت مسئولية شقيقتها الصغرى فادية، والملك السابق فؤاد.. وقد صاحب فاروق ابنه فى أول يوم دراسى بالمدرسة، وجلس فى نهاية الفصل الدراسى، وبقية الطلبة كانوا يعتقدون أنه واحد من أعضاء هيئة التدريس، فحيوه جميعاً برفع غطاء الرأس قائلين: صباح الخير ياسيدى.

فى عام ١٩٥٥، وافق فاروق على السماح لناريمان بزيارة ابنها للمرة الأولى منذ غادرته قبل عامين، على شرط ألا تكون معها والدتها.. ولم يتعرف فؤاد على والدته ناريمان عندما قدمت له دراجة حمراء بنفس لون سيارات والده بالقصر ودمية، وبعد لحظات عانقته ناريمان وعانقها، عندما أخبرت المربية «تشير مسايد» فؤاد الصغير بأنها أمه، وكان معهم طوال الزيارة التى استمرت ساعة ونصف الساعة الحارس الألبانى رستم.

لم تر ناريمان ابنها فؤاد إلا مرة واحدة أخرى فى حياة فاروق، فبعد فشل زواجها الثانى، سافرت ناريمان بصحبة أمها إلى بيروت بعد تزايد حملات الهجوم فى مصر على عناصر المجتمع القديم، وكانت أسرة صادق من بين هذه العناصر.

وفى بيروت عملت ناريمان بالرسم والتصوير، كذلك انتقلت فريدة إلى بيروت فى أثناء تلك الفترة وعملت أيضاً بالرسم والتصوير، لكنهما لم يلتقيا.

وبناء على طلب فريال أصغر بنات فاروق، وجه فاروق الدعوة إلى فريدة لزيارة بناتها مرة واحدة فى العام ابتداء من عام ١٩٥٦، وحضرت الملكة السابقة فريدة إلى لوزان بسويسرا، ورفضت عرض فاروق للإقامة فى المقر السويسرى، وحجزت لنفسها حجرة فى فندق صغير، وبدا أن السنوات لم تهدئ من غضب فريدة تجاه الرجل الذى منحها لقب ملكة.

فى ٢٣ مارس ١٩٥٣ نشرت الصحف فى القاهرة وباريس عن زواج فريدة من وحيد يسرى الشخص الذى دارت الشكوك حول العلاقة التى ربطت بينه وبين فريدة، لكن فريدة أنكرت صحة هذه الأخبار، وفى عام ١٩٥٨ عندما وجه أحد الصحفيين إليها سؤالاً حول ما إذا كانت ستفكر فى الزواج مرة أخرى، أجابت فريدة «ماذا؟.. بعد زواجى من فاروق؟.. أبداً».

إرما، هى المرأة التى اعتقد الكثيرون أنها المرشحة للزواج من فاروق، الذى شجعها على الاستمرار فى مجال الغناء والأوبرا بدروس الغناء التى رتبها لها، وتنظيمه لحفلات تشارك فيها بالغناء فى روما ونابولى، وبتشجيعه الدائم لها. لكن مع كل حبه لروما، ومع كل النساء اللاتى يعرفهن فاروق، فليس هناك ملكة ثالثة.

تحدث سكرتير فاروق الصحفى لوسين جالاس لأحد الصحفيين الانجليز

قائلاً «فاروق لن يتزوج مرة أخرى».. وتابع الصحفى الانجليزى أسئلته له قائلاً «هل فاروق يشعر بالسعادة؟»، وأجابه جالاس «كيف يمكن للملك مخلوع أن يشعر بالسعادة؟»، وأسرع جالاس بالانصراف لكى يلحق فاروق وإرما وحارسه الألبانى وهم يستقلون السيارة الرولزرويس بالعلم المصرى الذى يرفرف من أعلى هوائى السيارة، متوجهين إلى آخر ناد ليلى ينهون به سهرة الليلة.

كان الليل هو كل ما تبقى لفاروق.. عندما كان فاروق ملكاً على مصر، كان يخرج فى الليل لكى ينسى هموم الحكم ولامبسون والنحاس، لكن فاروق فى منفاه الإيطالى كان يخرج فى الليل لكى يتذكر، إلى أن أدرك أخيراً أن تلك الذكريات العظيمة قد ولت ولن تعود، وأن الشىء الوحيد الباقى هو مذاق عصير البرتقال الذى اختلط فى فمه بمرارة لا تزول.

لكن فاروق، وبالرغم من مذاق المرارة فى فمه، فقد كان دائم الابتسام، ولم يبد عليه ما يثير شفقة أحد عليه.. لقد بكى فاروق مرة عندما تذكر كورنيش الإسكندرية الذى كان يعشقه وهو يقود السيارة وإلى جانبه إرما، وبكى فاروق مرة أخرى عندما كان بصحبة ابنته فى إحدى حفلات الزفاف الملكية الأوروبية، عندما لم يتلق الاحترام والترحيب الذى يليق به كملك.. لكن فاروق بعد إدراكه أن الماضى لن يعود، توقف عن البكاء، وامتنع عن الحديث عن الماضى. ففى إحدى جلساته إلى موائد القمار، تحدث إلى رفيق اللعب قائلاً «طوال حياتى لم أدع الحزن يقترب منى هو فقط يقترب منى وأنا على مائدة اللعب».

فى عام ١٩٦٥، كان فاروق فى الخامسة والأربعين من عمره، لكنه كان أشبه برجل عجوز.. فى ذلك الوقت كان الرجل الوحيد الذى يحظى باهتمام العالم هو الفيس بريسلى، وبعد ذلك أطاح بعرشه أربعة من الثوار فى مجال الغناء.

فى ذلك الوقت كان العالم أقل إمتاعاً وبهجة عما كان من قبل، لذلك بدأ الشباب فى إيطاليا وأوروبا وأمريكا فى البحث عن عوالم أكثر بهجة، فاكتشفوا المخدرات.

فالأمير دادو راسبولى، أحد أعمدة دولتشى فيتا ألقت قوات الشرطة

الإيطالية القبض عليه لحيازته نصف كيلو جرام من الحشيش.. ولقى الرئيس الأمريكى جون كيندى مصرعه برصاصات صوبها عليه لى ازوالد. وكان كيندى أكبر من فاروق بثلاث سنوات.. ولقى مالكولم إكس، وهو فى الأربعين من عمره مصرعه بطلقات الأعيرة النارية فى نيويورك. وقامت أمريكا بإلقاء قنابلها فى فيتنام.

خلال كل تلك الأحداث، كان الملك فاروق دائم الجلوس فى مقهى باريس فى منطقة فيافينيتو، فى سكون وثبات واستمرارية، بالرغم من كل التغير والتحول من حوله.. ولم يعد ليل روما رهن إشارة فاروق كما كان من قبل.

ولم تعد روما فى الستينيات مثلما كانت فى الخمسينيات المزدهرة، كذلك لم تعد القاهرة مثلما كانت من قبل، فقد تحولت مصر من باريس الشرق الأوسط إلى موسكو على النيل، وجمال عبدالناصر فى محاولته الاستحواذ على السلطة المطلقة، بدأ أكثر شبهاً بجوزيف ستالين عن جورج واشنطن.

بعد تأميم قناة السويس، وبعد إخراج الانجليز من مصر، وجد العالم العربى فى عبدالناصر محررهم.. عبدالناصر الذى كان يحصل على مساعدات بالبلايين من الاتحاد السوفييتى، ويعادى فى الوقت نفسه الشيوعية، كان يسعى لتوحيد الدول العربية، ولأن صورته كانت تعلقها جماهير الشعوب العربية فى المقاهى وعند مصففى الشعر فى كل دولة عربية من المغرب إلى الكويت، فقد كان من الواضح أن أمام عبدالناصر فرصة حقيقية لتحقيق هذا الاتحاد.

وفى عام ١٩٦٢، اشتعلت الحرب الأهلية فى اليمن، عندما قام بعض ضباط الجيش اليمنى باحتذاء النموذج الثورى فى المنطقة وبالثورة على حاكم اليمن، الإمام بدر، وأعلنوا اليمن جمهورية، لكن الإمام حاربهم بقوة، مما اضطر ضباط الجيش فى اليمن إلى الاستعانة بقوات مصرية يرسلها لهم ناصر.. واستمرت حرب اليمن سبع سنوات خسرت فيها مصر الأموال والجنود، وبسبب خطبة لناصر هاجم فيها الشيوعيين لصالح فكرة القومية العربية، حدث خلاف بين عبدالناصر وخروتشوف رئيس الاتحاد السوفييتى، وعلى الجبهة العربية فى غرب أفريقيا قام الرئيس التونسى بورقيبة بإلغاء عضوية بلاده فى جامعة الدول العربية لسيطرة ناصر عليها، وأيضاً تسبب

تحالف عبدالناصر مع بن بيللا زعيم الجزائر اليسارى فى غضب المغرب من ناصر.

عندما استشعر ناصر عدم قدرته على التحكم فى مجريات الأمور فى الشرق الأوسط، تحول إلى مكان آخر يمكنه الإمساك بمقاليد الأمور فيه، وهو مصر التى قطعت شوطاً فى طريق الاشتراكية، بعد تأميمها للبنوك وشركات حلج القطن، وشركات التأمين، وما يقرب من ثلاثمائة مصنع من المصانع الكبيرة، كما حدد ناصر الحد الأقصى لملكية الأراضى الزراعية بمائة فدان، وكون لجنة لتصفية الأقطاع.

فى فبراير من عام ١٩٦٥، فاجأت فاروق ابنته الصغرى فادية «٢١ عاماً» بزواجها فى لندن من شاب روسى متخصص فى الجيولوجيا، طويل أشقر وأزرق العينين مسيحى أرثوذكسى يسمى بيير أورلوف «٢٤ عاماً»، كانت قد التقت به فى مدرسة اللغات الأجنبية التى كانت تدرس فيها، وكانت أمه إحدى مدرسات فادية، وفوزية شقيقتها الكبرى، التى حصلت على دبلوم فى الترجمة الفورية من مدرسة بجنيف.

أحزن فاروق أن تتزوج ابنته الصغرى من زوج ليس مسلماً ودون أن تعلم والدها بقرارها، لكن فاروق كان قد اعتاد خيبة الأمل والأحزان، ولم يعد أمامه غير أن ينسى أحزانه مع إرما، وسونيا رومانوف «٢٢ عاماً» الممثلة اليوغسلافية الشقراء، وآنا ماريا جاتى «٢٢ عاماً» مصففة الشعر الإيطالية، التى اصطحبها إلى عشاء متأخر فى مطعم فرنسا بعد أن قضى جزءاً من مساء نفس اليوم مع أرما.

وحول أحداث تلك الليلة صدر فى القاهرة كتاب بعنوان «شاهد على انحرافات صلاح نصر» لاعتماد خورشيد تقول فيه إن صلاح نصر مدير المخابرات المصرية فى ذلك الوقت كان فى منزلها تلك الليلة، وطلب منها ألا تشغل التليفون لأنه كان ينتظر محادثة تليفونية خارجية، وبعد طول انتظار وتوتر كان يقطعه صلاح نصر باحتساء المشروبات الروحية، أخبرها: «فاروق سيموت هذه الليلة».

فى مطعم فرنسا، وبجانبه آنا ماريا جاتى، تناول فاروق عشاءه المتخم بكل أصناف الطعام والشراب ثم أشعل سيجار هافانا الضخم، بعدها لفظ أنفاسه الأخيرة.

تقول اعتماد خورشيد فى كتابها إن جرس التليفون أعلن عن المحادثة التليفونية الخارجية المرتقبة ومنها علم صلاح نصر بنجاح العملية وبموت فاروق، وطلب من اعتماد كأساً من الشراب احتفالاً بنجاحه فى المهمة التى لم تكن سهلة، وأضافت اعتماد أيضاً أن محادثة أخرى من إبراهيم بغدادى مساعد صلاح نصر وواضع خطة القتل أكد نجاح العملية، وبعدها اتصل صلاح نصر بالمشير عبدالحكيم عامر لكى يزف له الخبر.. وتؤكد اعتماد أن جمال عبدالناصر كان آخر من علم باغتيال فاروق.

بعد هزيمة ١٩٦٧، ألقى جمال عبدالناصر القبض على المشير عبدالحكيم عامر أقرب أصدقائه إليه، الذى قيل إنه انتحر بابتلاع حبوب السيانيد السامة، وشائعات اتهمت صلاح نصر بوضع السم له فى السجن وذلك قبل أن يدخل عبدالناصر صلاح نصر السجن لقيامه بعمليات تعذيب داخل السجون المصرية، وبابتزاز النساء واتهامات أخرى كثيرة منها وضع السم لعبدالحكيم عامر ولأنور المفتى طبيب عبدالناصر الخاص.. وفى عام ١٩٦٨ عوقب صلاح نصر بالسجن مدى الحياة، لكن أنور السادات أصدر أمراً بالعفو عنه فى عام ١٩٧٤.

فؤاد فى الثالثة عشرة من عمره. عندما تلقى هو وأخواته البنات خبر وفاة والدهم المفاجئ من المحامى كارلو إيميليو، وكان وقع المفاجأة عليهم شديداً حتى أنهم لم يفكروا أن فى الأمر مؤامرة اغتيال.. ارتدى فؤاد الذى كان مريضاً بالانفلونزا بدلة الحداد السوداء واصطحب أخواته البنات وسافروا من لوزان إلى روما.. ووقعوا على وثيقة التنازل عن تشريح الجثة لمعرفة أسباب الوفاة، وقد تم غسل جسد فاروق ولفه بقماش أبيض طبقاً للعرف الإسلامى ثم غطى جسده بالعلم المصرى الذى كان فاروق قد أخذه معه عندما غادر مصر إلى المنفى.

وتم وضع جسد فاروق فى التابوت المصنوع من خشب الجوز، وفى مصلى صغير أقام إمام روما الصلاة على روح فاروق، والتى حضرها أطفاله، وفريدة التى قدمت من بيروت، وإرما كابيس مينوتولو، التى كانت تعتبر واحدة من الأسرة.. وتقدم فؤاد الصغير ابن المتوفى موكب الجنازة المكون من بضعة مئات معظمهم من الذين يعملون فى أعمال الخدمة بالحانات والبارات

والكازينوهات، وكان يعطف عليهم فاروق، يسيرون خلف عربة الموتى السوداء التى تحمل النعش المكسو بالعلم المصرى، وقد سار الموكب الجنائزى فى شوارع روما فى اتجاه مقابر البلدية لدفن رفات فاروق لفترة مؤقتة، خلالها كان محامى فاروق إيميليو يجرى اتصالاته للبحث عن مثوى مناسب لفاروق.

وفى ٢٧ مارس انتقل بالطائرة النعش الخشبى الذى يحمل رفات فاروق، ووصل القاهرة فى منتصف الليل، وكان فى استقبال الجثمان بمطار القاهرة شقيقتا فاروق فوزية وفايقة وأزواجهما إسماعيل شيرين وفؤاد صادق، وقامت عربة حربية بحمل الجثمان، تبعتها مجموعات سيارات تقل عائلة فاروق، وقد رأى ناصر أن يتم دفن فاروق فى مقبرة إبراهيم باشا، ابن محمد على، الذى حكم مصر لعدة شهور قبل موته بمرض السل، وكان على فاروق الذى قضى حياته فى القصور، أن يوارى التراب فى مقبرة تحوطها بيوت فقيرة مزدحمة بالفقراء، الذين لم يجدوا مكاناً يعيشون فيه فى مدينة الأحياء، فأقاموا فى مدينة الموتى.

فى الثانية صباحاً، وتحت أضواء لمبات الجاز، وبحضور شقيقتى فاروق وزوجيهما، ولا أحد غيرهم سوى بعض رجال صلاح نصر مدير المخابرات المصرية المنتظرين فى الخارج، أقام شيخ معمم مراسم الدفن وقرأ بعض الآيات القرآنية.. وفتح حفار القبور ضريح إبراهيم باشا وأخرج جسد فاروق من النعش الخشبى وواراه تراب القبر موجهاً رأس الجسد المسبحى صوب مكة.. لكن بعد سنوات سمح أنور السادات بنقل رفات فاروق ودفنها فى مسجد الرفاعى.

وفى اللحظة التى أنهى فيها حفار القبور عمله، وختم الشيخ تلاوته لآيات من القرآن خرج كل من فوزية وفايقة وإسماعيل شيرين وفؤاد صادق، المرتدين ملابس الحداد السوداء إلى حيث صمت صحراء ليل القاهرة.



● الموت يخطف الملك وشقيقاته وبناته والمصادرة تطول جميع أملاك العائلة المالكة

● فتحية تموت برصاصة فى رأسها ونازلى تدفن فى كنيسة وفريدة تعالج بالقاهرة حتى وفاتها وانتهت حياة الملك اللاهية فى المقابر الجماعية بالقاهرة

● بنات فاروق يتعمدن عدم نشر مذكرات والدتهن فريدة بإشعال النيران فيها

مازال الأمير حسن ، أحد أفراد سلالة محمد على يعيش فى القاهرة، حيث الارض التى كان يملكها اجداده ويعد حسن أحد ضحايا عبد الناصر، فبعد ان كان يعيش فى القصور وجد نفسه يعيش براتب اسبوعى قدره تسعة وعشرون جنيها مصريا ومن ثم كان عليه الاقتراب من حياة الفلاحين المصريين الذين يقول عنهم «انهم ارستقراطيون حقيقيون واكثر رجال الارض دماثة خلق».. لم يغادر الامير حسن مصر، الا بعد موت جمال عبدالناصر فى عام ١٩٧٠ متوجها الى فرنسا حيث مكث فيها لعام واحد فقط، ثم عاد مرة أخرى إلى مصر.

كان حسن مولعا بابن عمه فاروق.. ويقول عنه «كان محبوباً، وكان يأسر من يجلس اليه بحديثه الجذاب الجميل كما انه لم يكن أحمق على الاطلاق وكانت مقتنياته فى مجال الجيولوجيا وعلم الاحياء اكثر اهمية وقيمة من مقتنياته فى مجال البورنوجرافيا حيث الصور والافلام الاباحية التى تم التركيز عليها بشكل مبالغ فيه».

تحدث حسن عن رغبة الملك فؤاد والد فاروق فى تزويج فاروق واحدة من شقيقات حسن الجميلات الشقراوات لكن بعد وفاته بدأت نازلى فى رفع اسماء عائلة حسن من قائمة المدعوين لحضور الاحتفالات بقصر عابدين لان نازلى لم تكن تهتم كثيرا بصلات القربى قدر اهتمامها بفرض سيطرتها على فاروق وعلى من تختارها له ليتزوج منها.

القى حسن باللوم الشديد على نازلى فى الصفات غير الطيبة التى اتصفت بها مثل حبها للمال.

يصف الامير حسن المؤرخ غير الرسمى لسلالته صناعة الارستقراطية التركية بان الفتيات الشركسيات الجميلات كن يؤثرن عبوديتهن لافراد من

عائلة السلطان العثمانى، على طموحهن فى الانتساب اليها عن طريق الزواج لان النخبة التركية كانت - على حد قول الامير حسن - تتزوج من اجل الجمال والحب فقط ومن ثم فان المحظوظات منهن يكررن قصة سندريللا التى فيها تصبح الخادمة اميرة.

تضاءلت مكانة فاروق فى التاريخ المصرى واصبحت مجرد حاشية غير ذات اهمية فى كتاب.. فاذا سأل المرء فى مصر عن فاروق فسوف تضع نفسك فى موضع شك.. لقد اصبحت قصور فاروق مقار للوحدات العسكرية والقليل منها اصبح اماكن للنفع العام.

قصر عابدين من الخارج اثر قديم بالغ الضخامة يلفه الغبار ولا شئ هناك فى الميدان غير اعلان يتألق تحت الشمس مرسوم عليه تاج كوكاكولا الملكى وبيوت مزدوجة فقيرة تطل على حدائق قاحلة هزيلة.. وقصر القبة لا يمكن النفاذ اليه بأسواره العالية التى تطوقه.. وقصر شبرا بمقصورته فى الهواء الطلق ونوافيره فقد بهاءه القديم فى مكانه باحدى الزوايا المهملة من ارض قاحلة تتبع كلية زراعة جامعة عين شمس ولا أثر هناك للحديقة الغناء التى كان يجلس فيها محمد على مستلقيا على اريكته ينظر الى حريمه وهن يسبحن امامه.. وكذا استراحة فاروق بالهرم التى تحولت الى قسم شرطة اثار الجيزة.

فيكتور سميكة قبطى فى الثمانينيات من عمره، قسم وقته بين منزله الانجليزى فى باكنجهام شاير وبين شقته الفاخرة فى حى جاردن سيتى بالقاهرة رغم دخول سميكة السجن مرة على يد ناصر، الا انه لم يتخيل ابداً ان يهجر مدينة القاهرة تلك المدينة التى ارتبطت بها عائلته على مدى الاجيال المتعاقبة بمساهمات رجالها فى المؤسسات الاجتماعية والخيرية بالاضافة إلى تأسيسهم المتحف القبطى فى القاهرة.

كان سميكة قريبا الى فاروق والى مجالسه التى كانت تحفل بالنساء الجميلات... يتحدث سميكة عن عشيقات فاروق ويقول: «ارين جونل كانت جميلة جدا وتملك قدرا هائلا من الجاذبية بالاضافة إلى شئ من ثقافة ورجاحة عقل وباربارا سكيلتون كانت امرأة حقيقية».

ويقارن سميكة بين فاطمة طوسون وبين ارين جونل فيقول: «كانت فاطمة

جميلة وممتلئة لكنها تفتقد الحيوية، أما أرين جونل فهى جميلة ورشيقة ومتحدثة لبقة، وملفتة للنظر».

تحدث سميكة عن نازلى وعن المعارك التى نشبت بين فاروق وفريدة وعن انتونيو بولى الذى كان يحبه فاروق اكثر من أى شخص آخر فى حاشيته وعن كريم ثابت المتملق الذليل لفاروق كما اظهر سميكة اعجابه بفايزة شقيقة فاروق التى تعيش فى لوس انجلوس قائلا «كانت من اكثر النساء جاذبية وفتنة، لكنها دائما كانت قلقة تشعر بعدم الامان يسيطر عليها»

وعن كبرى الشقيقات فوزية التى تعيش حياة هادئة فى الاسكندرية مع زوجها اسماعيل شيرين قال سميكة «التقيت بها فى حفل غداء فى بودابست، كانت جميلة وانيقة وكانت ترتدى عقدا من الزمرد ينسجم مع لون عينيها الخضراوين وكان جلوسى الى جوارها وطوال حديثى معها لم احصل منها الا على كلمتى نعم ولا».

فى القاهرة هناك فريقان فريق يناصر فريدة والآخر يناصر فاروق وكل من الفريقين له طريقته فى التفكير التى تصل به الى ان أحدهما كان ضحية للآخر.. المتعاطفون مع فاروق يرون ان فريدة خائنة وحطمت قلب فاروق بعلاقتها مع رجل من أقاربه، وانها تآمرت مع الضباط الاحرار للاطاحة بفاروق حتى تحصل على موقع متميز فى المجتمع الجديد بالاضافة الى سخرياتهم منها لإصرارها على ان يخاطبها كل شخص حتى أمها بلقب «جلالتك» ولثورتها الشديدة على السفير الفرنسى عندما رفض اصدار جواز سفر لها باسم «الملكة فريدة ملكة مصر» وقبلت الحكومة اللبنانية شرطها واصدرت لها جواز سفر وايضا سخروا من فريدة لانها كانت ترتدى تاجاً ملكياً مطعماً بالمجوهرات الزائفة بعد مصادرة مصر تاجها الحقيقى.

المؤيدون لفريدة يهاجمون فاروق لانغماسه الشديد فى الملذات واللهو فى الوقت الذى يطلب من فريدة ان تتصرف كقديسة ويسخرون من ادعائه التدين، ففى الوقت الذى لا يحتسى فيه الكحوليات كان يسوغ لنفسه اقتراف جريمة الزنا مع النساء اللاتى كان يجلبهن اليه انتونيو بولى.

لكن كلا من المعسكرين معسكر فاروق ومعسكر فريدة اتفقا على كراهية الملكة نازلى لعلاقاتها المحرمة وغير الشرعية وعلى كراهية الاميرة شفيقة

ايضا لرغبتها الشريرة فى تحطيم منزل فؤاد الذى طردت منه باثارة المشاكل داخل الاسرة باستخدام سلاح الغواية والتحريض على الخيانة.

فى ١٠ ديسمبر ١٩٧٦ اداررفيق غالى (٢١ عاما) الذى يقيم بمفرده قرص التلفون لكى يحادث امه الاميرة السابقة فتحية (٤٥ عاما) التى انفصلت عن رياض غالى (٥٦ عاما) وتعمل فى اعمال تنظيف المكاتب وعندما لم يتلق رداً سارع بالذهاب الى شقتها وهناك وجدها ملقاة على الارض وسط بركة من الدماء ورصاصة فى رأسها وكان الى جوارهارياض غالى غائبا عن الوعى والدماء تنزف من رأسه وكان المسدس فى يد رياض غالى.

فى ابريل ١٩٧٨ عوقب رياض غالى بالحبس لمدة سنة لاتهامه بقتل الاميرة السابقة فتحية وفى يونيو ١٩٧٨ توفيت نازلى وهى فى الثالثة والثمانين من عمرها ولما كانت نازلى وابنتها فتحية قد ارتدتا عن دين الاسلام الى المسيحية الكاثوليكية فقد تم دفن نازلى فى كنيسة الراعى الصالح فى بيفرلى هيلز وكانت نهاية غريبة لملكة النيل.

فى عام ١٩٨٣ توفيت بالقاهرة شقيقة فاروق فايقة وهى فى الخامسة والخمسين من عمرها بعد مرض طويل وقد عاشت مع زوجها فؤاد صادق حياة هادئة فى الاسكندرية مثل شقيقتها فوزية وزوجها اسماعيل شيرين.

اما فايزة الشقيقة الرابعة لفاروق بعد أن مكثت فى باريس لفترة بعد الثورة انفصلت عن زوجها رؤوف وانضمت الى نازلى وفتحية فى لوس انجلوس لكنها رفضت العيش بمفردها وفى مدينة ممتلئة بأميرات من صناعة انفسهن وقررت ألا تتحدث عن عائلتها وهناك كان عليها ان تنسى أية ذكريات جميلة.

بنات فاروق مازلن فى سويسرا الاميرة فادية أولهن التى تزوجت ضد رغبة والدها من الجيولوجى الروسى سيرج اورلوف.. وبعد عام من وفاة والدها تزوجت فريال اكبر بنات فاروق من جان بيير بيرتين سويسرى مطلق وأب لفتاة فى الثامنة عشرة من عمرها ويدير فندقا فى جستاد وكانت فريال فى ذلك الوقت تعمل فى مدرسة اختزال فى مدرسة للسكرتارية فى لوزان وتتحدث ست لغات وقد تحدثت فريال فى وقت لاحق لاحد الصحفيين بقولها « كل ما أريده هو ان أعيش حياة اسرية هادئة فى سويسرا».. والابنة الثالثة لفاروق فوزية تعيش فى سويسرا ولم تتزوج.

غادرت فريدة مصر فى عام ١٩٦٣ الى بيروت وكانت تعمل بالرسم والتصوير هناك.. ثم انتقلت الى باريس فى عام ١٩٦٧ وخلال عهد السادات قسمت فريدة وقتها بين باريس والقاهرة وكان أن أمر الرئيس السادات بمنح فريدة معاشا وشقة لتعويضها عن مصادرة منزلها بالقرب من الاهرامات.

وكانت أفضل صديقه لفريدة فى باريس هى الاميرة بيرز كاندوروف رسامة انجليزية ومؤلفة كتب وتعيش هى وزوجها الامير ديمترى فى منزل يرجع تاريخه إلى اربعمائة عام بالقرب من حى بيجال وقد التقتا الملكة والاميرة لاول مرة فى حفلة كوكتيل عام ١٩٨٠ ومنذ ذلك الوقت وهما اصدقاء يجمع بينهما حب الفن واللقب الرفيع.

وفى منتصف الثمانينات عندما اصيبت فريدة بمرض اللوكيميا أملت بعض مذكراتها للاميرة بيرز.. ومن بين ما صرحت به فريدة ان فاروق مات بالسم وانه ضحية مخابرات ناصر وكانت تعتقد ان السبب وراء موت فاروق يتعلق بالمال وليس بالسياسة ففريدة كانت مقتنعة بان فاروق يملك ثروة مخبأة فى بنوك سويسرا ولا أحد فى عائلة فاروق حصل منها على شئ ولم تكن متأكدة ان احدا فى نظام ناصر قد اكتشف هذه الثروة وحصل عليها. وفى عام ١٩٨٨ رأت زوجة الرئيس المصرى مبارك ان تعود فريدة لكى تتلقى علاجها فى مصر فقد كانت فريدة تعانى من تزايد نسبة عدد كرات الدم البيضاء فى الدم وعلاجها يتطلب نقل دم ولان فريدة كانت متخوفة من عواقب نقل الدم ومن اصابتها بعدوى مرض الايدز فقد رفضت فى البداية لكنها قبلت العرض فى النهاية وبالفعل كان الدم الذى نقل الى فريدة ملوثا بجرثومة مرض التهاب الكبد الوبائى وبعد مرور اربعة اشهر فقط ماتت فريدة ودفنت فى القاهرة.

قضت فريدة آخر أيامها مع أمها زينب ذو الفقار التى كانت فى التسعينات من عمرها وكانت تنادى على فريدة باسمها الذى كانت تسميها به فى طفولتها «فيفيت» الامر الذى كان يغضب فريدة التى تريد من كل شخص حتى امها ان تناديها باللقب الملكى «جلالتك».. لكن والدتها كانت تضحك منها وتصر على فيفيت.. فقط فى صباح آخر يوم فى حياة فريدة نادت عليها أمها بلقبها المفضل «جلالة الملكة».. وبعد موتها كانت تسير السيدة

زينب ذو الفقار فى حجرتها وهى تنادى عليها «فريدة، فريدة أين الملكة؟» وبعد عامين من وفاة فريدة توفيت والدتها زينب ذو الفقار.

بعد وفاة فريدة، طلبت ابنتها فادية من صديقة والدتها بيرز أن تسلمها مذكرات فريدة التى أملتها عليها قبل وفاتها لكن بناتها الثلاث اللاتى لم تكن تراهن فريدة غير مرات قليلة فى العام قررن عدم نشر المذكرات وقمن باشعال النار فيها.

بعد موت فاروق اصبحت فريدة صديقة لفؤاد ابنه الذى التقت به لاول مرة فى موكب جنازة فاروق فى روما وعندما كان فؤاد بصدد الشروع فى الزواج من زميلة فصله الدراسى اليهودية دومينيك فرانس بيكارد اصرت فريدة على ان تلتقى اولا بدومينيك لتراها وتتحدث اليها قبل ان يعرض فؤاد عليها الزواج لكن دومينيك رفضت ان تضع نفسها فى موقف الامتحان بالرغم من كل محاولات فريدة.. وبعد زواج فؤاد من دومينيك التى اصبح اسمها بعد الزواج الاميرة فضيلة، اصبحت هى وفريدة صديقتين.

أقرت فريدة لفضيلة بان معظم الاخطاء التى ارتكبتها فى حياتها الزوجية كان سببها انها تزوجت من فاروق - وهو الزواج الذى رتبته نازلى وهى فى سن صغيرة جدا.. واخبرتها ايضا كيف انها كانت تقذف زهريات الورد التى أحضرها لها فاروق اذا لم يعجبها لونها او طرازها وكانت تقذف بعقد المجوهرات هدية فاروق من نافذة القصر إلى الحديقة اذا لم يرق لها... وقد استفادت فضيلة من اخطاء فريدة فى علاقتها الزوجية مع فؤاد.

ونجحت فضيلة فى ان تجمع بين فريدة وناريمان بعد ان وجهت الدعوة لكل منهما لمشاركتها الغداء فى شقتها الفاخرة بشارع افينيو فوتش بباريس وامام جهاز التليفزيون تحادثن.. واستمرت لقاءات الملكتين بعد ذلك.

فى عام ١٩٩٠ كانت ناريمان فى السادسة والاربعين من عمرها وتعيش فى مصر بعد قضائها عدة سنوات فى بيروت وهى ايضا كانت تعانى من حالات نزيف بالمخ منذ الثمانينات.. ايضا عانت ناريمان فترة من مقاطعة ابنها فؤاد لها واتهامها بانها هجرت والده فى اصعب أيام حياته لكنه فى النهاية سامحها وغفر لها فهو كان مثل والده فاروق عاطفياً.

يؤكد فؤاد ان والده لم يأخذ معه وهو خارج من مصر غير مليون دولار امريكي فهو لم يكن يعتقد ان من الممكن ان يجبره احد على التنازل على العرش وبالتالي فهو لم يخطط لشئ لم يكن يتصور حدوثه.. ويؤكد فؤاد ان كل ما تركه فاروق بعد موته شقة في منطقة باديولي وانه اذا كان هناك اموال لفاروق في بنوك سويسرا فهو أو أخواته لم يروا شيئا منها لكن فؤاد اذا لم يكن يعيش كملك فهو يعيش كرجل غني.

القصص عن فاروق لا تنتهي.. اعتادت باربارا هاتون أن تخبر أصدقاءها وصديقاتها كيف انها التقت بفاروق في باريس عام ١٩٥٤ وشعرت بالاسف العميق من اجله وهو في المنفى بعد ان كانت قد قضت وقتا في مصر في بدايات تولي فاروق عرش مصر وشاهدته في كامل سلطته ووسامته، كان وقع الصدمة شديدا على باربارا هاتون واكثر ما أحزنها هو ادراكها لفجيعة السقوط الذي آل اليه فاروق. لذلك عند عودتها الى مانهاتن بنيويورك قررت ان ترسل هدية إلى فاروق.

من احد المتاجر الراقية في جهة الغرب من شارع ٥٩ بنيويورك اختارت باربارا هاتون وعاء قديما على هيئة سلطانية مطلية بالذهب ثمنها خمسون الف دولار امريكي ثم وضعته في صندوق وارسلته بالبريد هدية الى فاروق في روما وبعد ما يقرب من شهر تلقت باربارا على عنوان شقتها في باريس صندوق بريد قادما من روما وفتحته لتجد بداخله الوعاء الهدية الذي ارسلته باربارا الى فاروق لكنها شعرت ان الوعاء اثقل بعض الشئ في الوزن ولما فتحت الوعاء راعها ان تجد بداخله روثا جافا ولحماقة باربارا اعتقدت في البداية انه روث جمل، الشئ الذي سرت له كثيرا لكنها ادركت ان روما تخلو من الجمال. بعثت باربارا بعينة من روث الوعاء إلى المعمل وجاءت نتيجة التحليل لتقول انه روث انسان.. واخيرا وبعد البحث والتقصي حول ما خفي وراء هذا التصرف الغريب قال المحيطون بباربارا انه طبقا لقواعد وآداب السلوك فان اهداء ذلك القدر لفاروق يحمل في ذاته اهانة شديدة وبعد ذلك لم ير كل من فاروق وباربارا بعضهما البعض على الاطلاق.

كل شخص لديه حكاية مع فاروق والجميع يقسمون انها حكايات صحيحة.. جون برنتون الملحق العسكري الامريكي في مصر اثناء الحرب

العالمية الثانية وابن احد القضاة فى المحاكم المختلطة يدعى انه الرجل الوحيد الذى شارك فاروق الفراش وكان ذلك بعد حفل عشاء امتد للساعات الاولى من الصباح فى منزل على شاطئ البحر خارج الاسكندرية وفيه فاز فاروق بمسابقة على مائدة الطعام حيث حقق فيها رقما قياسيا فى التهام طيور السمان فقد التهم خمسين منها فى الوقت الذى لم يتجاوز برنتون العدد ستة وثلاثين.

اقترح فاروق فكرة النوم فى المكان نفسه، وارسل انتونيو بولى لكى يحضر له ملابس النوم وعدة حلاقة الذقن من قصر المنتزه ولما كان عدد الاسرة أقل من عدد الموجودين فكان على كل اثنين ان يشتركا فى سرير واحد وأصر فاروق على ألا يستثنوه بان ينام بمفرده وكان ان شارك برنتون السرير نفسه وطلب فاروق ان ينام على طرف السرير الخارجى فقد كان دائما يحرص على ذلك حتى يتسنى له الحركة السريعة عند أى خطر.

فى شقتها الصغيرة بالقرب من ايتون سكوير تتحدث جيرتى ويصا عن الايام القليلة السابقة للثورة فى مصر: «لقد حذرت والدى من انه من المحتمل ان يحدث انقلاب فى مصر وربما من الضرورى ان نحول اموالنا فى بنوك بالخارج لكنه ضحك قائلاً: نحن مصريون ولن يستطيع أحد أن ينزع بلادنا منا فهى لنا منذ أربعة الاف سنة وحتى الآن وقد كان غروراً كلفنا غاليا وجعلنا نفقد كل شئ».

عائلة ويصا كانت من اكبر العائلات القبطية فى مصر وقد عاشت جيرتى ويصا طفولتها وصباها فى قصر بالصعيد جنوب مصر حيث كانت عائلتها تلقى الاحترام والتقدير فى داخل مصر وخارجها فى افريقيا واوروبا، كان لجيرتى عدد كبير من الخدم النوبيين وطباخ فرنسى وحيوانات تدللها لكنها بعد الثورة تعيش من عملها كمدرسة.

تقول جيرتى: «لم اكن اشغل نفسى على الاطلاق بالتفكير فى المال حتى عام ١٩٥٢ اما الان فان كل ما افكر فيه هو المال»

تعد جيرتى ويصا واحدة من طبقة الباشاوات الذين تعرضوا لحالة من الشتات مع سقوط فاروق فى عام ١٩٥٢ فالكثير من افراد طبقة الباشاوات هربوا الى انجلترا او فرنسا او سويسرا او لبنان.. ومعظمهم مثل عائلة ويصا

لم يكونوا قد استعدوا لمثل هذا الظرف الذى لم يكن فى الحسبان بان يحتفظوا باموالهم فى الخارج، وذلك لانهم كانوا يملكون الارض ومن ثم فهم كانوا يملكون البلاد والذى حدث لم يطرأ على مخيلتهم.

كان عدد من الباشاوات يملكون خيول سباق فى الخارج تمكنوا من بيعها وآخرون كانوا يملكون فيللات فى الريفييرا لكن غالبيتهم لم يكونوا يملكون غير المظهر الحسن والكياسة والهيبة وهذه أمور لا أهمية لها اذا افتقدت المال فضلا عن انهم غير مستعدين للعمل وغير جاهزين لعمل اى شئ غير ارتياد حفلات الرقص والخروج فى رحلات صيد او التجول والسفر فى مدن العالم.

فى مصر الان، اكثر من خمسين الف مليونير لكن هؤلاء الاثرياء يختلفون عن الباشاوات.. هناك عائلة آل فايد المصرية التى تملك متجر هارودز فى لندن واصولا ضخمة اخرى فى انجلترا.. وحول ما اذا كانت لهم ايه علاقة بفاروق اجابت غيرتى ضاحكة بصوت عال «كيف لهؤلاء ان يعرفوا فاروق» كيف يمكنهم معرفة ذلك العالم؟.. هؤلاء الناس صنعوا ثروتهم».

أيضا من الذين صنعوا ثرواتهم بانفسهم هذه الايام جاكى لامبسون او الليدى كليرن فى السبعينيات من عمرها زوجة مايلز لامبسون او اللورد كليرن السفير البريطانى فى مصر، الذى تقاعد بعد مغادرته مصر وقضاؤه عامين فى شرق آسيا وقضى السنوات الباقية فى حياته فى مجلس اللوردات وفى صيد الغزلان فى اسكتلندا حتى توفى وهو فى الرابعة والثمانين من عمره فى عام ١٩٦٤ قبل عام من موت فاروق.

بعد ان كانت الليدى لامبسون ملكة السلك الدبلوماسى فى مصر اصبحت الان تدير عملا يدر عليها ارباحا كبيرة وذلك بتأجير منزلها الكبير الذى كانت تعيش فيه مع زوجها مايلز لامبسون والذى يرجع تاريخه الى القرن السابع عشر والواقع فى منطقة ايست ساسكس بالقرب من جليند بورن بالليلة أو فى اجازات نهايات الاسبوع الى السائحين الاجانب.

تقول الليدى لامبسون فى مذكراتها: «اليوم أقتسم منزلى الكبير مع ضيوفى لأننى أشعر أنه منزل جميل جدا ولا يجب ان اغلقه فى وجه العالم.. أيضا أنا احب التسلية والمتعة ربما بسبب الايام التى قضيناها انا وزوجى

فى القاهرة وكان منزلنا هناك مكاناً لاقامة الحفلات المتألقة البهجة فى مختلف المناسبات».

تتذكر ليدى لامبسون تلك الامسيات المتألقة وتتذكر فاروق التى تصفه بأنه راقص أخرق تعوزه رشاقة الخطوات ودقتها ومتحدث غير لبق وكثير الحركة.. تقول «يقف فاروق وسط الضيوف ويحدق فى الوجوه مثل النادل فى مطعم يحدق فى آخر زبون، ويريد التخلص منه حتى يغلق المطعم.. فاروق لم يكن مؤهلا لكى يكون ملكا».. وتتذكر ليدى لامبسون حفلات الرقص والامسيات المقمرة فى شرفة السفارة البريطانية المطلة على النيل والقوارب الصغيرة تحمل العشاق تحت ضوء القمر.

وباربارا سكيلتون ايضا لا يمكنها نسيان مئات من القوارب الصغيرة على ظهرها الاف المصريين يحملون المشاعل فى انتظار تقديم التحية للشاب القادم من انجلترا على ظهر الباخرة فايسروى اوف انديا لكى ينصب ملكا على مصر.. وجماهير الاسكندرية التى كانت ترقص وتغنى فرحة بقائدها الجديد .. وإلى جوار القلعة التى شهدت المذبحة الجماعية التى أمر بها محمد على للتخلص من منافسيه المماليك يقع مسجد الرفاعى الذى يضم اضرحة الخديو اسماعيل وابنه السلطان حسين كامل وابنه الاخر الملك فؤاد وايضا ضريح شاه ايران الذى قبلت مصر دون غيرها ان توارى رفاته فى ارضها.. فى ضريح بمسجد الرفاعى فى القاهرة كان الملك فاروق دائماً يتمنى ان توارى رفاته وهى الامنية التى لم يحصل عليها.. وفى عام ١٩٧٤ رق قلب انور السادات وسمح لفاروق ان يوارى جثمانه الى جانب أجداده فى مقبرة متواضعة من الرخام الابيض فى مواجهة مصلى النساء نقش عليها تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته وعبارة «انتقل إلى رحمة الله» انها الرحمة فقط التى تلقاها فاروق من البلاد التى كان حاكمها.

المقبرة هناك لكن جثمان فاروق لاسباب غير طيبة نقل منها ليوارى التراب فى المقابر الجماعية فى صحراء القاهرة.. ومرة اخرى لم يسمح لفاروق ملك مصر ان يستقر فى سلام».



الملك فاروق ..
وجهات نظر

التحليل النفسي للملك!

د. لطيفة سالم

فصل من كتاب

" فاروق وسقوط الملكية "

التحليل النفسي للملك فاروق يثبت أنه كان هناك فاروقان فاروق «البداية» وفاروق «النهاية» فاروق البداية شاب طيب برىء رشيق انعقدت حوله آمال الجميع وفاروق النهاية شخص مترهل محبط يشعر بالعار وتسيطر عليه الرغبة فى امتلاك ما لدى الآخرين، بين الفاروقين تاريخ طويل من الحوادث الشخصية والمعارك السياسية.

وقد أجمع علماء النفس على أن الصفات التى نسجت خيوطها داخله تصنف صاحبها تحت اسم الشخصية السيكوباتية، ومن سماتها البلادة الانفعالية وفقدان المشاعر وإقصاء القيم والمعايير الاجتماعية والعنف غير المبرر واللامبالاة والاستهتار وسرعة الغضب والاندفاع والسهولة الشديدة فى تفريغ العدوان وفقدان القدرة على مقاومة الإغراء.

كذلك فإن صاحب هذه الشخصية كثيرا ما يبدو عليه الصدق والحماسة حين يتحدث وبالتالى يكون من السهل عليه خداع محدثيه كما تغمره الأنانية المفرطة والطموح المحطم لكل الأعراف والتقاليد والصداقات فى سبيل الوصول إلى تحقيق المصلحة الخاصة والرغبة فى تملك السلطة وتغلغل النزعة السادية وقد اختلفت الآراء فيما يتعلق بأسباب نشأتها هل تعود إلى عوامل وراثية أم إلى أسباب فسيولوجية أم إلى الاثنين معا وكان لكل رأى ما يبرره.

وعلى أية حال فإن فاروق عانى من هذه الصفات بالإضافة إلى سمات أخرى، وبالتالى انعكس ذلك على تصرفاته العامة والخاصة والأخيرة شكلت ركيزة أساسية فى النصف الثانى من حكمه واتسعت وتشعبت وكانت عاملا مهما ليس فى انهياره فقط وإنما أيضا فى سقوط الملكية فى مصر.

ومما لا شك فيه أن فترة تكوينة قد أدت دورها وتركت آثارها التى انجلت مع التغيير الذى طرأ عليه، فالتربية المغلقة التى حصرته فى العاملين بالقصر جعلته لا يستغنى عنهم أبدا من ناحية وينفتح خارجيا كلية فيما بعد.. من ناحية أخرى كما أن عدم استكمال تعليمه رسب نقصا عنده فأصبحت لديه عقدة أنصاف المتعلمين بأن يبدو أمام الناس وكأنه المثقف الأول الذى يعرف كل شىء ويفتى فيه وصدق نفسه وبالتالى أصابه الغرور ثم ذلك التملق والرياء والنفاق الذى أحيط به من جانب ساسة كبار الدولة ساعده على تصور أن ما يدخل تحته من معان هو الواقع بعينه وقد انعكس التهور بصورة واضحة على قيادته للسيارة إذ شغف بالسرعة الجنونية غير مبال إطلاقا بالنتائج السيئة المترتبة عليها ولعل حادث القصاصين الذى تعرض له دليل على ذلك، كذلك فإن الظروف التى وضعته فيها الملكة الأم أفقدته الثقة فيمن حوله وجعلته فى صراع نفسى شديد حيث لم يكن يمتلك القوة على ردعها ومن ثم ترسبت فى أعماقه تلك القوة فى شكل أمنية يسعى إلى تحقيقها حتى لقد وضع على مكتبه شعارا كتب عليه «سأفعل» وعززه بتمثال لقبضة من حديد إشارة إلى هيامه بالقوة والقدرة على التنفيذ وقت أن يحين الموعد.

وقد انبثق عن ذلك حبه للصيد بنوعيه سواء كان خاصا بالطيور التى مثل فيها البط الجوهر أم الأسماك والأول ترجم رغبته فى الانتصار وإبداء القوة والمباهاة بما جمعه من حصيلة أمام مرافقيه وكان دائما يخرج فى مجموعة وبالذات مع الضباط الأمريكيين الذين نالوا الحظوة لديه وأقرانهم البريطانيين.

وتمتع فاروق بالذكاء والذاكرة القوية أما عن الجلد الذى رافقه فترة فقد تلاشى تدريجيا وحلت مكانه الهوجائية وكان يعرف مفتاح شخصيته

بمعنى أنه يستطيع أن يؤدى الدور الذى يتناسب مع الموقف ووضح ذلك فى مقابلاته ولقاءاته الرسمية والبعيدة عن حياته الشخصية. فهو الملك العاقل الذى يتصرف بتؤدة وحكمة ويحسب كل كلمة ينطق بها وكل تصرف يقدم عليه والعكس صحيح عند اختلاطه بالمقربين إليه؛ إذ يخلع الرداء الرسمى ليصبح شخصية مختلفة.

وتوغلت فى فاروق سلوكيات عشقها ولم يستطع التخلى عنها حتى آخر يوم فى عمره فقد تنفس بها وجرت فى دمه وامتزجت مع خلجاته ونبض قلبه لكل خطوة يخطوها نحوها أى أنها كانت الحياة بعينها بالنسبة له وجاءت مسألة هوايته للاقتناء لتسلب لبه حيث حرص على امتلاك مجموعات من التحف التى تعددت أنواعها.. العملة وبخاصة الذهبية طوابع البريد وورق اللعب وأدوات لعب القمار والأصداف واللوحات والتماثيل والآثار وعلب السجائر والولاعات والنياشين والساعات والأسلحة والكتب والنباتات وشمل بعضها الحشيش والأفيون والحشرات غير المألوفة ورءوس الغزلان والتياتل والحيوانات النادرة والفصائل الأصلية من الكلاب والخيول والسيارات الحمراء وهذا اللون اختص بالملك وحده وكان من أهم ما حبب لنفسه اقتناء المجوهرات ويأتى بعدها الذهب وقد برع فى فهم تلك المقتنيات بأنواعها وأشكالها المختلفة.

ويذكر علماء النفس أن تأصل هذه الهواية وتمكنها فى النفس قد تدفع إلى العدوان على ملكية الآخرين ويغدو صاحبها عاجزا عن التمييز بين الخير والشر ومن ثم فهو لا يخفى سلوكه السيئ دائما ويتلذذ بإجراء العملية نفسها أكثر من الحصول على الشىء ذاته وذلك لرغبته فى لفت الأنظار إليه والتنبيه للالتفات له وعليه يصبح مصابا بداء الكليبتومانيا cleptomania أى المصاب بهوس السرقة والولع بها.

وهذا بالفعل ما انتاب فاروق بالإضافة إلى شغفه بالمغامرات وعناده وتسرعه وتقلبه وزاد من السوء تسلط الأضواء عليه وذلك بحكم وضعه؛ مما قوى النزعة النرجسية عنده ومن هنا تأصل عشق ذاته الذى ترجم فى امتلاك ما ليس له حق فيه سواء كان ذلك علانية أم خلسة ولازمته هذه العادة التى ابتلى بها وشكا منه كثيرون وفاضت مواقفه المشينة بعد أن

تمكن منه هذا الداء ومن المعروف أن له الرواسب منذ الطفولة فقد كان فاروق حينما تمنعه مربيته من الحلوى وبخاصة الشيكولاتة فإنه يبحث فى مكان آخر عنها ويلتهمها بعيدا عن أعين مسز تايلور.

أما عن غرام فاروق بالقمار فله الأصول عنده من قبل توليه العرش ولكنه لم يحتل المكانة كما حدث فى فترة لاحقة وفى الواقع فإنه استمد هذا الداء من شهوة الاستحواذ على ما فى جيوب الآخرين وقد أجاد البوكر الذى تعلم قواعده فى نادى السيارات الملكى وكذلك البكاراه وسيطر القمار على يده وكان رفيقه المحبب إليه وعلل تمسكه به بأنه ينتشله من همومه العائلية التى نغصت عليه حياته وهمومه العامة التى وجد أنها تنصب على المناوئين له وبخاصة الوفد أيضا فقد ردد بأن كبار السياسيين يمارسون هذه الهواية بحريتهم.

وأثرت هذه الهوية عليه سلبيا وأسهمت تماما فى تقويضه إذ خرجت به عن خط الدين الذى حرمها ومثلت نقطة ضعف وقت أن كان يبحث عن تعويض ما فقده فى الزعامة الإسلامية وأفقدته الاحترام وسيطرت على وقته الذى لم يعد يشعر به فى أثناء اللعب فأصبح يقضى ساعات الليل معه حتى وصل به الأمر إلى أنه فى ليلة عيد ظل يلعب حتى الساعات الأولى من الصباح فى نادى السيارات ثم ارتدى الردنجوت فى النادى وانتقل إلى المسجد ليؤدى صلاة العيد ومما يذكر فى هذا الصدد أنه عشق الليل وكره النوم مبكرا منذ أن كان يجبر عليه سواء من مربيته أومن عزيز المصرى إبان بعثته التعليمية.

كذلك فإن لعب القمار أعطى قسماته الشخصية شكلا غير لائق وبخاصة وقت أن يكسب وهذا فى معظم الأحيان ويخسر الآخرون وفقا لخطتهم فتظهر عليه علامات فجائية من الضحك والسخرية مما يفقده المكانة أما وقت الخسارة وهذا من النادر حدوثه داخل مصر فتبدو عليه العلامات نفسها ولكن بصورة مختلفة وبالنسبة لممارسة اللعب خارج مصر إذ تكاد تتوارى المؤثرات التى تفرض نفسها لتجعله يفوز بالأموال فإنه كثيرا ما يستسلم وإن كان فى بعض الأحيان يلاحقه المرتزقة بهدف أن يحققوا المصالح لهم وبالتالى يناله المكسب فى اللعب.

وانهكت قواه وتلفت أعصابه ومن ثم غمره الاستهتار وأهمل أهم أعماله وتركها لتتصرف فيها حاشيته وفق ما تراه حيث لم يعد قادرا على التركيز والمحاورة والمجادلة فضلا عن أن الأموال التى كان يكسبها أصلت فيه الطمع للحصول على المزيد.

ولم يكن ما يقدم عليه فاروق فى هذا المجال بخاف عن الناس فتناقلته الألسنة وتعرضت له صحافة المعارضة ولكن دون تصريح معلن وإنما من وراء ستار أما الصحافة الأجنبية فقد لازمته فى أثناء وجوده بالخارج وأعطت التفصيلات الدقيقة عن كل تحركاته وتنقلاته بين الموائد الخضراء حتى الأموال سواء التى خسرها أم كسبها سجلتها وعلقت عليها مما أضر بسمعته وعمل على الاستهزاء به.

ومثلت مسألة شراهة فاروق فى الأكل مثلا صارخا فى سلوكياته ويرجع علماء النفس هذا النمط إلى ارتباطه بنوعية الشخصية والإقبال على الطعام من عدمه يختلف من شخص إلى آخر فعلى سبيل المثال إذا ساءت نفسية إنسان فهو إما يكون شرها فى أكله وإما يمتنع عنه كذلك الحال إذا ارتاحت نفسيته وغمرته المشاعر الجميلة يحدث له الشىء نفسه أيضا إذا كان منفعلا ومنهمكا فى عمل ما أو يمارس هواية معينة فإنه يتعرض للموقف ذاته ومن هنا فقد تأثر فاروق بالشكل الإيجابى أى الشهية المفتوحة والمتشوقة لمختلف أنواع الطعام تلك التى لازمته فى جميع الظروف ومما يلاحظ أن هناك رواسب قديمة أثرت فى هذه المسألة ففى مرحلة نشأته وبناء على الطريقة التى اتبعتها مربيته فى تقنين الأكل له دفعه ذلك إلى الحصول عليه وبأية كمية من مصادر أخرى وذلك دون أن تدرى.

وتحولت صورة فاروق الذى اتصف بالجمال والوسامة والأناقة منذ توليه العرش وفى أثناء سنوات التوهج لدرجة أنه ضرب به المثل لما تمتع به إلى صورة أخرى اتصف فيها بالبدانة المترهلة وغير المتوازنة والضخامة والصلع والإهمال فى الملبس وقد لازمته هذه الصورة حتى أواخر أيامه وقد ارجع السبب الأساسى إلى تناوله كميات كبيرة فى ليله ونهاره من مختلف أنواع البروتينيات والنشويات والحلويات وبخاصة الشيكولاتة والفواكه الطازجة والمطبوخة «الكمبوت» وكان للمحار المكانة الرئيسية على مائدته

لارتباطه بتقوية الضعف الهرمونى الذى عانى منه كذلك فهناك سبب آخر ساعد على ما وصلت إليه هيئته اختص بعدم انتظام غدده مما أثر فى صورته الجديدة.

ولم يكن فاروق يتعامل مع الخمور ومع هذا كان يتظاهر بتناولها ويتكلم عن أنواعها فقد حدث أنه فى أثناء زيارة وزيرة التأمين الأهلى البريطانية لمصر فى فبراير ١٩٥١ وفى مقابلة ملكية تعمق فاروق فى الحديث معها عن أنه قادر على التحكم فى شرب النبيذ وذكرت ذلك فى تقريرها الذى أعدته وأشارت إلى أنه يظهر غير ما يبطن وكما علمت من مصادر مختلفة فهو لا يتعاطى المسكرات واقتصر الملك فى شرابه على العصائر وبخاصة عصير البرتقال وكذلك البيبسى كولا التى فضلها لارتباطه مع شركتها بمصلحة مالية وأيضا دخن سيجار هافانا.

وبالنسبة لعلاقات فاروق النسائية التى اشتهر بها، وكانت من أهم هواياته فقد دفعته ظروفه المحيطة إليها فمنذ نشأته وجد نفسه الذكر الوحيد وضاقت دائرة اختلاطه فلم يكن هناك سوى أخواته الشقيقات واللاتى كن أصغر منه ومربيتيه وأمه التى خضعت لقاءاته بها لمعايير وضعها أبوه وراقب تنفيذها بصرامة ثم جاء زواجه من فريدة مبكرا وفى أثناء فترة تفتحه وبدأت حياتهما الزوجية بداية موفقة وسعد الملك بالملكة التى أحبها المصريون وكانت من أسباب توهجه ولكن بدأ التصدع بين الزوجين مع تتابع ولادة البنات فريال ١٧ نوفمبر ١٩٣٨ وفوزية ٧ أبريل ١٩٤٠ وفادية ١٥ ديسمبر ١٩٤٣ وأمر طبيعى أن يتلهف فاروق على وريث العرش وقد شكل هذا أساسا راسخا داخله وراوده الخوف من ألا يكون له وريث من صلبه وبالتالى يرث العرش ابن عمه وعدوه الأمير محمد على الذى كان يتربص به ويتمنى من كل قلبه أن يزول ملكه ليستمتع هو به ومن هنا انفتح باب الاختلافات بين الزوجين.

وكانت شخصية فريدة قوية يتغلغل فيها الكبرياء والعناد ولم تكن تتفق مع سطوة فاروق وتسلطه ثم ذلك الصدام الذى أصبح سمة ظاهرة ومستمرة بين الملكة الزوجة والملكة الأم بعد أن صار التناقض بينهما واضحا وتفنن كل طرف فى مضايقة الآخر وتفوقت نازلى بحكم تكوينها

على زوجة ابنها بالإضافة إلى تلك المسألة الفسيولوجية التى عانى منها فاروق وأثبتها التقارير الطبية وفشلت محاولات علاجها وتعلقت بخمول غدد معينة جعلته يفتقد مقومات الفحولة وقد ارجع الأطباء ذلك الخلل إلى ما قبل زواجه واستمر معه.

ووفقا للتحليل النفسى فإن انعكاسات هذا الوضع الأخير يكون إما بالإيمان و التسليم بالأمر الواقع وإما بمحاولة الإثبات للنفس بالمقدرة وذلك من خلال تعدد العلاقات النسائية من ناحية الشكل دون الجوهر وأن فى هذا إعلانا أمام الجميع عن أن مؤشر الرجولة قد بلغ أقصاه.

واختار فاروق الأمر الثانى زد على ذلك تداعيات حادث ٤ فبراير التى دفعته للغوص فى الملذات كنوع من الترفيه عن الصدمة التى تلقاها بعد أن استقر فى أعماقه أن ملكه لن يدوم وقد صرح بذلك كثيرا وأن عليه أن يستمتع بما يهوى.

وكان هناك المحيطون به من غير المسئولين وبخاصة إيطاليو القصر وعلى رأسهم بوللى الذى قدموا له فى البداية الإيطاليات ثم تبعهن جنسيات أجنبية أخرى وهناك الأميرة العجوز شويكار طليقة ابيه والتى كانت تكرهه وحاول أخوها اغتياله وهى أيضا أم لطيفة زوجة أحمد حسنين الذى ارتبطت به نازلى ومن أجل ذلك فقد عقدت الأميرة عزمها على الانتقام لنفسها فى شخص فاروق هذا فضلا عن أنها أرادت أن يكون قصرها محط الأنظار لارتياد الملك له لذا أقامت الحفلات والسهرات الصاخبة وجهزتها على أكمل وجه وأغرت فاروق لحضورها وهناك الأميرات والنبيلات اللاتى جذبنه لهن وهناك الفنانات وبخاصة الأجنبيات اللاتى تقربن منه سعيا وراء الشهرة.

ومن المسلم به أن ذلك جميعه لابد أن يكون له التأثير العميق فى فريدة من ناحيتين الأولى ما وصلت إليه سمعة فاروق مما أساء إليها هى الأخرى من منظور أنه لم يجد فيها ما يغنيه عن هؤلاء النسوة والثانية حرمانها منه بعد تجاهله لوجودها كلية وعليه كانت هناك الانعكاسات على نفسيتها وبالتالى على تصرفاتها فراحت تشكو منه للمقربين منها بعد أن غمر البؤس حياتها.

وعلى صعيد آخر فإن فاروق لم يتركها وشأنها وإنما ضيق عليها الخناق حتى أنه منعها من الظهور فى المجتمع بسبب تلك الشعبية الجارفة التى تحظى بها فى وقت راحت فيه شعبيته تتوارى وحدثت القطيعة بين الزوجين فهو يتركها أحيانا مع بناتها فى قصر عابدين ويستقر مع أخته فوزية فى قصر القبة وكثيرا ما يحدث العكس وقد قامت حاشيته والمقربون له بما يعمل على المزيد من الفرقة بينهما.

وصممت فريدة على الطلاق بعد أن أيقنت أنه لا سبيل لتقويم سلوكيات زوجها والواقع أن فاروق لم يكن يرغب فى طلاقها فبرغم علاقاته النسائية الكثيرة فإن فريدة مرتبطة لديه بالحب الأول وأيضا لها شعبيتها وطلاقها سيزيد من النقمة عليه ومن ثم اختار الوقت الذى ماجت فيه مصر بالانفعالات الخاصة بحرب فلسطين كما حرص على أن يكون طلاق أخته فوزية من إمبراطور إيران مقرونا بطلاقه ليمتص غضب الشعب الذى يخشاه وفى ١٩ نوفمبر ١٩٤٨ صدر البلاغ الرسمى من الديوان الملكى بالطلاق البائن لفريدة.

وكان للخبر وجوم وغضاضة على المصريين وصف مردوده السفير البريطانى لحكومته بدقة مبينا كيف استقبله الشعب استقبالا سيئا وأنه اضحى عاملا مهما فى انخفاض مكانة الملك ويلتقط الصور للمظاهرات الغاضبة إزاء ما حدث والتى ترددت فيها العبارات الجارحة لفاروق وأضفت العبارات التى تعنى الشرف والطهارة والنقاء والكرامة على فريدة.

وأخطأت حسابات فاروق لاعتقاده أنه بتأخير الطلاق سوف يتفادى ما جرى كذلك فإن محاولاته لم تفلح والخاصة بحصوله على فتوى من الشيخ المراغى تحرم على فريدة الاقتران بزوج آخر وألا ترى بناتها وبرغم ما سبق أن قدمه الشيخ لمليكه من تعاون فإنه رفض ذلك بإصرار لمخالفته الشريعة الإسلامية وقد عبر هذا عن الأنانية التى كانت من السلوكيات الملكية.

وبعد الطلاق انجرف فاروق بقوة مع تيار الهوى غير عابىء بدين أو تقاليد يقوده الإيمان بأن حياته الشخصية هى ملك له وحده وبالتالى عاشها طولا وعرضا ففى حديث له مع أحد المسئولين البريطانيين ذكر له أن تنبؤاته دلت على أنه سيموت صغيرا وأن ذلك يدفعه إلى التمتع ما

أمكنه ذلك.

ولم يغب العنصر النسائى عن فاروق فى رحلاته داخل مصر وخارجها ومما يذكر أنه كان هناك نساء لمسن نقطة ضعفه ومن ثم تمكن من معالجته نفسيا بمعنى أنهن نقلن إليه المشاعر الناطقة بأنه يتمتع بكامل لياقته المطلوبة أيضا أدرك بعضهن صفات الملل الذى يعتريه وتحوله السريع وتخليه عن الآخر وقوة نزعة التقلب عنده فى حالة استسلامهن له ومن هنا أهملنه فكان أكثر اندفاعا نحوهن وهذه الصفات انعكست على عطائه لهن فهو أحيان يكاد يوصف بالبخل عليهن وأحيانا أخرى يكون مسرفا ومبذرا ويقدم الهدايا الثمينة للمرأة التى يجذبها إليه.

وأمام ذلك التردى الذى وصل إليه الملك رأى المحيطون به ممن يكنون له المعزة فى محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه أن عليه أن يتزوج وربما يأتى بولى للعهد يغير من مساره ويعود به إلى فترته الأولى ولما عرض الأر عليه استرجع أمامه صورة زواجة من فريده وأن هذا الزواج أسهم فى علو مكانته وتدفق حب الشعب عليه واستحسن الفكرة ومضى فى التنفيذ ولكن جاءت طريقة الاختيار لتعكس الغرض الأساسى الذى سعى إليه وما وصلت إليه سلوكياته.

ومعروف السيناريو الذى به تم التقاط ناريمان ذات الستة عشر ربيعا التى كانت على وشك الزواج ووقعت عين جواهرجى الملك عليها حينما دخلت عليه مع خطيبها لشراء خاتم الزواج وحاك خطته وأعجب بها فاروق وقرر الاستحواذ عليها وفقا لصفاته المعهودة فى الاستيلاء على ممتلكات الغير بالإضافة إلى أنه كرر نفس فعلة أبيه عندما تزوج من نازلى وبطبيعة الحال فإن ظروف زواج فاروق من فريدة اختلفت عنها فى ناريمان وهنا يتبادر السؤال لماذا لم يتزوج هذه المرة من إحدى الأميرات أو النبيلات من الأسرة العلوية وبخاصة أنه سبق أن كانت له العلاقات على هذا المستوى ربما يكون الوضع الذى آل إليه لم يكن ليشجعهن على القبول وربما أيضا رأى أن الاختيار من المستوى الاجتماعى العادى الذى تنتمى إليه الزوجة المقبلة يعطى المعنى بأنه قريب من شعبه عله يحسن مما وصل إليه.

وفى ١١ فبراير ١٩٥١ احتفل فاروق رسميا بخطوبته من ناريمان بعد أن

عادت من الخارج وفى ٦ مايو عقد القران وبلغت تكاليف الزفاف ٧٣,٤٨٣ جنيه وهو مبلغ كبير بمقياس الفترة الزمنية ووضعت العروس فى جيدها عقدا ماسيا عد من أندر حلى العالم مما أثار الأقوال والانتقادات ولم يترجم أى شعور عام للفرحة التى ملأت قلوب الناس عند زواجه الأول.

وتنقل الملك والملكة فى أوروبا ولم يغير فاروق من عاداته فى أثناء الرحلات شنت الصحافة الأجنبية حملاتها عليه وحدثت الأزمات مع الصحفيين ومما يذكر أن الملكة لم تصاحبه دائما فى أماكن لهوه التى اعتاد التردد عليها ليمارس هواياته المعهودة ولما كانت عقدة عجزه فيما يتعلق بالسيطرة على فريدة تلاحقه لتعاليها وكبريائها فقد أحكمها على الزوجة الثانية التى تقبلت الأوضاع على ما هى عليه إذ لم تكن تتمتع بقوة الشخصية بالإضافة إلى رغبتها فى أن تظل ملكة على عرش مصر وارتفعت تكاليف رحلة شهر العسل بشكل أثار الانتباه وبعث السفير البريطانى فى روما إلى حكومته ليصف البذخ والترف فى تلك الرحلة الملكية ويسجل أن ناريمان انفقت عشرين ألف جنيه فى نصف يوم بفينسيا.

وفى ١٥ سبتمبر عاد الملك والملكة إلى مصر وبعد أربعة أشهر وضعت ناريمان ولى العهد الذى لم يكتمل له الشهر التاسع فى الحمل وأرجع فاروق السبب إلى الوراثة من ناحية زوجته بينما نحت الأقاويل منحى آخر وجاء الأمير أحمد فؤاد فى وقت كانت مصر فيه على شفا حفرة من النار ولم يتحقق لفاروق ما كان يتمناه ويأمله وفى الحين ذاته لم يقعده هذا الابن عن مواصلة هواياته.

وانعكس ما بداخل فاروق من سلوكيات على علاقاته الأسرة وفترات صلته بأمه وسرعان ما ساءت بعد أن أطلقت لنفسها العنان واتسمت تصرفاته معها بالعنف والشدة بعد فشله فى أن يجعلها تحافظ على سمعة أبيه إذ فلت زمامها سواء داخل مصر أم خارجها وأصبحت حلبة الرقص الأجنبى متعتها لدرجة أنها كانت تراقص الضباط الإنجليز مما أغضب الملك الذى ثبتت قلة حيلته ليس فقط عن ارجاعها عن تلك الفضائح ولكن أيضا أمام فصم عرى علاقتها بأحمد حسنين وبعد وفاة الأخير غادرت

مصر مع ابنتيها فايقة وفتحية وانغمس فاروق فى حياته العابثة ومضت نازلى تتصرف بهوجائية وتسيب فى أمريكا وتزوجت فايقة من فؤاد صادق أحد رجال القنصلية المصرية بسان فرانسسكو وكانت تربطهما العلاقة منذ فترة، أما فتحية والتى لم تكن قد بلغت سن الرشد فزوجتها أمها من رياض غالى وكان كاتبا فى أرشيف القنصلية المصرية بمرسيليا وأصطحبته نازلى معها إلى نيويورك ليعمل سكرتيرا لها بعد أن أشهر إسلامه.

وترددت القصص حول ذلك بأن هناك علاقة ربطت الأم بهذا الشخص وحتى يستمر بجوارها أقدمت على هذه الزيجة وبذلك اتسع غضب الناس ولم يعد يشمل فاروقا وحده بعد أن دخلت تحته أسرته وإن كان قد وجد القليل جدا الذين تعاطفوا معه كنوع من الشفقة لما أقدمت عليه أمه ولكن سرعان ما ذاب ذلك.

وجن جنون فاروق لما حدث وكان قد قام بمحاولات قبل إتمام زواج فتحية ليقعد أمه عن المشروع ولكن دون فائدة وطلب من السفير الأمريكى العمل على مغادرة رياض غالى الولايات المتحدة فلم يتحقق طلبه وأخيرا فإنه استخدم لأول مرة فى حياته وسيلة الترجي والاستعطاف مع أمه ففشل.

وأمر فاروق بعقد مجلس البلاط فانعقد فى ١٥ مايو و٣١ يوليو ١٩٥٠ وانتهت اجتماعاته بقرار الحجر على الملكة الأم وتجريدها من لقبها والتفريق بين فتحية ورياض غالى وحرمانها هى الأخرى من لقبها وبالإضافة إلى توقيع هذه العقوبة فإن فاروقا قصد كذلك من ورائها أن يكون لها رد فعل على الناس عندما يدركون حسمه فى مثل تلك الأمور وقد نقل السفير البريطانى للندن أن أكثر المصريين نقمة عليه إزاء ما يجرى هم المثقفون الذين خبروا سلوكيات الملك والتهبت الثورة فى نفوسهم وسقطت بالمرة هيبة الملكية فى نظرهم ولم ينل فاروق قصده حيث أيقن الناس أن كل تصرف يقدم عليه فلابد أن يفيد من ورائه ووجه الاستفادة من العقوبة أنه سيكون المتصرف فى أموال أمه وأخته فى وقت شكلت فيه الثروة المكانة المتميزة لديه.

ومنطقيا أن تكون السلوكيات الشخصية لفاروق قد أسهمت بنصيب

وافر فى أن ينأى المصريون عنه حيث قدروا أن تاريخ صلاحيته قد انتهى منذ أن غدا شخصا آخر غير فاروق الذى كان إبان فترة توجهه ومن المؤكد أن حياة ذلك الآخر وما جرى خلالها كانت الهوة السحيقة التى سقط فيها وتحولت إلى بوتقة انصهر فيها الحكم الملكى كلية.

فاروق .. آخر ملوك مصر

د. يونان لبيب رزق

مجلة المصور
١٩ أكتوبر ٢٠٠٧

العنوان مقصود فالمسلسل الذى بثته إحدى القنوات الفضائية (غير المصرية) عن الملك فاروق ولقى نجاحا كبيرا أدخل فى روع عدد من المشاهدين أنه من قبل الدعاية لعودة الملكية وهو فى تقديرنا تصور مبالغ فيه خاصة وكنت من المشاركين فى الإعداد لهذا العمل بمراجعة الوقائع التاريخية التى أتت بها المؤلفة ذات الخيال الدرامى الخصب الدكتورة لميس جابر وقد زاد من هذا التصور أن شركة إنتاج من المملكة العربية السعودية هى التى قامت بالانفاق على هذا العمل وما نريد أن نؤكده هنا أن التاريخ لا يكرر نفسه وأن عودة الملكية إلى مصر من المستحيلات التاريخية ولا يحسم قضية على هذا القدرمن الأهمية مسلسل تليفزيونى مهما بلغت درجة نجاحه.

ولولا أن المسئولين عن إنتاج الدراما فى القنوات المصرية وما أكثرها لم يتقاعسوا عن إنتاج هذا العمل لما راجت بعض هذه الأفكار المغلوطة وهو التقاعس الناجم عما شاع بعد ١٩٥٢ من تحريم الاقتراب من الفترة السابقة عليها خاصة ما اتصل بأفراد الأسرة الحاكمة باعتبارها من المحرمات وحدث أن دخل فى وهم الرئيسيين عبدالناصر والسادات على التوالى أنه بإمكانهما إعادة كتابة التاريخ المصرى فشكلوا لجانا على أعلى مستوى لتقوم بهذه

المهمة وقد فشلت فشلا ذريعا فالتاريخ لا تكتبه الحكومات وإنما يضعه أفراد عاديون أو مؤسسات مفروض أن تلتزم بالحياد وأحيانا ما تكون معادية للحكام الأمر الذى يمكنهما من النظر إلى الأحداث بعين نقدية وتقدم العلاقة غير الودية بين أشهر مؤرخى العصور الحديثة الشيخ عبدالرحمن الجبرتى ومؤسس دولتها محمد على باشا نموذجا لذلك.

بعد نقىّ المظنة ننتقل إلى صاحب المسلسل جلالة الملك فاروق الأول آخر ملوك مصر ونقول إن هذه الشخصية التاريخية تقدم نموذجا غير متكرر فى التاريخ المصرى مما كان يجعله موضوع عمل درامى ناجح وهو ما حدث بالفعل فعهد فاروق اختلف لم يكن أبوه جلالة الملك فؤاد الأول ولا جده الخديو إسماعيل ولا مؤسس الدولة محمد على باشا الكبير ممن انجزوا دورا فى صناعة تاريخ الوطن ولا من أبناء الأسرة الذين ساروا فى الطريق العكسى!!

فمن بين حكام مصر العشرة من أبناء أسرة محمد على وبامتداد نحو قرن ونصف القرن ١٨٠٥-١٩٥٢ كان فاروق هو الحاكم الوحيد الذى اعتلى العرش بأمر مصرى فالحكام الثمانية الأوائل استمدوا شرعيتهم من الفرمان الشاهانى الذى كان يبعث به السلطان العثمانى فى احتفال مهيب، الأمر الذى انطبق حتى على مؤسس الأسرة محمد على باشا فالشائع أن الزعامة الوطنية من العلماء برئاسة الشيخ عمر مكرم نقيب الأشراف هى التى قامت بتنصيب الرجل واليا على مصر غير أنه كان عليهم الانتظار إلى حين ورود فرمان السلطان العثمانى لإضفاء الشرعية على ما تم ولولا هذا ما جلس الباشا طويلا فى القلعة!

قرار حكومة اسطنبول أيضا كان نافذا على إسماعيل فهذا الخديو المشهور بعد أن نجح فى استصدار فرمان سلطانى يجعل خليفته أكبر أبنائه وليس أكبر أفراد الأسرة كما كان الحال من قبل أراد حرمان توفيق من هذا الحق رغم انطباق الشرط عليه السبب أنه لم يكن سليلا من زوجة حرة وإنما من «أمة» غير أن السلطان عبدالعزيز صمم على موقفه وأصدر الفرمان بتولية توفيق ولم يكن لاعتراض إسماعيل أى تأثير!.

وعلى الرغم من الاحتلال البريطانى فقط ظل التقليد متبعا، أن يعتلى حاكم مصر عرشها بفرمان شاهانى فالإنجليز لم يدعوا فى أى وقت بفرض

سيادتهم القانونية على أرض الكنانة وظلوا معترفين بسيادة الحكومة العثمانية عليها ولأسباب تتعلق بسياساتها الدولية و قد أرادت حكومة اسطنبول أن تغتنم الفرصة بعد الوفاة المفاجئة للخديو توفيق ١٨٩٢ فقررت أن تحرم مصر من نصف سيناء فى الفرمان الذى أعدته بتولية عباس الثانى عرش الخديوية وذلك بأن تقتصر ولايته فى شبه الجزيرة على المنطقة الممتدة من العريش ورأس محمد بكل ما يترتب على ذلك من إحداق الوجود التركى بقناة السويس مما صنع أزمة بين حكومتى لندن والاستانة لم تنته إلا باستسلام الأخيرة وإصدار فرمان بتولية خديوية مصر المحروسة بحدودها المعهودة!

وسقطت السيادة العثمانية بعد إعلان الحماية البريطانية على البلاد فى ديسمبر عام ١٩١٤ وكان من بين ما ترتب على هذا التغيير اختلاف فى طبيعة الجالس على كرسى الحكم فى البلاد صحيح أنه قد بقى من أبناء أسرة محمد على مما رآه المسئولون فى وزارة الخارجية البريطانية أدعى إلى الاستقرار فى هذه الظروف المضطربة وبحثوا عن أمير من الأسرة يقبل بالمخاطرة وكان حسين كامل إلا أن الذى تولى الحكم وكيفية توليه تم بشكل مختلف تماما عما كان عليه الحال فى ظل الفرمانات الشاهانية، اللقب: أصبح السلطان بدلا من الخديو وهو أن ضارع لقب إمبراطور الدولة العثمانية إلا أنه لم يصل إلى لقب الملك الذى يتمتع به صاحب العرش فى المملكة المتحدة الأهم من ذلك أنه لم يعد يستمد شرعيته من فرمان سلطانى وإنما من خطاب من وزير الخارجية البريطانى وهان بذلك كثيرا هذا المنصب الجليل مما كان محل سخط المصريين ومما عرض الحاكم الجديد لأكثر من محاولة اغتيال!

وبعد أن رفض الأمير كمال الدين اعتلاء عرش مصر خلفا لأبيه عرضته سلطات الحماية البريطانية على الأمير أحمد فؤاد بنفس الشروط وهو ما رحب به وقد تغير الموقف بعد ذلك عند انتهاء الحرب وقيام الثورة الوطنية ١٩١٩ والتى انتهت باعتراف بريطانيا بأن الحماية علاقة «غير مرضية» ١٩٢١ ثم إعلان مصر دولة مستقلة ذات سيادة فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ مما مهد لميلاد أول ملك فى تاريخ مصر الحديث وكان آخر ملك أيضا!

تضمن آخر الأوامر التى أصدرها فؤاد بصفته سلطانا الإقرار بظهور الملكية فى مصر مما تم إبلاغه إلى ممثلى الدول فى القاهرة وجاء فيه أن السلطان اتخذ لنفسه لقب صاحب الجلالة ملك مصر وأننى أرجوكم التكرم بتبليغ هذا النطق إلى حكومتكم وأنتهز هذه الفرصة لأكرر لجنابكم عظيم احترامى»! كان رد الملك جورج الخامس ملك المملكة المتحدة وإمبراطور الهند بالترحيب بتلك الخطوة أول ما وصل إلى جلالة الملك فؤاد!

شرع صاحب الجلالة ملك مصر بعد ذلك فى ترتيب شئون البلاط الأمر الذى تضمنته مجموعة من الأوامر الملكية التى نشرتها الوقائع المصرية، صدر أولها فى ١٣ أبريل سنة ١٩٢٢ بشأن «نظام الوراثة فى بيت محمد على» وقد تضمن ثلاث عشرة مادة يعنينا منها هنا مما اتصل بفاروق المادة الأولى: التى نظمت طريقة انتقال ولاية الملك من صاحب العرش إلى أكبر أبنائه ثم إلى أكبر أبناء ذلك الابن الأكبر وهكذا طبقة بعد طبقة وإذا توفى أكبر الأبناء قبل أن ينتقل إليه الملك كانت الولاية إلى أكبر أبنائه ولو كان المتوفى له إخوة ويشترط فى كل الأحوال أن يولد الأبناء من زوجة شرعية فولاية الملك من بعدنا لولدنا المحبوب الأمير فاروق.

ولأن فؤاد الأول انجب ابنه فاروق ١٩٢٠ بعد أن كان قد جاوز الخمسين مواليد ١٨٦٩ ولما كانت حالته الصحية على غير ما يرام فقد كان من الطبيعى أن يُعنى نظام الوراثة بترتيب الأوضاع فى حالة وفاته قبل أن يبلغ ولى العهد سن الرشد التى قررها هذا النظام بثمانى عشرة سنة هلالية الأمر الذى خصص معه ثلاث مواد لاحتمال أن يرحل قبل أن يبلغ فاروق هذه السن.

نصت إحداها على أن يكون للملك القاصر هيئة وصاية للعرش تتولى سلطة الملك حتى يبلغ سن الرشد بينما قررت أخرى ضرورة تأليف هذه الهيئة من ثلاثة يختارهم الملك لولى العهد القاصر بوثيقة تحرر من أصلين تودع إحداهما بديوان الملك والآخر برئاسة مجلس الوزراء وتحفظ الوثيقة فى ظرف مختوم ولا يفتح الظرف ولا تعلن الوثيقة إلا بعد وفاته وأمام البرلمان ووضع النظام فى حسبانه احتمال عدم وجود هذه الوثيقة فنص على أن يعين البرلمان هيئة وصاية العرش فى هذه الحالة.

ونرى أن هذه المتغيرات قد أتاحت لمعد الدراما التليفزيونية عن حياة الملك فاروق مساحة واسعة يتحرك فيها وهو ما أدركته الدكتورة لميس جابر واستثمرته ففاروق كان أول أبناء أسرة محمد على الذى لم يكن قد استكمل من العمر أعوامه الثمانية عشر بالتقويم القمرى وهى السنوات التى كان قد أتمها بالكاد ابن عمه عباس حلمى الثانى الذى نصح العلماء اللورد كرومر أن يضغط على السلطان العثمانى خليفة المسلمين فاضطر للعمل بها لأنها تتفق مع التقويم الهجرى.

وقدم الخلاف حول أسماء الأوصياء مساحة درامية واسعة فما طالب به الملك فؤاد ووضعه على ظرف مغلق لم يكن فى حسبان الحكومة الوفدية التى تشكلت فى أعقاب وفاته والتى ارتأت أن اختيار مثل هؤلاء ينبغى أن يتم من خلال البرلمان وليس من خلال ملك راحل أوصى بها فى آخريات أيامه!

وقد تفجر هذا الخلاف بشكل علنى عندما أراد فاروق باعتباره أول من يتولى عرش مصر وهو صاحب جلالة وهو بذلك أول من يتم تتويجه من أبناء أسرة محمد على أن يغير الاحتفال التقليدى الذى كان يتم عند قراءة فرمان التولية الوارد من الاستانة وهو الاحتفال الذى كان يقام عادة فى القلعة إلى أن تم انتقال مقر الحاكم المصرى الرسمى إلى عابدين بعد خلع الخديو إسماعيل ١٨٧٩.

التغيير الذى أراده الشاب الصغير الذى كان قد أكمل الثامنة عشرة بالكاد أن يتم تتويجه فى حفل دينى كبير يقام فى الأزهر ويحمل فيها سيف جده مؤسس الأسرة وبينما رأى البعض أن الفكرة قد جاءته من الأمير محمد على أكبر أبناء الأسرة الحاكمة وولى العهد بعدئذ فإن آخرين رأوا أنها من بنات أفكار الشيخ المراغى الذى كان معروفا عنه مع كونه إصلاحيا أنه من أنصار الملكية بينما رآه البعض الآخر من أفكار بعض رجال القصر الذين رأوا أن تمتع الملك الشاب بالسلطة الدينية جنبا إلى جنب مع السلطة المدنية يقوى مركز العرش فى مصر فى مواجهة الأغلبية الساحقة التى يتمتع بها الوفد كما يدعم مكانته بين الممالك الإسلامية.

وكان من الطبيعى أن تقدم هذه السابقة التى لم يتعرض لها أى من أبناء أسرة محمد على موضوعا دراميا على درجة كبيرة من الأهمية فلقد أدرك

زعماء الوفد ما وراء مطلب الملك الجديد أو من حوله من رغبة فى توسيع سلطاته وتغليبها على السلطة الشعبية التى يمثلها الحزب الكبير ومن ثم فقد تمترس النحاس باشا وراء حصن الدستور وتمسك بتنفيذه بالحرف الواحد أن يحلف الملك الجديد يمين الولاء أمام البرلمان الذى يمثل الشعب ولا أحد سواه وأذعن رجال القصر بمن فيهم الملك الشاب للمطلب الوفدى فقد كانت موازين القوة كلها فى صالح بيت الأمة وليست فى صف قصر عابدين خاصة وأن قصر الدوبارة مقر السفير البريطانى آثر أن ينأى بنفسه عن هذه المشكلة باعتبارها قضية دينية بالدرجة الأولى فقد ظلت السياسة البريطانية فى مصر والتى أرساها اللورد كرومر حريصة على البقاء بعيدا عن القضايا ذات الطابع الدينى بحكم علم المسئولين فيها بخطورة الاقتراب من هذه القضايا!.

***

ونعود لنلقى باللائمة على المسئولين عن الدراما فى التليفزيون المصرى لأنهم لم ينتبهوا إلى ما تقدمه شخصية فاروق الأول من ثراء استغله منتجو المسلسل فى القناة الفضائية العربية التى بثته وجعلت الغالبية العظمى من المشاهدين المصريين الذين يمثلون أكبر كثافة فى المشاهدين العرب يضبطون مؤشرات أجهزتهم على قناة الـB.B.C1 فى العاشرة من مساء كل يوم!

فلا ندرى كيف خفى على هؤلاء وضع الأسرة الحاكمة بعد أن نزلت الملوكية على رءوس أغلب أفرادها التى دارت نتيجة لذلك.. فاروق نفسه الذى أصبح وليا للعهد ولم يكن قد تجاوز العامين وعاش بقية الفترة حتى تولى صلاحياته الدستورية ١٩٣٧ والجميع يعامله على أنه ملك المستقبل بكل ما يحوط بذلك من تبجيل وتكريم باستثناء أبيه الملك فؤاد الذى كان يقسو عليه عندما يرى احتمالات انفلات العيار.

أما بقية أفراد الأسرة فكان على رأسها أكبرهم عمرا الأمير محمد على توفيق والذى كثيرا ما داعبه الأمل أن يلحق بقطار العرش قبل الطفل الصغير ومن هنا جاءت محاولاته الدائبة لتحسين علاقته بممثل بريطانيا فى العاصمة المصرية اعتقادا منه أن قصر الدوبارة يقدم الطريق المضمون لفرصته فى الملوكية مما صنع شخصية درامية متناقضة التصرفات.

نموذج درامى آخر قدمه التحول إلى الملكية فى أسرة محمد على حين قننت الأوامر الصادرة من الملك فؤاد الوضع الجديد وكان خاصاً هذه المرة بنظام الأسرة المالكة وقد جاء فى مطلع المذكرة التفسيرية الملحقة به أن تلك الأسرة ركن من أركان الدولة بما بينها وبين الجالس على العرش من أواصر القرابة وبما قد يئول إليها من حقوق العرش وهى من جهة أخرى أكبر الأسر وأكرمها والمثال الذى يحتذى فى ضبط النفس وكمال الملوك.

تضمن الأمر الملكى الجديد اثنتين وعشرين مادة بدأها بالقول إن صاحب العرش رئيس الأسرة المالكة وله بهذه المثابة حق الولاية على أعضائها ثم دلف من ذلك إلى تحديد من ينطبق عليهم وصف الأمراء: أولاد الملك وأولادهم من الظهور إخوة الملك وأخواته أولاد ولاة مصر وخديويها وسلطانها وأولادهم من الظهور من ذكر اسمه فى الكشف المرفق من ذرية محمد على من الظهور، من عدا هؤلاء من ذرية محمد على ممن يمنحهم الملك لقب الأمير أو الأميرة.

وفى إطار هذا النظام الجديد تغير وضع زوجة الملك فبعد أن كانت فى عصر الباشوات والخديويين خاصة بدءا من عصر إسماعيل وحتى نهاية عصر عباس الثانى تنعتها الصحف بـ«حرم أفندينا» حملت فى عهد السلطان حسين كامل لقب السلطانة وكانت زوجته المدعوة ملك من نعمت بهذا اللقب وكانت السلطانة الوحيدة فى تاريخ مصر الحديث إلى أن خلفه فؤاد بنفس اللقب وكان مطلقا وحين تزوج نازلى عام ١٩١٩ كان نظام السلطنة يؤذن بالزوال فأصبحت أول ملكة فى التاريخ المصرى الحديث.

وقدم فاروق السن بين الزوجين وسوء العلاقة الناجمة عن ذلك مساحة واسعة لموقف درامى فرض نفسه على عهد الملك فاروق وهو موقف لم يشهده أى من حكام مصر السابقين من أبناء أسرة محمد على.

جانب من هذا الموقف الدرامى بدا فى حرص نازلى على أن تستصدر من ابنها مرسوما ملكيا فور توليه سلطاته الدستورية بأنها ملكة مصر وقد دفعها إلى ذلك مخاوفها من أن يتزوج ابنها ممن سوف تدعى أنها ملكة مصر الوحيدة، وبالتالى أصبح لأول مرة فى تاريخ البلاد ملكتان الملكة الأم والملكة الزوجة من جانب آخر شجعت نازلى ابنها الصبى على أن يتزوج من شابة لا تنتمى إلى الأسرة المالكة صافيناز ذو الفقار حتى يكون لها التميز داخل

القصر وهى كلها أمور كان لابد أن تؤدى إلى سوء العلاقات بين الملكتين مما صنع جوا دراميا مثيرا زاد منه صغر سن الشابين ومهد لطلاقهما عام ١٩٤٨ بعد أن تسمت الملكة الجديدة باسم فريدة تيمنا بحرف الفاء الذى كان موضع تفاول الملك الراحل فؤاد الأول.

ويقى من المشكلات الأسرية لعهد الملك الصبى والتوصيف ليس من عندنا وإنما هو من عنديات السفير البريطانى فى القاهرة السير مايلز لامبسون الذى كان يصفه بالـboy فى مراسلاته السرية لحكومته فى لندن ما يمكن وصفه بعقدة ولى العهد فعلى الرغم أنه قد تزوج فى مستهل حياته إلا أنه لم يرزق من فريدة إلا ببنات مما كان من أهم أسباب سوء العلاقة بين الزوجين وكان ميلاد كل أميرة يصنع موقفا دراميا جديدا.

★★★

يلاحظ المتابعون كما كان يجرى فى قصر عابدين فى عهد آخر ملوك مصر اختلافا آخر فى طبيعة العلاقات التى سادت عن تلك التى كانت سائدة فى عهد الملك فؤاد فقد ظل الرجل رغم تقدمه فى السن يلعب دورا مركزيا يستخدم فيه بعض رجاله للهيمنة على البلاد ولكنه لم يعط الفرصة أبدا لأى منهم لأن يلعب دورا خاصا يختلف فى قريب أو بعيد عما يريده جلالته.

حدث هذا مع أشهر رجلين من رجال القصر سعيا لمد نفوذهما على الحكم حسن نشأت باشا خلال العشرينات وزكى باشا الإبراشى خلال الثلاثينيات.

الأول كان وراء قيام عهد زيوار واستبعاد الوفد بزعامة زغلول عن الحكم وكان وراء تأليف حزب الاتحاد الذى لم يجد الملك سياسيا كبيرا يجرؤ على رئاسته أمام الزعامة الطاغية لسعد باشا فكان نشأت محركه الأساسى ولم يمكن التخلص من الرجل إلا بعد تدخل المندوب السامى البريطانى والضغط على فؤاد الذى اضطر إلى التخلص منه بتعيينه وزيرا مفوضا فى إحدى العواصم الأوروبية وهو نفس ما جرى تقريبا لزكى باشا الإبراشى أى أن العاهل المصرى تفهم ببساطة أن هؤلاء الرجال مجرد أدوات يستخدمهم حينا لحاجة إليهم ثم لا يلبث أن يستغنى عنهم عندما تدعو الحاجة دون أن يرمش له جفن ومن ثم لم يكن لهؤلاء الرجال رغم دورهم الكبير أية مساحة درامية فى عهد الملك الراحل.

اختلف الأمر بالنسبة لفاروق على الأقل بالنسبة لكل من صاحبى المقام الرفيع على ماهر باشا وأحمد حسنين باشا اللذين توليا منصب رئاسة الديوان على التوالى وكانا الصانعين الحقيقيين لسياسة القصر خلال فترتى شغلهما لهذا المنصب خاصة الثانى حسنين باشا الذى جمعت بينه وبين فاروق علاقة خاصة ففضلا عن كونه مرشد الصبى خلال الفترة القصيرة التى قضاها فى لندن قبيل وفاة أبيه فقد تدرج فى وظائف القصر وكانت عينه ترنو طوال الوقت إلى منصب رئيس الديوان الذى قفز إليه بعد خروج على ماهر منه وكان أطول من عمر فيه حتى أودت بحياته حادثة سيارة عام ١٩٤٦.

ومازال كاتب هذه السطور يذكر أنه فى لقاء خاص فى منتصف السبعينيات مع الرجل الذى شغل منصب وكيل الديوان حينئذ حسن باشا يوسف قوله «إن حسنين باشا قد ربى مدرسة فى الديوان الملكى كان هو أحد تلاميذها».

الأهم من المدرسة الإدارية كان الدور السياسى والإنسانى فقد ظل يملى على الشاب الصغير كثيرا من مواقفه السياسية ولعل ما جرى أثناء تقديم السير مايلز لامبسون إنذاره يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ مطالبا الملك بالتخلى عن العرش يقدم أبرز هذه المواقف فقد كان تدخل حسنين فى اللحظة الأخيرة كما تجمع الدراسات التى تناولت الحادثة، هو الذى منع فاروق من التوقيع أما المواقف الإنسانية فحدث ولا حرج إذ لم يقتصر دوره على ما وفره من فرص المتعة للشاب الصغير خلال فترة وجوده فى لندن وإنما وصلت إلى زواجه بأمه الملكة نازلى وبرضاء فاروق نفسه الأمر الذى قدم معه حسنين نموذجا دراميا آخر لم يتوفر فى موظفى القصر السابقين بدءاً من عصر المعية السنية وانتهاء بعهد الديوان الملكى.

***

الاختلاف البارز الآخر الذى عرفه عهد فاروق عن عهد أبيه بدا فى سياسات القصر تجاه الحركة الوطنية وبالذات الأغلبية الساحقة التى كان يتمتع بها الحزب الشعبى الكبير الوفد والتى تمكنه من الوصول إلى الحكم بسهولة فى ظل أى انتخابات حرة.

تغلب فؤاد على هذه العقبة التى ظلت تحول دون فرضه لحكمه المطلق بسياسات إذا ما وضعت موضع المقارنة مع سياسات فاروق لبدت ساذجة للغاية فلم يجرؤ فى أى وقت على المساس بدستور ١٩٢٣ الذى وقعه وأقسم له يمين الولاء ومن ثم تحايل عليه بصورة أو بأخرى.

مرة بإرجاء العمل به إلى حين تعديله فى عهد زيوار ١٩٢٦-١٩٢٨ ومرة ثانية بوقف العمل به خلال عهد حكومة محمد محمود باشا والتى عرفت بحكومة اليد القوية ١٩٢٨-١٩٢٩ ومرة ثالثة بتقديم دستور بديل والذى عرف بـ«دستور صدقى» والذى ظل قائما بين عامى ١٩٣٠-١٩٣٤ وإن كنا نلاحظ أن هذا السياسى المصرى المشهور رغم جرأته لم يتمكن من التخلص من دستور ١٩٢٣ مرة واحدة وإنما أعلن فى بداية الأمر أنه بصدد تعديله.

وفى الحرب التى شنها فؤاد على الوفد كان أقصى ما استطاعوا اتهام أحزاب تدين له بالولاء حزب الاتحاد ١٩٢٥ وحزب الشعب ١٩٣٠ وقد تصور أنها قادرة بقوة الإدارة أن تنافس الحزب الشعبى الكبير وهو ما فشل فيه رغم أن الحزب الثانى كان رئيس وزرائه صدقى باشا نفسه.

المحاولة الوحيدة التى كادت تشق الحزب الكبير فى عهد فؤاد هى التى جرت عام ١٩٣١-١٩٣٢ عندما مال بعض من زعمائه إلى قبول فكرة صدقى باشا بالاشتراك فى حكومة قومية وكانوا ثمانية فأخرجهم النحاس باشا من الحزب الكبير وانتهى الأمر عند هذا الحد.

فى عهد فاروق اتبع مع الحركة الوطنية سياسات مختلفة أعطت زادا للعمل الدرامى لم يتوفر لها فى عهد أبيه، فهو قد وافق محمد محمود باشا الذى خلف الحكومة النحاسية بعد إقالتها آخر أيام عام ١٩٣٧ أن يجرى أول انتخابات مزورة بشكل صارخ فى التاريخ المصرى عام ١٩٣٨ وهو أمر مختلف جد الاختلاف عن الضغوط الإدارية التى كانت تمارسها الحكومات المؤتمرة بأوامر القصر فيما جرى عام ١٩٢٦ ولم تؤت بنتيجة مما ترتب عليه أن عرف عهد هذا الملك مجموعة من البرلمانات غير الوفدية والتى عمرت لأوقات طويلة لأنها تمتعت بالرضاء السامى وهى البرلمانات التى عرفت كثيرا من المفارقات تصلح لعمل درامى!

الأهم من ذلك ما اتبعه القصر فى عهد فاروق من محاولات شق الحزب

الكبير منها المحاولة التى جرت عام ١٩٣٨ بتشجيع النقراشى باشا على الخروج على الحزب الكبير تبعه صديقه الدكتور أحمد ماهر ليؤسسا الهيئة السعدية ولم يكن أى خروج فقد كان للرجلين ماضيهما فى الحزب الشعبى، تبعهم بعد أقل من خمس سنوات خروج مكرم عبيد سكرتير عام الوفد منه ليؤسس حزب الكتلة الوفدية وتنتهى أشهر علاقة بين صديقين فى السياسة المصرية صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا وصاحب المعالى مكرم عبيد باشا.

ولم تكن إصبع القصر بعيدة عن كل هذه الانشقاقات وبالذات الدور الذى لعبه حسنين باشا فى الوقيعة بين النحاس ومكرم عام ١٩٤٣ حتى أنه قد ترددت الأقوال وقتئذ أن المؤلف الذى وضعه مكرم تحت عنوان الكتاب الأسود وامتلأ بوقائع قصة الحكومة النحاسية الثانية أو هذا على الأقل ما ادعاه مكرم باشا قد طبع بمعرفة حسنين باشا، البعض يقول فى مطبعة بالقصر وآخرون يقولون فى مطبعة سرية خارجه وكيفما كان الأمر فقد تم بمعرفة حسنين باشا.

صحيح أن هذا الدور المختلف الذى لعبه القصر فى عهد فاروق قد أدى فى النهاية إلى إضعاف كافة اللاعبين على الساحة السياسية خاصة وأنه فى ظل هذه الصراعات غابت القضية الوطنية مما مهد لفاروق أن يكون اللاعب الوحيد فى الملعب وعلى الرغم مما وفره هذا الاختلاف من أوضاع درامية إلا أنه فى الوقت نفسه أخلى الجو لقوى أخرى لتدخل الساحة وتقضى على الجميع بالضربة القاضية!!.

أخطاء الثورة لا يمكن مقارنتها بخطايا «العبث الملكى»!

صلاح عيسى
مجلة روز اليوسف
٢٦ أكتوبر ٢٠٠٧

أى حدث فى التاريخ له مبرر لوقوعه، وحسب مسار التاريخ فإن الظروف التى كانت قائمة آنذاك تحتم قيام الثورة، ثورة يوليو ظاهرة تاريخية مبررة تماما، وحين وقعت كان الكثيرون ينتظرونها ولقيت ترحيبا شعبيا من السواد الأعظم من المصريين إدراكا منهم أن الواقع فى ذلك الحين كان يتطلب هذا التغيير الذى حدث فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

كانت مصر والجيش لايزالان يعانيان من آثار هزيمة الجيش المصرى فى حرب ١٩٤٨، أضف عليها الإشكاليات المتعلقة بتدهور الحياة الاقتصادية والتباين الشديد فى توزيع الدخول بين المصريين وافتقادهم العدالة الاقتصادية والاجتماعية.

- اللافت فى فترة حكم فاروق عموما وفى أواخر عهده عدم استقرار الحكم وعدم تطبيق الدستور وكثرة الانقلابات الدستورية، والتدخل فى الانتخابات بل وقع فاروق فى خطيئة كراهيته للوفد حزب الأغلبية وقتها، وأقال حكومة النحاس باشا فى أوائل حكمه، وبدأ يتحالف مع أحزاب الأقلية الصغيرة مثل الأحرار الدستوريين والكتلة الوفدية والسعديين منذ ٣٨ حتى ١٩٤٢ ثم من ٤٤ حتى ١٩٤٩ ثم من يناير ٥٢ حتى سقطت آخر حكومة فى عهده فى ٢٣ يوليو من العام نفسه إلا أن الأربع وزارات الأخيرة قبل الثورة لم

تكن من تلك الأحزاب وكان يطلق عليها وزارات «الموظفين» من شخصيات مهمة مستقلة خارج الإطار الحزبى مثل حسين سرى وعلى ماهر ووزرائهما كانوا من التكنوقراط.

فاروق كان رجلا انقلابيا مستهترا لا يحترم الدستور أو إرادة الشعب وهذا فض الجماهير عن عرشه!

- التأثير المباشر لهذه الانقلابات والتغييرات المستمرة فى الحكومة تسبب فى توقف المشروعات التنموية الأساسية ولم تتحقق، وكان النموذج الأبرز لحالة عدم الاستقرار يخص مشروع تعلية خزان أسوان لزيادة إنتاج الكهرباء والوقاية من مخاطر الفيضان وظل المشروع لسنوات طويلة وحين تبدأ وزارة فى تنفيذ إحدى مراحله كانت تتم إقالتها لتشكل وزارة جديدة، وهكذا حتى أصبح المشروع نكتة سياسية بسبب عدم استقرار الحكم وينسحب ذلك على جميع المشروعات.

كانت النخبة المصرية ترى أن ثورة ١٩١٩ التى قامت من أجل تحقيق الاستقلال والديمقراطية لم تستطع سوى تحقيق نصف استقلال ونصف ديمقراطية ولم تستطع استكمال أهداف الثورة الوطنية التحريرية كذلك نشأ تيار لم يعد يثق فى الديمقراطية الليبرالية المتحققة عبر ثورة ١٩ وبالتالى كان هناك إحساس أن الأمور وصلت إلى طريق مسدود فكان لابد أن يتم تغيير فى النظام السياسى فقامت على إثره الثورة!

بعد الحرب العالمية الثانية ونشوب الحرب الباردة بين المعسكرين امتدت الشرارة الثورية فى جميع الدول التى لديها رغبة لتحقيق الاستقلال الوطنى، وتأثرت دول العالم الثالث بالإنجازات التى أحرزتها النظم القومية التى قفزت فى مراحل تطوير مجتمعاتها مثل الفاشية والنازية، وكان الشعب المصرى نفسه على أهبة الاستعداد لهذا التغيير الجذرى فى السياسات وهذا ما مهد لثورة يوليو فيما بعد أن تعصف بالديمقراطية الليبرالية عصفا ولم يقاوم أحد مقاومة جدية وهو ما تكرر عندما قيدوا الحريات فلم يجدوا مقاومة وهذه الأمور والثورة لم تخص مصر بل شملت الدول العربية أيضا!

- ظهور الإخوان وحزب مصر الفتاة والحركات الماركسية كان مؤشرا لتفتيت ما سمى بالحلف الديمقراطى الذى كان يقود ثورة ١٩١٩ الذ ى كان

يمثله حزب الوفد وكان ظهور التيارات الحديثة ضد حزب الوفد واحتجاجا على سياساته وكان بعضها يميل للمهادنة مع القوة المسيطرة وإدراكا منهم أن إيقاعه الديمقراطى الليبرالى لن يؤدى إلى حسم القضايا التى يتمنى جيل الشباب الذى ولد على مشارف ثورة ١٩١٩ وكان منهم قادة ثورة يوليو تحقيقها!

- تلك الحركات والأحزاب رفضت الإيقاع التدريجى وكانت تريد نظما تقفز بمراحل التطور تعوض الشعب المصرى عن التخلف الاقتصادى والاجتماعى الذى يعيش فيه وتحقيق الاستقلال الوطنى وهو الذى أدى إلى خروج قادة ثورة يوليو من رحمها فكانوا فى الواقع أعضاء فى تنظيمات ماركسية سابقة وأعضاء فى الإخوان ومصر الفتاة وتكتلوا وقاموا بثورة ٢٣ يوليو تعبيرا عن هذه الفئات التابعة للطبقة البرجوازية الصغيرة!

هذه الشرائح الدنيا من الطبقة الوسطى تحديدا لعبت دورا فى جيلها الأول فى ثورة ١٩١٩ وكانوا يمثلون قادة المراكز الوسطى فى تلك الثورة ووقودها الأساسى ولذا كان يطلق عليها ثورة الأفندية.

أما الجيل الثانى من هذه الطبقة البرجوازية الصغيرة والذى ولد على مشارف ثورة ١٩١٩ والذى استفاد من معاهدة ١٩٣٦ التى أتاحت لأولادهم فرصا فى التعليم والالتحاق بالكليات العسكرية عاصروا الانقلابات الدستورية والصراع الدائم والدائر بين الجناح الاستبدادى داخل السرايا فى عهد الملك فاروق مع حزب الأغلبية كذلك مطالبهم بضرورة تحسين حالة الطبقات الشعبية خصوصا فى فترة الكساد العالمى الكبير ما بين ١٩٢٩-١٩٣٣ أعقبها حكم ديكتاتورى بشع فى الانقلاب الذى قاده إسماعيل صدقى لذا لم يكن مستغربا أن يكون والد جمال عبدالناصر وكيل مكتب بريد وكذلك والد أنور السادات كان كاتبا فى وزارة الصحة وهم الذين دخلوا الكلية الحربية وبدأوا فى تحضير الجيش المصرى ولهذا قامت ثورة يوليو لحماية الدستور ضد ما أسمته انتهاك الملك للدستور!

الضباط الأحرار حين تولوا السلطة لم تكن لديهم رؤى واضحة تماما وكانت فكرتهم الأساسية هى دعوة البرلمان الوفدى الذى كان تم حله آنذاك للاجتماع أولا للموافقة على أسماء الأوصياء على عرش الملك الصغير أحمد

فؤاد الثانى وثانيا تمهيد الأوضاع لانتخابات جديدة أو عودة حكومة الوفد لكن سرعان ما التف حولهم مجموعة من أعداء الوفد منهم عبدالرازق السنهورى باشا وعلى ماهر وفتحى رضوان والأغرب أنهم بدأوا حياتهم ملكيين وأنصارا لفاروق وأعداء للوفد لكنهم حين كرهوا الملك فاروق وعزلوه احتفظوا بعداوتهم للوفد وبتحريض هذا الفريق اقنعوا ثوار يوليو بترك الديمقراطية التى لم تحقق لنا شيئا وهذا شجعهم لإلغاء الدستور تحت دعوى أنهم سيضعون دستورا جديدا أكثر ليبرالية وبالفعل شكلوا لجنة وضعت هذا الدستور لكنهم فى اللحظة المناسبة اختاروا أن يحكموا حكما مباشرا ديمقراطيا ودارت بينهم مناقشة رواها فى مذكراته كل من عبداللطيف البغدادى وخالد محيى الدين حول دور الديكتاتورية فى تنمية المجتمعات وكان رأيهم أن الديكتاتورية هى التى أدت إلى نهضة ألمانيا وإيطاليا بعد هزيمتهما وبالتالى ألغوا هذا الدستور وقرروا أن يحكموا حكما عسكريا صرفا!!

من الخطأ التركيز على أخطاء الثورة كأنها لم تفعل شيئا وكأن النظام الملكى الذى كان قائما فى مصر يمكنه أن ينجز ما لم تنجزه وعموما الملكية أصبحت تاريخا ولا يمكن أن تعود فى تقديرى مرة أخرى لأن الأسرة المالكة فى ذلك الوقت كانت قد تشرذمت فى ذلك الحين وفاروق نفسه كان قد بدأ حياته محبوبا انطلاقا من كونه شابا صغيرا يحمل آمالا وتغييرات تمناها الشعب وبدأ عهده ولديه رغبة فى تلافى الأخطاء التى ارتكبها أبوه خاصة فى علاقته مع الوفد ولكن من يسمون برجال الملك فؤاد والده فى السرايا وكان يمثلهم على ماهر وأحمد حسنين سرعان ما جرفوه نحوهم فى العداء الصادم مع حكم الأغلبية إلا أن فاروق كان يتسم بدرجة عالية من الاستهتار وكان عنده فى تقديرى الشخصى نوازع انتحارية خصوصا فى السنوات الأخيرة من حكمه لأنه عرض عليه كثيرا جدا من البرامج التى كان يمكن أن تؤدى إلى شكل من أشكال الإصلاح ولكنه كان ملكا مستهترا عاجزا عن القيام بواجباته.

كانت بالفعل هناك محاولات قادها الأمريكان كما يقول «مايلزكوبلاند» فى كتابه أن السنوات الأخيرة فى عهد فاروق حاولنا دفعه للقيام بثورة من

الداخل لامتصاص الثورة التى ستنفجر فى وجهه وكانوا يخشون أن تقوم ثورة شيوعية فكانوا يحاولون دفعه لإصلاح أداة الحكم والتطهير والقضاء على الفساد وإشاعة نوع من العدل الاجتماعى وكذلك إقامة إصلاحات هيكلية فى طبيعة النظام القائم من الناحية الديمقراطية والاجتماعية تحديدا، فعرضوا عليه توزيع جزء من أراضيه على الفلاحين، كان يستمع كما يقول كويلاند للكلام بعض الشىء ثم بعد ذلك يظهر نوعا من الجدية ثم يعود إلى لهوه وعبثه!

برنامج ثورة يوليو لم يأت بجديد بل كان تجديدا وتجسيدا لبرنامج الحركة الوطنية المصرية فيما بعد الحرب العالمية الثانية ما يخص الإصلاح الزراعى الذى قامت به الثورة هو نفسه مشروع اقتراح قدمه ميريت غالى كان عضوا فى مجلس الشيوخ عام ١٩٤٥ بإدخال إصلاح زراعى فى مصر والاستيلاء على أراضى كبار الإقطاعيين وتوزيعها على صغار الفلاحين فكان هذا المشروع هائما فى الفضاء المصرى فى ذلك الحين كذلك تأميم قناة السويس فكرة مطروحة فى الأربعينيات وأيضا الانطلاق إلى تنمية اقتصادية تكفل حياة كريمة لفقراء المصريين مطلب شائع فى المجتمع المصرى!

وكما قلت إن الملكية انتهت ولا سبيل لعودتها وإن كنت أرى أنه لا يجوز المقارنة بين الملكية والجمهورية لأن الأساس فى تقييم نظام الحكم ليس أنه ملكى أو جمهورى وإنما المعيار هو ديمقراطى أو لا ديمقراطى! فعلى سبيل المثال هناك جمهوريات الموز المعروفة فى أمريكا اللاتينية ولا علاقة لها بالديمقراطية أو مقارنتها بنظام ملكى مثل بريطانيا والتجربة كشفت أن المسألة ليست بالمسمى خصوصا وكلا النظامين من وجهة نظر دارسى النظم السياسية له مزايا وعليه عيوب.

فاروق للإنصاف يكاد يكون أول ملك من أسرة محمد على يتربى تربية مصرية خالصة لأن فؤاد رغم تاريخه الديكتاتورى المفسد لكنه أراد أن يؤسس أسرة مالكة مصرية وخصوصا أنه كان لا يجيد العربية لكنه حرص على أن يدرس ابنه على يد أساتذة لغة عربية وعلماء دين مثل الشيخ المراغى وحاول من خلال ذلك أن يضع قواعد راسخة لأسرة مالكة مستمرة فى البلاد بعد تراجع الارستقراطية التركية لكن بخلاف فاروق كانت الأسرة المالكة بكل فروعها الأخرى أوروبية ونصف تركية ومعظمهم لا يعرف العربية.

فالمصريون كانوا بحاجة إلى حاكم ينتمى إليهم ليس ضرورة بالدم ولكن بالدفاع عن المصلحة لكن بما أنه لا يدافع عن المصلحة يبرز العنصر الأجنبى كنوع من أنواع الكراهية.

حاول البعض الانتقاص من قدر الثورة لأن الجيش الذى قام بها وليس القوى المدنية وهذا سببه ضعف الأحزاب السياسية التى كانت موجودة ولهذا تولى الجيش حسم الأمر لصالحه وكان يعى ما يفعل قبل أن يخطف الإخوان أو الماركسيون البلد.

ولا يستطيع أحد أن يقول إن ثورة يوليو لم تحز على تأييد المصريين بأغلبيتهم العظمى فيما عدا شرائح محدودة جدا كانت مرتبطة بالقصر ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الأغلبية كانت تؤيد عبدالناصر كيف يمكن أن ننكر أن مصر قبل الثورة كانت بلدا محتلا وفيه قاعدة عسكرية بريطانية تتحكم فى إرادته الوطنية كما كان شعبها يعانى فقرا وإملاقا وإذلالا لا يمكن لجاحد أن ينكر أن ثورة يوليو حررت مصر والأمة العربية ونقلت الشعب المصرى نقلة كبيرة ويكفى إذا نظرت إلى الطبقة الحاكمة فى مصر ألا تجدهم أبناء العمال والفلاحين وصغار الموظفين.

عهد من الاغتيالات والاعتقالات والأحكام العرفية

د. فاطمة سيد أحمد

مجلة روز اليوسف
٢٦ أكتوبر ٢٠٠٧

لم تكن الملكية العصر الذهبى فى تاريخ الأمة المصرية ولا يمكن لأحد الادعاء بأن أياً من أنظمة البلاد فى كل أنحاء المعمورة كان فى حيز البلاد المحجوبة التى لم يصل إليها الشر بعد أو أنها المدينة الفاضلة التى لم يرتكب أفرادها أيا من الآثام والرذائل، لقد كانت صفتا «المحجوبة والفاضلة» دائما فى خيال الأدباء والشعراء الذين يحلقون فى آفاق السماء لأنهم ضجروا بما يحدث على الأرض التى تحكمها صيروة الكون معادلة الخير والشر ولكل نظام فى العالم وجهان ولا يجوز أن يجور أحدهما على الآخر لأنه إذا حدث سيموت العدل الذى يحسم ذلك ولذا نجد أن الملكية وأدواتها الحزبية فى مصر كانت خير دليل على الوجه القبيح لمعادلة الحياة كما سنرى فى إلقاء الضوء على بعض محطات هذا النظام والتى تخص فى المقام الأول احترام الشعب وحريته.

ونبدأ بالمحطة الأولى التى يمكننا أن نطلق عليها الأحكام العرفية والتى طبقت فى مصر ٢١ نوفمبر ١٩١٤ مع نشوب الحرب العالمية الأولى وذلك عندما أعلن جون جرنفل ماكسويل قائد الجيوش البريطانية فى مصر بيانه الآتى: أولا إن السلطة التى تستعمل تحت إشرافى بمعرفة الإدارة العسكرية ليس الغرض منها الحلول محل الإدارة الملكية بل تعتبر تكميلا لها وعلى كل

الموظفين الذين فى خدمة الحكومة المصرية الاستمرار فى أداء واجباتهم بكل دقة فى وظائفهم وثانيا إن أحسن ما يمكن للأهالى عمله للصالح العام هو الامتناع عن كل عمل من شأنه تكدير صفو السلام العام وحسن النظام وطيب الخاطر ومتى اتبعوا ذلك لا يكونون معرضين لأى تدخل فى شئونهم من السلطة العسكرية، ثالثا: جميع الطلبات التى ربما تلزم الأحكام العسكرية من خدمات الأفراد ومما يملكون تكون قابلة للتعويض التام وتحدد قيمتها بمعرفة سلطة مستقلة إن لم يحصل الاتفاق عليها بين الطرفين. انتهى بيان ماكسويل لتكمل الحكومة المصرية آنذاك الحجر على حرية الشعب المصرى زيادة فى إرضاء المحتل الإنجليزى الذى سيدخل حربا مع تركيا وروسيا ليس لمصر فيها ناقة ولا بعير المهم أن عطوفة السيد رئيس وزراء مصر فى ذلك الحين كان إنجليزيا أكثر من الإنجليز وهو حسين رشدى باشا الذى قام عطوفته بإصدار بيانه هو الآخر والذى فرض فيه قانونا لمنع التجمهر والعقاب عليه واعتبر اجتماع خمسة أفراد على الأقل فى طريق أو محل عمومى ولو لم يكن حتى له قصد جنائى فهو جريمة متى يرى رجال السلطة أنه يجعل السلم العام فى خطر وخولهم هذا القانون أن يأمروا المتجمهرين بالتفرق ومن لم يطع الأمر يعاقب بالحبس لمدة اقصاها ستة أشهر أو بغرامة أقصاها عشرون جنيها ولم يكن فى قانون العقوبات من قبل مثل هذه العقوبة، واحتوى القانون على عقوبات أشد تصل إلى سنتين لمن يقاوم رجال السلطة فى تفريق التجمهر وقد تم وضع الرقابة على الصحف هذه هى المرحلة الأولى من فرض الأحكام العرفية والتى أعقبتها حزمة قوانين لما يمكن أن نطلق عليها أحكام عرفية والتى كان مصدرها معاهدة ١٩٣٦ وبنودها المضنية فى حق الشعب المصرى وما تضمنتها من تحالف الحكومة المصرية مع بريطانيا العظمى فى اتفاقية دفاع مشترك كحليف وبدأت تسرى الأحكام العرفية فى أول سبتمبر ١٩٣٩ بعد أن أعلن هتلر الحرب على بولندا وعليه قامت الحكومة المصرية برئاسة على ماهر بإصدار مرسوم بإعلان الأحكام العرفية فى البلاد وخول هذا المرسوم لرئيس الوزراء اتخاذ الإجراءات الكفيلة بالمحافظة على النظام والأمن العام فى جميع أنحاء المملكة وذلك تنفيذا لنص المادة السابعة من المعاهدة التى تنص على أنه إذا اشتبك أحد الطرفين فى حرب فإن الطرف الآخر يقوم فى الحال بنجدته بصفته حليفا وتنحصر معاونة صاحب الجلالة

ملك مصر فى حالة الحرب أو خطر الحرب الراهن أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها وبناء عليه فإن الحكومة المصرية يجب أن تتخذ جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية بما فى ذلك إعلان الأحكام العرفية وإقامة رقابة كاملة على الأنباء لجعل هذه التسهيلات والمساعدة فعالة وتطبيقا لذلك ومنذ ٣ سبتمبر ١٩٣٩ وهو اليوم الذى أعلنت فيه إنجلترا دخولها الحرب قررت الحكومة المصرية فرض الرقابة العامة على جميع الأراضى المصرية وتشمل المكاتبات والمطبوعات والمراسلات داخل البلاد وما يرد إليها وما يصدر عنها وعلى الأخبار والمعلومات وصارت المصالح الحكومية والمؤسسات والشركات والصحف ملزمة بالخضوع لأحكام هذه الرقابة وتوالت الأوامر العسكرية بإنشاء تفتيش للبواخر بميناءى بورسعيد والسويس لضمان سلامة القناة ضد هجمات أعداء بريطانيا لتعطيل الملاحة بها مع استثناء سفن بريطانيا وحلفائها من هذه الإجراءات وأعلن رئيس الوزراء على ماهر حالة التعبئة العامة فى البلاد وأحكمت الحكومة اتخاذ الإجراءات الكفيلة بحفظ الأمن والنظام داخل البلاد بفرض عقوبة الإعدام على من يضبط متلبسا بالتجسس لصالح أعداء بريطانيا وحلفائها واعتبار القاهرة والإسكندرية ومنطقة قناة السويس والصحراء الغربية مناطق خاصة يجوز تنفيذ الأحكام العرفية بها حفاظا على الأمن العام.

وقد استغلت بريطانيا الإمكانيات المصرية لمساندتها فى حربها كما جرى فى الحرب العالمية الأولى مع الفارق فبدلا من إعلان الحماية وفرض الأحكام العرفية عن طريق بريطانيا فإن الحكومة المصرية تولت هذه المهمة نيابة عنها منعا لإثارة الرأى العام المصرى نتيجة لنمو الوعى القومى عما كان عليه الحال فى عام ١٩١٤.

وكيفما استغلت بريطانيا الإمكانيات المصرية نتيجة الأحكام العرفية استغل أيضا الملك وحاشيته قصره والحكومة المصرية «الأحكام العرفية» وطبقت على الصالح والطالح وكانت ذريعة البطش لكل من يقف أمام الحكومة والقصر وتعددت الاعتقالات وزادت عن الحد فى الزج بالسجون أو تحديد الإقامة أو النفى بعيدا عن الأعين والسراى ونسوق مثالين طبق عليهما هذا ولا نغفل سلسلة الاعتقالات التى شملت كلا من على ماهر

ومحمد طاهر وغيرهما ولكن يستوقفنا فعلان على وجه الخصوص الأول اعتقال مكرم عبيد لأن من اعتقله هو صديقه الحميم مصطفى النحاس والذى كان يعتبر مكرم بالنسبة له الرأس المفكر واليد اليمنى ولكن هذا لم يشفع له فى ألا تطوله يد الاعتقال بموجب الأحكام العرفية ولذلك قصة كان البطل فيها القصر الملكى بقيادة فاروق وذيله الملتوى أحمد حسنين وكان ذلك عندما سحب النحاس من مكرم وزارة التموين التى كان يحمل حقيبتها مع وزارة المالية وأراد النحاس بذلك أن يقلع ريش صديقه اللدود مكرم بعد أن رفض الأخير قائمة استثناءات أرسلها له رئيس الوزراء النحاس لترقية بعض أقاربه وأعضاء بحزب الوفد ورفض مكرم هذا ليس بالطبع من أجل الشفافية أو القضاء على الوساطة - لا سمح الله - ولكن من أجل أن يثبت للنحاس أنه ليس بالمؤتمر منه وأن فى إمكانه وهو وزير والآخر رئيس وزراء أن يرفض له طلبه وكان هذا الفعل من قبل مكرم بعد أن استمد ضوءا أخضر أو أحمر من القصر وكان ذلك مع بداية عام ١٩٤٢ عندما استقبل الملك مكرم عبيد للمرة الثانية فى القصر بدون علم النحاس ورغم أن لا أحد يعلم ما دار فى هذا اللقاء بينهما إلا أن القصر كان يتابع خلافا قد دب بين النحاس رئيس حزب الوفد والذى رشحه مكرم نفسه ليتولاه بعد موت سعد زغلول والواقع أن القصر وحسنين بالذات كانا يلعبان الدور بمهارة لتوسيع فجوة الخلاف وقد أرسل الملك إلى النحاس أيضا واستمع منه إلى تفاصيل الخلاف وما أن انتهى من سماعها حتى قال للنحاس إنك لمعذور إن احتملت كل ذلك من مكرم وصبرت عليه ولا شك أن فاروق كان طرفا مهما فى هذا الخلاف وباعثا عليه وذلك عندما طلب من النحاس أن يقدم استقالة الوزارة ويعيد تشكيلها دون مكرم وقد فعل النحاس هذا وأكثر أنه فصل مكرم أيضا من سكرتارية الحزب وهنا لم يقدر مكرم أن يكبح غضبه وهو الذى يتمتع بقسط وافر من العصبية والانفعال وعليه قام بإصدار مطبوعه الشهير الكتاب الأسود الذى عدد فيه وأحصى الفساد والمخالفات المالية للنحاس وزوجته على وجه الخصوص للتنديد الشديد بهما وقد طبع ذلك فى سرية كاملة عن أعين الحكومة وأعانه القصر الملكى على هذا وكان أحمد حسنين يتابع إنجازه وخطواته وادعى مكرم أن هدفه من كتابه الأسود التمهيد لإقامة حكم نزيه وهى النغمة التى كان يرددها كل من انفصل عن حزب الوفد لسبب أو

آخر ومع الأسف لم يحقق أيهم هذا الحكم النزيه على أى حال كان هذا الكتاب وسيلة مكرم لمطالعة الرأى العام بما يجرى فى دوائر حكومة الوفد وقد أرسل مكرم نسخا من هذا الكتاب إلى بعض أعضاء مجلس الشيوخ الذين كان منهم الرافعى الذى لم يرض عن الوسيلة التى أدار بها مكرم معركته مع حزبه لأن هذا الكتاب أرسل إلى الوكالات الأجنبية وقال الرافعى إن هذا الكتاب مع ما فيه من المطاعن إذا اطلع عليه غيرنا كان ذلك مدعاة إلى التشكيك فى نزاهة الأمة ونظامها البرلمانى وقد تتخذ حجة علينا فى المستقبل خصوصا إذا صدرت من وزير سابق اشترك فى الانتخابات العامة التى حدثت ولا يمكن أن يطعن فى صحة هذه الانتخابات بطعنه على الحكومة التى تولت الحكم نتيجة لهذه الانتخابات التى باشرها واشترك فيها كما اشترك فى الترشيح لها وأضاف الرافعى ومن يدرينا أن يقوم رجل مثل اللورد دفرين الذى قال فى تقريره «إن مصر لا تصلح للنظام النيابى أو يقوم آخر ويعلن ما أعلنه كرومر الذى ذكر فى كثير من تقاريره أن الأمة لا تصلح للنظام الدستورى وقال الرافعى أيضا إنه لا يستحسن رفع هذا الكتاب إلى الملك كما فعل مكرم لأن تقديمه إليه معناه أن البرلمان لا يمكن أن يفصل بنزاهة وكفاءة فى التهم المذكورة فى الكتاب.

وعلى الرغم من أن الحزب رد على بعض ما جاء فى الكتاب الذى كان يحوى جانبا كبيرا من الحقيقة والجانب الأقل افتراء بكتاب أطلق عليه الكتاب الأبيض ومع هذا فإن النحاس لم ينس لصديقه الحميم الذى أصبح لدودا أن يقف الأمر عند هذا الحد فعلى إثر طبع الكتاب الأسود وتوزيعه وما أثير من حوله رأى النحاس أن لمكرم نشاطا ضارا لا يجوز معه أن يتمتع بحريته ولذلك فقد أمر بوصفه السلطة القائمة على تنفيذ الأحكام العرفية باعتقاله.

ونأتى لاعتقال «على ماهر» والذى كان بإيعاز من بريطانيا وذلك عندما رفض «على» الدخول مع إنجلترا الحرب ضد ألمانيا بناء على مشورة عبدالرحمن عزام وكان على رئيسا للوزراء فى هذا الوقت فتوعده السفير البريطانى لامبسون وبعد ثلاثة أشهر استقال على ماهر وقبضت عليه السلطات البريطانية وأودعته قصر واصف غالى باشا بالعياط فى الجيزة

وبذلك نجح لامبسون في الانتقام من على ماهر بإقناع السلطات البريطانية بضرورة القبض عليه بحجة أنه خطر على أمن الحلفاء في المنطقة، حكاية الاعتقال الثالث الذى أسوقه الآن البطل فيها حاول أن يلعب على كل الأحبال وأن يثبت بشتى الطرق أنه لم يفعل شيئا باتا يا دوب بس شوية تحريض في الجورنال كما يقول هو نفسه في مذكراته إنه أحمد حسين رئيس مصر الفتاة وهي جماعة نشأت عام ١٩٣٣ وكانت محلية أى أنها ليست لها اتصالات دولية وفى عام ١٩٣٨ سميت بـ«حزب مصر الفتاة» وكان لهذا الحزب جريدة مصر الفتاة الاشتراكية و كانت قد صدرت في ٢٦ يناير عام ١٩٥١ ومانشيتاتها تحمل عنوان فضيحة شركة سعيدة ويذكر أحمد حسين أن الفضائح التى ساقها في مقالته لم تتحدث عنها الصحف إلا بعد سقوط الملك وأن عنوان مقالته كان «تحرك أيها الشعب» ويضيف حسين أن المقالة كانت كالقشة التى قصمت ظهر البعير من أمثال فاروق وسراج الدين وزير الداخلية آنذاك وحكومة الوفد كلها فاجتمع مجلس الوزراء في المساء وأصدر أمره بإلغاء جريدة مصر الفتاة وعليه كما يقول حسين بلغ توزيع هذا العدد الذى ألغيت الجريدة على إثره عشرة آلاف نسخة وكان ذلك بالنسبة لهم يعتبر شيئا خياليا وأقام حسين دعوى ضد الحكومة يطالب فيها بإعادة جريدته ويذكر أن نقابة الصحفيين تدخلت في القضية كخصم ثالث وأوفدت محاميها فتحى رضوان المهم أنه صدر حكم مجلس الدولة بإعادة الجريدة التى واصلت كشفها لفساد الملك والقصر والحكومة وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ اعتبره أحمد حسين أطول يوم في حياته حيث كان حريق القاهرة الشهير ولكن الغريب في الأمر أن حسين يذكر في مذكراته أنه كان مريضا وأن زوجته هي التى أخبرته بالحريق وعليه قام بعدة اتصالات لحماية نفسه وكان أولها لـ«على ماهر» ويقول حسين كانت أخبار اليوم أو آخر ساعة قد أجرت استفتاء للشعب فيمن يقترحه رئيسا للوزارة في ذلك الوقت وحدث أن كنت في الحجرة المخصصة لجمع أوراق هذا الاستفتاء فوجدت أكداسا من الأجوبة التى ترشح على ماهر لرئاسة وزارة قومية انتهى كلام حسين الذى يذكر في موضع آخر إنه بعد نشوب الحريق الاتصال الأول له كان بـ«على ماهر» في منزله وقد أراد حسين من هذا الاتصال موقفين لصالحه الأول أن بالتأكيد الشعب سوف ينادى بعلى ماهر رئيسا للحكومة ومن هنا فإنه يريد

رضاء على ومن ناحية أخرى فإن هذه المكالمة ذكر فيها لـ«على» أنه مريض بالفراش ورغم أن على استغرب مكالمته ورد عليه باقتضاب ثم اتصل به فى منزله ليتأكد من أنه ليس فى مكان آخر ويقوم بالاتصال للإيقاع به كما يذكر حسين فى مذكراته إلا أنه وعلى الرغم من إحساس حسين بالخطر الذى ارتكبه عندما حث البوليس والشعب بالتحريض لـ«حرق البلاد» فقد نفعه المرض وفر هاربا إلى الإسكندرية بصحبة إبراهيم شكرى إلا أن زوجته أبلغته تليفونيا بأن البوليس يبحث عنه وأن وزارة النحاس سقطت وأن على ماهر ألف الوزارة الجديدة واعتقد حسين أن على الذى اتصل به فى بداية الحريق وأثبت له أنه فى منزله لن يكون إلا مدافعا عنه لأنه هو من بشره بأن عليه أن يكون رئيسا للحكومة ليتم إنقاذ البلاد وقال حسين أكيد على سيذكر لى ذلك ولست أطمع أن أكون وزيرا ولكن أن يلغى الأمر الصادر باعتقالى والذى يبحث البوليس عنى فى كل مكان لتنفيذ أمر الاعتقال الذى صاحبته شائعة من سراج الدين وزير الداخلية بأن أحمد حسين قبض خمسين ألف جنيه ثمنا لحريق القاهرة وهناك أناس تقسم بأنهم شاهدوه يخرج من السفارة الإنجليزية وردد العامة ذلك الكلام وقد تم القبض على أحمد حسين وأودع سجن الأجانب وكانت الصحف تشير إلى أن التحقيق فى موضوع التحريض على حوادث ٢٦ يناير ماض فى طريقه وأنه قد عهد به إلى عبدالحميد أبوشنيف رئيس نيابة الصحافة ويذكر حسين بأن ذلك كان بمثابة نذير شر فاختيار رئيس نيابة الصحافة بالذات لتحقيق موضوع التحريض معناه أنه سيتخذ مما نشر فى الجريدة مادة لهذا التحريض ويضيف إن نزاعا قام بين سراج الدين وبين الحكومة حول المسئولين عن حوادث ٢٦ يناير فنشر بيانا مدويا فى جريدة المصرى عرض فيه بمسئولية القصر ورجاله عن عدم إنزال الجيش فى موعده لقمع هذه الحركة الفوضوية التى أدت إلى الحريق وتسلل أصحاب الشغب والسوابق للنهب والسرقة وترويع المواطنين المهم أن أحمد حسين حكم عليه فى ثلاث قضايا خاصة بالتحريض بالنشر وبالعيب فى الذات الملكية والتحريض على قلب نظام الحكم بستة أشهر عن كل قضية انتقل بموجبها من سجن الأجانب إلى سجن مصر وفى الوقت نفسه كانت المحكمة العسكرية العليا قد أصدرت أحكامها فى حوادث الحريق عمن قاما بارتكابها ما بين أشغال شاقة مؤبدة و١٥ عاما.

وإذا كان الملك والقصر قاما بتدبير المكائد لتكون الأحكام العرفية العصا التى تمسك بها يد الحكومات المتوالية للبطش فى الاعتقالات بالصالح مع الطالح كما رأينا فى الأمثلة السابقة إلا أنهما أى الملك والقصر لم يقفا عند هذا الحد وامتدت أياديهما بالمساعدة والتحريض على ارتكاب سلسلة من الاغتيالات التى كان باعثها الأول حالات القمع التى كانت تتم لكل من تخول له نفسه أن يقدم على عمل سياسى أو غيره من وجهة نظر القائمين على هذا البوليس السياسى فكانت البداية اغتيال أحمد ماهر فى ٢٤ فبراير عام ١٩٤٥ بإيعاز من السراى والإنجليز بعدما أعلن الحرب على المحور من جانب مصر على الرغم من أن الحرب قد تحدد مصيرها لصالح الحلفاء إلا أن الرأى العام كان مشحونا ضد الإنجليز مما أدى إلى اغتياله.

وفى عام ١٩٤٨ وعلى إثر حل جماعة الإخوان المسلمين بواسطة رئيس الوزراء آنذاك النقراشى فقد قامت عدة حوادث اغتيال لمسئولى الحكومة وقد بدأ هذا عندما أنشأت الجماعة الجناح السرى أو الخاص لإرهاب المواطنين والحكومة معا الأمر الذى استوجب إصدار الأمر العسكرى بحل شعبتى الإخوان بمنطقتى الإسماعيلية وبورسعيد وحاول حسن البنا أن يسد هذه الثغرة ويسوى الموقف مع رئيس الحكومة آنذاك النقراشى ولكنه لم يجد منه أى استعداد فما كان من الإخوان إلا إعداد العدة لاغتيال النقراشى والتخلص منه بعد أن تخلصت من أحمد الخازندار وكيل محكمة استئناف مصر الذى قام بإدانة بعض أعضاء الجماعة لاستخدامهم القنابل والأسلحة النارية فأخذوا يتربصون به حتى قاموا باغتياله وقد ثبت أن أحد قاتليه كان سكرتيرا خاصا لحسن البنا أما اغتيال النقراشى بواسطة الإخوان أيضا فكان بخطة محكمة تماما فقد قامت الجماعة بداية وكعهدهم يعددون الممارسات والأفعال التى ارتكبتها حكومة النقراشى وخاصة قيامهم باعتقال الإخوان ووقف نشاطهم واعتقال من أسموهم بالمجاهدين فى حرب فلسطين وكانت نتيجة هذا أن قام أحد شباب الجماعة باغتيال النقراشى بطريقة محكمة تماما فى حين خرج الإخوان ببيان يقولون فيه «لقد اندفع أحد الشباب المتحمس الغيور على دينه ومن هذه الشعارات التى يصبغونها بالدين قام أحد ضحاياهم بقتل النقراشى حين كان متوجها إلى وزارة الداخلية

فتقدم منه هذا الشاب مرتديا ملابس ضابط بوليس وحياه بتحية عسكرية ثم أخرج مسدسه وصوبه نحوه فأرداه قتيلا فى الحال وألقى القبض على الشاب الذى قال فى استجوابه إنه قتله لأنه حل جماعة الإخوان وتوعد السعديين بإيعاز آخر من السراى الملكية بأن يثأروا لرئيس حزبهم من الإخوان وقد كان فقد قام أيضا شاب ينتمى إلى حزب السعديين بالانقضاض على حسن البنا مرشد الإخوان وهو خارج من جمعية الشبان المسلمين وأخذ يطلق عليه الرصاص ولفظ البنا أنفاسه فى المستشفى فور نقله ولم تقف سلسلة الاغتيالات عند هذا الحد بالإيعاز المستمر من الملك وحاشيته وربما قصة مقتل أمين عثمان وعلاقة الرئيس الراحل السادات بها توضح مدى استغلال القصر للإطاحة بمعارضيه أو من يمارس ضغوطا عليه ويذكر أن الضابط محمد أنور السادات كان مطرودا من الجيش بسبب اتصاله ببعض المصريين المتصلين بالجواسيس الألمان فى مصر أثناء الحرب العالمية الثانية وكان الغرض من الاتصال هو إصلاح جهاز لاسلكى تعطل لديهم حيث كان يعمل السادات فى هذا الوقت بسلاح الإشارة فى المعادى فأجرى إصلاح الجهاز وتصادف أن كان هؤلاء الجواسيس تحت رقابة من الجيش البريطانى الذى أخطر وبالتالى الحكومة المصرية بهذا الاتصال فطرد الضابط السادات من الخدمة واعتقل وبعد أن خرج من الاعتقال أخذ يطوف بالأحزاب ورجال السياسة والإخوان المسلمين لعل أحداً يساعده فى العودة إلى الجيش فلم يوفق وعرف أن الأمر فى يد الملك فاروق وحده وتصادف أن تعرف السادات بطالب يدعى عمر حسنين أبوعلى وهو شقيق أحد الضباط المعروفين لدى السادات وكان هذا الطالب عضوا فى جمعية الشباب المجاهد التى ألفت فى أوائل الأربعينيات وكان أعضاؤها كلهم من الطلبة ويرأسها حسين توفيق نجل محمود توفيق أحمد باشا وكان هدف هذه الجماعة ينحصر فى محاربة الإنجليز وارتكاب حوادث الاغتيال ضدهم كعمل من أعمال الوطنية والسعى وراء استقلال البلاد وعن طريق الطالب عمر حسنين تعرف الضابط أنور السادات بحسين توفيق واجتمعوا ثلاثتهم فى قهوة متاتيا تحت البواكى وقتها مقابل حديقة الأزبكية وارتبط السادات بهذه الجمعية وذكر النائب أنور حبيب ممثل النيابة فى محاكمة مقتل أمين عثمان أن السادات وجد فى حسين توفيق ضالته المنشودة وعلى هذا الأساس اتصل السادات بالدكتور يوسف

رشاد ياور الملك فاروق وأقنعه بأنه يستطيع قتل خصوم الملك فى حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ وهم النحاس باش وأمين عثمان باشا فجاءته الموافقة ووعد بإعادته إلى صفوف الجيش بعد التنفيذ استغل الفرصة ووجه الجماعة وجهة جديدة لم يكونوا قد طرقوها بعد وهى قتل المصريين وقد اختار لهم قتل النحاس وأمين عثمان عقابا لهما على خيانتهما للوطن فى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وهى أن جعلا السفارة البريطانية تضغط على الملك بأن يشكل حكومة النحاس وقد هددت بريطانيا الملك بأنه إذا لم يقبل فسيكون الانقلاب ضده وكانت الدبابات البريطانية تقف تحت القصر لتنفيذ التهديد البريطانى مما جعل البعض من الساسة يذكرون أن النحاس جاء الوزارة على رماح الإنجليز وأن المخطط لهذا أمين عثمان صديق البريطانيين الحميم المهم أن الجماعة التى حرضها السادات اختارت حسين توفيق للتنفيذ فتوجه مساء يوم ٥ ديسمبر ١٩٤٥ إلى شارع قصر العينى بالقرب من النادى السعدى الذى يتردد عليه يوميا النحاس وانتظروا مرور السيارة فألقى عليها قنبلة انفجرت بعيدا عنها فلم تصبها وذلك بسبب ازدحام المرور وقت ارتكاب الحادث وكان المتفق عليه أن تتعطل السيارة بسبب القنبلة فيقوم حسين بإطلاق النار على النحاس واتفقت الجماعة بعد ذلك أن يقتل أمين عثمان ومن الطبيعى أن النحاس سيسير فى الجنازة فيقتل أثناء ذلك وانتدبت المجموعة حسين توفيق للتنفيذ فتوجه يوم ٦ يناير عام ١٩٤٦ إلى دار رابطة النهضة فى شارع عدلى وقت الغروب وانتظر قدوم أمين عثمان ودخل وراءه وأطلق عليه الرصاص فأرداه قتيلا ثم خرج وطارده الناس إلى ميدان الأوبرا فأطلق عدة طلقات لكنهم تبعوه فألقى قنبلة فتفرق الجميع وهرب وذهب إلى منزله وتم القبض عليه هناك ودليل تورط الملك فى هذه الاغتيالات أنه تم مساعدة حسين توفيق على الهرب أثناء المحاكمة ولجأ إلى عمان وقبض عليه الملك عبدالله فلحق به مصطفى أمين وأقنع الملك عبدالله بإخلاء سبيله بناء على رغبة الملك فاروق فأخلى سبيله ولجأ إلى سوريا ولحق به الأميرالاى محمد يوسف بتوجيه من السراى ورتب له أموره هناك وعاش فيها فى كنف السلطات.

هل يوجد أكثر من ذلك موالسة من الملك والقصر لتحقيق سلسلة من الاغتيالات فى هذا العصر الغابر من حكم مصر وقد يدهشنا أن الملك الذى

حرض من أجل اغتيال النحاس فى عام ١٩٤٩ هو الذى عينه فى عام ١٩٥٢ إثر حريق القاهرة حاكما عسكريا على البلاد وقام مصطفى النحاس بدوره بتقديم اقتراح حكومى بإعلان حالة الطوارىء ليصبح حاكما عسكريا شرعيا بعد أن قام فؤاد سراج الدين وزير الداخلية وقتئذ باعتقال ٢٥٠ شخصا وأعلن وقف الكفاح المسلح فى منطقة القناة واسدل الستار فهل لنا أن نبكى أطلال هذا العهد؟

الرجوع للملكية فضيلة !

أسامة أنور عكاشة

جريدة الدستور
الجمعة ١٩ أكتوبر ٢٠٠٧

فليكف المصريون جميعا عن المطالبة بالإصلاح السياسى فى ظل النظام الجمهورى، لأن هناك رايات أخرى يجب أن ترفع لتحمل شعارات الندم القومى العام الذى يعصف بقلوب الجميع ويجعلها تخفق وتهفو لزمن الملكية السعيد الذى قدمه لهم ذلك المسلسل التذكارى الموشى بالذهب وطرح من خلاله جو السرايات والأبهة الملكية والتيجان التى تزين هامات الملك والملكة الأم والأميرات وحتى الخدم والحشم والشماشرجية ورجال الديوان!.

وبداية.. وحسما لأى لجاج فأنا لا أتحدث هنا عن المسلسل كعمل فنى أجاد صناعه تقديمه فى إطار جذاب من خلال جهود تضافر فيها ما بذلته الدكتور لميس جابر التى انكبت على الأوراق طوال سنوات.. تقرأ وتسجل قبل أن تكتب السيناريو.. وما قدمه السورى النابه حاتم على من مستوى إخراجى يستحق الإشادة.. وكذلك مواهب مجموعة من فنانى التمثيل فى مصر أثبتت علو الكعب ورسوخ القدم وأصالة الموهبة.. كل مفردات المسلسل فى الواقع خارج السياق الذى أتحدث فيه.. لأن حديثى يتركز حول «جوقة» الكتبة التى تجمع أفرادها وتنادوا أن الفرصة قد لاحت من جديد لركوب متن عمل فنى وتحويل لجامه إلى ثأر الجهل القديم.. الذى لم يختلفوا فيه عن فرسان

الجهل المطبلين والمزمرين فى شـادر النفاق المقام على أعتاب ضبـاط يوليو ١٩٥٢!! فالجهل هو الجهل مهما اختلفت البواعث وتباينت الأزمان!.

فالجهلة الذين رفعوا أعلام جهلهم نفاقا لثوار ٥٢ أنكروا إنجازات العصر الليبرالى الذى كان، ووصموه بكل النقائص وألصقوا به كل أسباب التدنى والانهيار ولم يكتفوا بإدانة فساد القصر وجريه ضد الديمقراطية وضد حزب الوفد.. حزب الأغلبية الساحقة المعبر عن ضمير المصريين.. بل لم يذكروا هذه الإدانة عـمـدا تقـربا وزلفى لضبـاط الحـركـة.. فكانت أول خطوة على طريق الديكتاتورية الجديدة.. ومثلهم تماما يفعل جهلة الوقت الحاضر الذين يرفعون لافتات «إعادة الاعتبار لفاروق ونظامه الملكى» محاولين أن يزرعوا فى وعى أجيال بعد بها العهد عن زمن فاروق وأهله.. وأجيال لم تعرف عنه شيئا بسبب نظام التعليم وتدريس التاريخ فى مؤسساتنا المحروسة التى تركت رءوس الطلبة والطالبات كالطبل الأجوف لا يحوى إلا رنين ما يدق عليه.. ولا يصدر عنه إلا صدى هذا الرنين.. وها قد جاء سدنة الجهل وتزوير الوعى ليدقوا بعصيهم على الرءوس الفارغة وليحملوا رايات البكاء على الملكية التى اغتالها عملاء المخابرات الأمريكية ليحرموا المصريين من جنة ملوكهم.. ولأنهم – أى المصريين – قد تجاوبوا مع الضباط وهللوا فرحا لسقوط فاروق الأول.. فهم يحملون وزرا تاريخيا عليهم أن يذرفوا الدموع أسفا عليه وندما.. بل وجب عليهم أن يسيروا فى مسيرات عقاب الذات، كما يفعل الإخوة الشيعة فى ذكرى الإمام الحسين رضى الله عنه.. وعليهم أن يحلقوا رءوسهم ويضربوها بالأمواس التى تدميها.. وأن يجلدوا أنفسهم بالسلاسل.. ويهتفوا «يا فاروق.. يا فاروق» وأعتذر عن تشبيه غير وارد بين اسمين تبعد الشقة بينهما بعد الثرى عن الثريا.. ولكنه مجرد إشارة لما انجرفت إليه أقلام وحدث بين عدوين: السراى الملكية وساكنها فى جانب.. وجموع الشعب وزعمائه الحقيقيين فى جانب آخر.. وانزلقت هذه الأقلام إلى ضرب من ضروب الفوضى التحليلية المتطفلة على تاريخ ثابت وموثق.. وانتقت من شذارته التى تميل إلى نظرة متوازنة فى الحكم على ما كان وبطريقة «المونتاج» راحت تتغنى بمآثر الملك سيىء الحظ الذى يمتلىء حبا للمصريين، ولكن قاتل الله بطانة السوء وحاشية الضلال.. فهم من حالوا بينه وبين الشعب الذى أحبه.

فاروق فى نظرهم ضحية «للظروف السيئة» التى عاندته ولمعاملة أبيه القاسية ومعاملة اللورد كيلرن «السير مايلز لامبسون الفظة والتى منعت الملك المغلوب على أمره من الدفاع عن حقوقه الدستورية! لا يسأل أحدهم نفسه عن الحقوق الدستورية التى كفلها دستور ٢٣ للأحزاب الليبرالية المصرية والتى وطأها فاروق بقدمه فى كل مناسبة.. ولا يسألون عن وقوفه بالمرصاد لمصطفى النحاس.. زعيم الشعب المنتخب وتآمره الدائم عليه.. ولا يسألون عن أموال الشعب التى أهدرت فى كابرى وموناكو وإكس ليبان وغيرها من مغانى أوروبا التى كان يرتادها كل عام.. ناهيك عن موائد القمار وجلساته الليلية فى أوبرج الأهرام ونادى السيارات ومرابع عبث ومجون وسفه مولانا الملك المعظم.

لم يسألوا ضمائرهم: من الذى أسقط ملكية أسرة محمد على قبل ثورة يوليو وجعلها أشبه بالثمرة الناضجة التى سقطت دون أن يلمسها ضباط «جيشه العزيز» وانحصر دورهم فى «كنس» هذه الثمرة المعطوبة الساقطة وإلقائها فى مزبلة التاريخ!.

وتغافلوا عن حقيقة أن فاروق الأول ثانى ملوك الأسرة الألبانية الحاكمة هو وحده من أسقطها بحماقته وغروره وانحرافاته التى كانت مادة ثرية لصحافة الفضائح فى أوروبا وكانت عارا يندى له الجبين خجلا وجعلت كل المصريين على اختلاف انتماءاتهم ينتظرون فى لهفة يوم زوال هذه الغمة.. لم يسأل هؤلاء السادة «الملكيون.. ضحايا نوستالجيا زمن العز والفخفخة وأحلام القصور.. لم يسألوا وهم يكتبون اليوم مقالاتهم وأعمدتهم الصحفية: لماذا لم يدافع المصريون عن مليكهم «الحليوة.. ابن البلد.. أبو دم خفيف» ولم يضربوا هؤلاء الذين هتفوا بسقوطه فى كل ميادين مصر «قبل نجيب وعبدالناصر بسنوات»؟ ولماذا لم يندفعوا إلى شوارع الإسكندرية يوم سمعوا ذات صباح البيان الأول من الراديو.. ليذودوا عن حمى النظام الذى التفوا حوله فى زعم السادة المرجفين؟.. بل بقى السؤال الأكبر: لماذا قامت حركة يوليو أصلا؟.. هل لأن ضباطها كانوا عملاء للمخابرات المركزية أم لأنهم كانوا يعبرون عن إرادة شعبية ترفض ملكا كملوك الكوتشينة لم يقدم لبلده إنجازا واحدا يمكن أن يخزى عين الشيطان؟!.

جميل ورائع أن نحاول إعادة التوازن للنظر فى تاريخنا بشرط أن ندرك فى وضوح أن هناك أجيالا ما دون سن الأربعين تغيب عنها الحقائق والرؤى الموضوعية التى لا توجد إلا فى كتب التاريخ «كعلم» وليس تاريخ المذكرات.. وعلينا أن نتقى الله فى التعامل مع وعى الملايين من هؤلاء.. فلا نقفز من ساحة عمل درامى لأصحابه رؤية ووجهة نظر تعتمد أساسا على «الرواية» الفنية إلى ساحة نقاش سياسى عام يمشى فى زفة «الملكية» المجنى عليها.. والتى يدفعنا كرب الأنظمة القهرية المتسلطة إلى أن نصرخ «الملكية الصريحة أرحم».. ولننادى بإعادة النظام الملكى ونرد الاعتبار للسيرة العطرة لساكن الجنان المغفور له «مولانا المعظم فاروق الأول بن أحمد فؤاد الأول» ولنطالب بالمناداة بصاحب الجلالة مولانا المعظم أحمد فؤاد الثانى ملكا على البلاد!.

أترونها رجعة إلى الوراء؟ وفيها إيه؟.. ماحنا بنرجع طبيعى.. وبالصلا على النبى كده.. حانزعل ليه؟.. هى بلدنا؟.

مؤامرة أحمد فؤاد لخلع أبيه!

محفوظ عبدالرحمن

مجلة روز اليوسف

٢٦ أكتوبر ٢٠١١

فانتازيا تاريخية

فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ اهتم الملك فاروق الذى تنازل عن العرش بدون مقاومة بمراسم خروجه، الأمر الذى بدا مدهشا إن لم يكن مرهقا، وكان فى وداعه اللواء محمد نجيب «زعيم الحركة»، فلم تكن قد تسمت بعد باسم الثورة، وقال فاروق له:

لقد سبقتمونى فيما فعلتم.. ولو انتظرتم لكنت قد فعلت ما فعلتم.

وهى كلمة لم يعرها أحد اهتماما، لأن الأمور السياسية ليست بالنيات، وربما أيضا لأن الجميع آنئذ عرفوا ما نعرفه نحن اليوم، أنه لا فاروق ولا محمد نجيب أدرك ما حدث!! ولا ندرى هل كان فاروق متشائما فأدرك أنه لن يعود أبدا وهكذا استراح وأراح، أم أنه كان متفائلا فظن أن ما حدث زوبعة فى فنجان وإن كانت الأحداث بعد ذلك قد أوضحت أنه كان عمليا ومتوافقا مع ما حدث إلى حد مدهش.

أما محمد نجيب، فمن خلال مذكراته - وليته ما كتبها - كان يرى أن ما حدث هو حركة إصلاحية أخلاقية، ولم ير لها أى بعد ثورى، ولو أن ما حدث فى يوليو ١٩٥٢ لم يحدث لما كان فاروق قد فعل شيئا مما ألمح إليه فهو حديث المأزوم الذى يعد بالصلاة والصوم، فإذا انتهى الأمر لا صلى ولا صام، على أى حال هذا تصور خيالى جدا، فنحن نتصور أن ثورة يوليو لم تقم، وهذا مستحيل طبعا لأنها

كانت ستقوم فى أغسطس أو شهر آخر، وفى ٥٢ أو ٥٣ أو فى أى عام آخر ويقودها جمال عبدالناصر أو أى زعيم آخر.

لكننا نزعم أن الأمور سارت على ما هى عليه إلى الآن، وفاروق ملك مصر والسودان وهذه هى ذكريات سكرتيره السرية التى لم تكتب أبدا.. من مفكرة السكرتير:

لا ننام هذه الأيام، فالأزمات السياسية متوالية، والموضوع الذى تدور حوله هذه الأزمات هو مشروع تحت عنوان «السد العالى» والمشكلة هى فيمن يساعدنا فى هذا المشروع صاحب الجلالة يعتقد أن الأمريكان هم أصلح من يقدمون المساعدة فيه، ولكن الحكومة تعتقد أن بريطانيا العظمى لا يمكن أن تفلت هذه الفرصة، وقد قال لى مولانا فى لحظة صفاء إنه كان يتمنى تحقيق النبوءة التى كتبها مجهول بأن بريطانيا صارت دولة من الدرجة الثانية فى عام ٥٦ ولا أدرى لماذا هذا العام بالذات، وطبعا صاحب الجلالة يكره الإنجليز وهى كراهية وراثية، ولكن ليس معنى هذا أنه يحب الأمريكان، فهو يعرف أنهم يعدون له خازوقا أفظع من خازوق الإنجليز.

وقد استبعدت الحكومة معونة حلفائنا وجيراننا الإسرائيليين، فهم لا يمتلكون المال أو الخبرة ويريدون كل مياه النيل، ولا تستطيع الحكومة التعاون مع إسرائيل حتى لو كان العرض جيدا، فالناس لا يحبونهم، والتطبيع مع إسرائيل بطىء جدا، وحتى وزير الأشغال «وهو يهودى الأصل» همس لى ذات مرة أن مشروع السد العالى وهم لن يتحقق أبدا.

فكرت فى الاستقالة هذا رجل مجنون أيقظنى فى الصباح الباكر لكى يتحدث معى عن عيد ميلاده القادم، وكنا قد احتفلنا فى ١١ فبراير الماضى فى احتفالات لم تر الدنيا لها مثيلا، وقالت الصحف الأجنبية التى صادرناها طبعا إنه أنفق فى الليلة الواحدة ما يطعم فلاحى مصر فى عام، وأن ميزانية مصر تأثرت لأعوام بسبب هذه الاحتفالات الفخمة.

وكان الموضوع الذى طرحه غاية فى الغرابة، «قلت فى مذكراتى من قبل إنه صار مجنونا»، فلقد شرح لى أن شعبه المحب له يستحق منه العطف والرعاية وأنه خلال ٥٨ عاما حكم فيها البلاد أسبغ على كثير من رعاياه شرف تقبيل يده، وهو ما يتنافس فيه كبار رجال الدولة، لكنه قرر أن تشمل مظلة القبل كل المواطنين، ولذلك طلب منى حصر أسماء المواطنين الذين لم يقبلوا اليد الملكية على أن يتم

نعمته عليهم قبل ١١ فبراير ١٩٩٧، ولما أبديت لجلالته قلقى بالنسبة للمتمردين والشيوعيين، والذين لا يستحمون، أبدى اهتماما وطلب منى «لستة» بأسمائهم وإبلاغ معالى وزير الداخلية بذلك.

اتصل بى صديقى القديم المهندس الزراعى عادل إمام، وقال لى إنه قام بعمل فرقة مسرحية، وأنه يريد من صاحب الجلالة أن يشرف الافتتاح.. وطمأنته ووعدته خيرا ولو أننى أعرف أن هذا لن يحدث فلقد سبقت ذلك عدة محاولات، ولقد تحدثت منذ عامين أو ثلاثة مع رئيس الديوان فنظر فى الملف الخاص بالمهندس عادل إمام وقال لى غاضبا: كيف يمثل أمام مولانا ممثل ليس أزرق العينين ذهبى الشعر!.

ثم ما تقول الأميرات هل تريد لنا سكندال..!، ولما كان البعض يتهموننى بأننى من المثقفين «أى اليساريين» فلقد استمعت إلى صديق قديم منهم قال لى:

البلاد مليئة بالمواهب مثل أحمد زكى، ومحمود ياسين وكلهم محبون للتمثيل لكنهم لا يجدون فرصة، هل من المطلوب أن يلونوا عيونهم وشعرهم.

ورأيت كلامه معقولا، لكن كيف يمثل شخص أسمر اللون أسود العينين، أنا متعجب فعلا، فالتمثيل له شروط للأسف ليست موجودة فيهم.

عقدنا اليوم اجتماعا مطولا بالسراى حول شئون الأمن، ورغم أنه فى الغالب اجتماع روتينى إلا أنه كان مهما لوجود بعض المستجدات، فلقد أدهشنا مدير الأمن بالنشاط السرى لكتائب جمال عبدالناصر، ولما سأل معالى أنطوان بوللى باشا وزير الكهرباء عن هذا، قال مدير الأمن إنها كتائب مسلحة سرية تتسمى باسم الضابط الذى حاول القيام بانقلاب فى يوليو ١٩٥٢ وتعتبره شهيدا، ولما ذكرت لمدير الأمن الشرائط السرية المسجلة عليها أغان أنهم وضعوا أيديهم فعلا عليها وهى لمطرب مجهول اسمه عبدالحليم حافظ فلما سألت إنجى هانم.. مديرة أمن الحرملك: لماذا لم يقبض عليه: قال إن هذا المطرب المجهول اكتشفوا أنه مات فى مستشفى أحمد ماهر بسبب البلهارسيا.

فبدأ الامتعاض على وجوه الجميع، وأعتقد أن هذا سيكون مسمارا فى نعش مدير الأمن، ولابد من إبعاده عن منصبه فكيف يذكر كلمة بلهارسيا فى هذا الاجتماع الراقى!.

وما كدنا ننتهى من الاجتماع حتى أشرق على المكان مولانا الملك المعظم بطلعته البهية فأيقظ الاهتمام بالأمن، قال مولانا إنه يعرف جيدا من يتآمر عليه.

إنهم ليسوا الشيوعيين.. ولا كتائب جمال عبدالناصر ولا الوفديين ولا الإخوان ولا عملاء السفارة البريطانية.. فلما أنصتنا قال إنه الأمير أحمد فؤاد.

ولما همهمنا معترضين قال إن أحمد فؤاد ينتظر العرش منذ زمن وقد بلغ الآن عامه الرابع والأربعين وبالتأكيد يتآمر ليحصل على العرش ولكن بمعاونة من؟.

ولما أبدى مدير الأمن تشككه فى هذا الكلام «نفاقا للملك بلا شك» قال مولانا إنه يعتقد أن أحمد فؤاد يناصره الإسرائيليون فهو متزوج منهم.

مادام الملك شك فى ولده فلابد أنه أصابه الجنون، وإذا لم يكن مجنونا فهذا بداية صراعات لا ندرى متى تنتهى.

طلب منى صاحب الجلالة الحضور إلى غرفته وأمرنى بإغلاق الباب وكانت حالة صاحب الجلالة مزرية وعرفت السر عندما تكلم فقد طلب منى الإشراف شخصيا على سفر صاحبة الجلالة الملكة ناريمان إلى واحة سيوة لافتتاح مركز الرعاية للعاملات فى مصنع المياه المعدنية .. وهو موضوع يستحق القلق فعلا، فلابد من الطائرات لنقل الضيوف ورجال الإعلام.

وترتيب الدعوات للصحفيين من جميع أنحاء العالم، ولابد من أستاذ جامعى أو أكثر يشرح كيف أن هذا بديل لنهر النيل الذى ينضب.

وذلك حتى لا يقول أحد إنه مشروع لصالح ابنة مولانا وكل هذا ممكن.. المشكلة الحقيقية هنا، فمولانا الملك المعظم ينتظر فرصة سفر الملكة ويستعين بمعالى وزير الكهرباء بوللى باشا لإطفاء النور فى الجناح الملكى على حسناء دون العشرين دائما.

وغالبا ما تنتهى الليلة بمأساة.

والمشاكل التى يحدثها بوللى باشا مقدور عليها، مثل اختطاف البنات ولكن المشكلة التى لا يمكن حلها هى حالة مولانا فى الصباح إذ يغلق على نفسه ويظل يبكى أياما!.

وبالطبع مثل هذه الأمور لابد أن تصل إلى صاحبة الجلالة ولقد سمعتها ذات مرة تعلق على ذلك بقولها تأخذ القرعة اللى خدته أم الشعور!!.

ومازلت أبحث عن معنى هذا المثل، ولقد قال لى صديق إنه مثل سوقى، لكننى لا أصدق أن صاحبة الجلالة تقول كلاما سوقيا.

حدث زلزال اليوم، الله أعلم بما سيحدث بعده، فلقد ضبطت أجهزة أمن السراى نسخة خطية بعنوان «المحروسة»، وقيل فيما قيل إن مؤلفها لواء شرطة سابق اسمه سعدالدين وهبة: وأحدث هذا حرجا كبيرا لوزير الداخلية الذى أصدر بيانا ينكر فيه أن سعدالدين وهبة كان ضابط شرطة فى يوم من الأيام.. وقامت الداخلية بالقبض عليه لمقارنة خطه بالخط الذى كتبت به المسرحية.

ولقد اتصل بى صديق قال لى إن C.N.N تذيع برنامجا تقول فيه إن «المحروسة» مسرحية قديمة كتبها المؤلف فى الستينيات وأنه كتب مسرحية أخرى بعنوان «المحروسة ٢٠١٥» وأنه فى الأولى سامحنا الله، هاجم الملكية وأنه فى الثانية هاجم التطبيع مع إسرائيل.

وهو ما اعترف به فعلا فى تحقيقات الأمن، ولقد قال صديق لى أثق فيه أنه هو الذى تطوع بالاعتراف وأنه كان فخورا جدا بما فعل.. سبحان الله.

ومثل هذه الأعمال الانتحارية كثرت هذه الأيام وبصراحة أنا لا أفهمها، قد أفهم أن يكون هناك من يبدى الثورية مثل فيكتور هوجو أو فولتير، أما أن يفخر كاتب بمسرحية أبطالها من السوقة والسفلة والخفراء وصغار الموظفين فهذا ما لم أفهمه أبدا، ولقد اطلعت على تقرير يقترح تلفيق قضية للكتاب على أساس أنهم كونوا تشكيلا عصابيا، وهو ما رفضه رئيس اتحاد الكتاب ووكيل مجلس الشيوخ الذى أنكر أن فى مصر كاتبا يهاجم الملكية أو يكتب عن السوقة.

وعندما سألت عن الأسماء المقدمة أصابتنى الدهشة فكلهم نكرات لا يعرفهم أحد.. ومن الأسماء التى أذكرها أسامة أنور عكاشة وهو موظف فى شركة صغيرة ومن سكان الحلمية الجديدة، ووحيد حامد.. وهو موظف صغير فى الميريديان، وأيضا شخص آخر موظف صغير فى كوم حمادة اسمه محفوظ عبدالرحمن.

الملك فاروق.. بين الفن والسياسة وتقليب المواجع

د. محمد الباجس
جريدة الأسبوع
٢٠ أكتوبر ٢٠٠٧

لعب نجاح مسلسل الملك فاروق برءوس الكثيرين وأولهم الدكتورة لميس جابر كاتبة المسلسل.. وعدد من الممثلين المشاركين.. ومعهم بعض النقاد والمشاهدين.. وقد فتح المسلسل المجال لاستعادة أحاديث الذكريات عن مصر الملكية.. وتسابقت البقية الباقية ممن عاصروا تلك الفترة أو بعض مراحلها المتأخرة.. مع من سمعوا بها.. أو قرأوا عنها.. في محاولة للقصاص من ثورة يوليو ١٩٥٢.. والتباكي على زمان مضى.. وملك تعرض للظلم وشوهت سيرته.. وقد آن الأوان لانصافه ورد الاعتبار إليه.. ومعه والدته نازلي (!!!) التي دافعت كاتبة العمل عنها.. وصرحت لأكثر من صحيفة بأنها لم تكن منحلة.. ولم تقم علاقة مع أي رجل.. ولم تكن تهدف لغير إثارة الغيرة في نفس «أحمد حسنين باشا» رئيس ديوان ولدها الملك.. وعشيقها.. وزوجها السري فيما بعد.

ونجاح مسلسل الملك فاروق كعمل درامي كان متوقعاً لمن يتابع أعمال المخرج السوري حاتم علي.. خاصة وهو يتصدى لعمل مصري بحت.. وسط مناخ فني مصري متشنج.. يخشى إطلالة الفنانين السوريين الجادين وتفوقهم الواضح.. إلى جانب طبيعة الموضوع الذي يمثل تاريخاً قريباً لايزال بعض أبطاله ومعاصريه على قيد الحياة.

والحقيقة المنصفة تؤكد ان المخرج خاتم على.. بخبراته، وإمكاناته، وثقافته.. وخياله الفنى.. يقف متفرداً وراء نجاح العمل.. بحرصه الشديد على مراجعة السيناريو مع الكاتبة.. وتهيئته للتنفيذ الفعلى وفقاً لرؤيته.

وقد جاء اختياره لـ «تيم حسن» بطلاً للمسلسل.. وهو الذى صاغ موهبته.. وأدارها من خلال عدة أعمال سابقة.. دليلاً على رؤيته الصائبة.. وشجاعته الفنية.. بعد أن فشل فى اختيار ممثل مصرى للعب الدور.. يؤيد ذلك ويؤكده اختياراته لبقية الممثلين وكلهم من المصريين المعروفين.. ولكنه أعاد اكتشافهم.. وتوظيفهم وفق رؤاه.. فبدا لنا أكثرهم وكأننا نشاهدهم لأول مرة.. رغم وفرة الأعمال التى شاركوا فيها من قبل.. ولعبوا الأدوار الأولى فى أغلبها.

وكان حرص المخرج على الاستعانة بمجموعة العمل التى لازمته فى أعماله السابقة يمثل قمة المسئولية.. وفهم وادراك أهمية تكامل وتناغم كافة العناصر الفنية من تصوير، وإضاءة، ومونتاج، وديكور، وماكياج.. وملابس.. وموسيقى ومؤثرات.. وقد تضافرت كلها وراء المخرج فارتفعت بالعمل فنياً إلى درجة مدهشة.. لايمكن أن نتوقع مثيلاً لها فى الأعمال المحلية بعد رحيل الرواد، علاوة على المناخ الفنى السائد.. الذى استطاب الخدر العقلى.. وعاش وهم النجومية.. ومزادات الأجور.. وتوقف عند حدود لا يبرحها.. أصابت المشاهد بالضجر.. من جراء قوالب الأداء الثابتة.. وتكرار التيمات النمطية.. وترك الحبل على الغارب لكافة العناصر الفنية.. وأولها التمثيل باعتباره «مسئولية الممثل» على حد قول بعضهم.

وإذا كان المشاهد العادى.. غير المتخصص.. قد حرص على مشاهدة مسلسل الملك فاروق.. الذى جذب انتباهه.. وأدهشه.. ورأى فيه شيئاً جديداً لم يألفه.. فإن وراء كل ذلك فكراً.. وجهوداً فنية وابداعية تفاعلت وتكاملت.. من أول حركة الكاميرا الواحدة التى لم تضبط متلكئة.. أو حائرة.. أو مصابة بالرعونة والبلاهة.. ووضوح الصوت بدرجاته.. ويقظة المونتاج الذى نحى الزوائد.. وتمتع بفضيلة الإيجاز.. وحافظ على الايقاع حياً.. يقظاً وفاعلاً.. إلى جانب الاضاءة التى أكدت قيمة الديكور وصنعت منه بطلاً.. وحافظت على نقاء الصورة وبهائها.. وأضافت إلى الملابس والمكياج.. ناهيك عن حركة

زعماء المرحلة وإيحاءاتها.. ونظرات العيون التى تشى بمكنونات النفوس.. وما يدور فى العقول.. وتحريك الجماهير.. والموسيقى والمؤثرات التى صنعت إطاراً لكل ذلك واحتضنته، وتفاعلت معه، ومهدت له.. وعبرت عنه.

ولعله يكون مفيداً أن نذكر ببعض الأمور ونحن نناقش العمل.. فقد ولد فاروق عام ١٩٢٠، وتولى حكم مصر عام ١٩٣٦ وعمرة ستة عشر عاماً.. وخلع من الحكم عام ١٩٥٢ وكان عمره ٣٢ عاماً.. قضى منها ١٦ عاماً ملكاً على مصر.

كان حظه من التعليم محدوداً.. أما حظه من التربية فكان محدوداً للغاية لا يكاد يذكر.. إذ فصله الملك فؤاد عن والدته نازلى التى لم يكن يثق فيها أو يكن لها احتراماً.. وتركه لمربيته الانجليزية تحيطه بسياج من الممنوعات والقواعد الصارمة.. فلم يجد له متنفساً وهو طفل وصبى غير الاختلاط بالخدم.. وقد لازمته تلك العادة طوال حياته.. فأحاط نفسه بمجموعة منهم ذوى أصول إيطالية بينهم الحلاق.. ومدرب الكلاب.. وعامل الكهرباء.. وحرص عليهم وتمسك بهم لدرجة إعلان رغبته فى اصطحابهم معه فى رحلته الأخيرة منفياً.

وعندما قرر الملك فؤاد ارساله إلى بريطانيا لاستكمال تعليمه اختار له الانجليز أحمد حسنين المعروف بميوله الانجليزية مرشداً.. واختار الملك فؤاد «عزيز المصرى» مرشداً عسكرياً.. ثم عاد الجميع بعد ستة أشهر عقب وفاة الملك فؤاد.. وقد ارتبط فاروق بمرشده حسنين الذى سمح له بارتياد أماكن اللهو.. وممارسة حياة المراهقة.. وأراحه من صرامة عزيز المصرى ورغبته فى تنشئة ملك المستقبل تنشئة قويمة.

والمتأمل فى حياة فاروق يستطيع أن يجزم بأنه لم يمارس سلطته الشرعية كمليك للبلاد.. وتواتر على الحكم ومن وراء الستار أكثر من شخص.. وأكثر من اتجاه.. بينهم والدته نازلى بنزواتها، وسطوتها.. وتهورها.. وان كان أولهم حسن حسنى باشا القريب من العائلة بأصوله التركية.. وحامل درجة الدكتوراه فى التاريخ من فرنسا والذى عمل سكرتيراً خاصاً للملك فؤاد.. وتولى من بعده «فاروق» يخطط لمستقبله.. ويوائم بين تصرفاته والمناخ العام.. فهو صانع «الملك الصالح».. وان كان نفوذه قد تقلص

أمام سطوة أحمد حسنين وعلاقته بالملكة الأم.. ثم حسن يوسف.. وحافظ عفيفى.. وعلى ماهر.. وغيرهم.. حتى وصل الأمر بفاروق إلى الانقياد لكريم ثابت.. وإلياس اندراوس.. ومثلهما يوسف رشاد.. وناهد رشاد.. ومجموعة الخدم الطليان رفاق السهرات وموائد القمار.

والثابت تاريخياً ان فاروق كان ينفر من السياسة.. والمسئولية.. ولا يطيق النحاس وحديثه الدائم عن الدستور.. والشعب.. ولا ينعم بالهدوء إلا فى ظل حكومات الأقلية المفتقرة إلى التأييد الشعبى، والقوة الحقيقية فى مواجهة عبثه بكل شئ.. فلم يتمكن حزب الأغلبية الساحقة من حكم البلاد غير سنوات قليلة وعندما فرض الانجليز حكومة الوفد «٤ فبراير ١٩٤٢» أصيب فاروق بإحباط لازمه حتى اكتمال عناصر مأساته برحيل أحمد حسنين عام ١٩٤٦ والذى ألقى به فى متاهات الضياع.

وإذا كانت د. لميس جابر قد حددت هدفها من وراء كتابة المسلسل بأنها «لم تقصد تقديم حياة فاروق فقط.. بل تقديم تلك الفترة التاريخية المهمة من حياة مصر السياسية» فإن الواقع ينفى ذلك.. بتركيز المسلسل على شخص فاروق وتواجده فى أغلب المشاهد.. واغفال الكثير من الأحداث المحورية.. واختصار بعضها فى مشهد عابر.. وكان أمام المؤلفة لو صحت الأهداف. فرصة تقديم عمل أكثر عمقاً ودرامية.. فقد كانت مصر وقتها تعج بالتيارات السياسية التى امتدت من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين.. مع ظهور الميليشيات العسكرية السرية والعلنية التى ارتبطت بأكثر هذه التيارات.. ناهيك عن الاغتيالات السياسية المتلاحقة التى استهدفت الزعامات السياسية.. وكانت أصابع فاروق وراء بعضها.. بعدما أقنعه يوسف رشاد وناهد رشاد بعد حادث القصاصين بضرورة العمل لحماية نفسه وعرشه.. وتم تشكيل الحرس الحديدى بإشرافهما.. والذى ضم العديد من الضباط المغامرين من كافة الاتجاهات.. كان بينهم أنور السادات الضابط المفصول بتهمة التجسس لصالح الألمان.. ومصطفى كمال صدقى «زوج تحية كاريوكا وقتها».. وحسن التهامى.. وعبدالقادر طه الذى تم اغتياله فيما بعد.. وقد نفذ الحرس الحديدى عديداً من العمليات.. منها عدة محاولات فاشلة لاغتيال النحاس كلف بها أنور السادات الذى استعان بمجموعة حسين

توفيق.. ليظل هو بعيداً كعادته.. ونجحت نفس المجموعة فى اغتيال أمين عثمان غريم فاروق ومهندس واقعة ٤ فبراير ١٩٤٢.. ولعب فاروق دوراً بالتغاضى فى تهريب المتهم الأول ثم العفو عن باقى المتهمين فيما بعد وانخرط فاروق بكليته فى هذا الطريق.. واعتمد العنف والتصفية الجسدية أسلوباً ضد خصومه لدرجة الثأر.. واغتيال حسن البنا بعد شهرين فقط من اغتيال النقراشى برصاص الإخوان.

ووفقاً لما تواتر ونشرته الصحف عن كواليس العمل واعتراف المخرج بحذف العديد من المشاهد التى كانت تكرس لفكرة الكاتبة عن فاروق وعصره وديمقراطيته ونبله.. والتى كانت كفيلة بتحويل المسلسل إلى فانتازيا فإن الدكتور يونان لبيب رزق الذى قام بالمراجعة التاريخية للعمل يتحمل جزءاً من المسئولية.. رغم تصريحه بأنه قام بتصحيح بعض الوقائع.. ولم يتعد ذلك إلى التدخل فى السياق الدرامى للعمل.. فهو كمؤرخ محترم مسئول عن صحة الوقائع التاريخية.. ومسار الأحداث وتتابعها.. وما يمكن أن توحى به على خلاف الحقيقة التاريخية.. وكان من حقه أن يطرح رؤيته العلمية على صناع العمل حتى لا يخرج مخالفاً للواقع مجافياً للحقيقة واسمه بين صناعه والمسئولين عنه.. فالكاتبة اهتمت فيما يبدو بمذكرات العاملين فى البلاط.. ولم تعن بما كتبه من يعول على رأيهم وأولهم عزيز المصرى.. ورجال السياسة.. وفقهاء الدستور الذى بالغ فاروق فى انتهاكه والعصف به.. ولم تتطرق إلى تحليل الواقع الاجتماعى وافرازاته.. ومقاومة القوى الوطنية وتضحياتها.. ومجتمع النصف فى المائة.. وسطوة الاقطاع وغيرها من الموضوعات.. ولو فعلت ذلك لما سمحت لنفسها بالحديث عن إنصاف فاروق وديمقراطيته.. ورد الاعتبار له.. ولوالدته الفاضلة.

هيئة تنشيط الملكية!

عاصم حنفي

مجلة روز اليوسف
٢٦ أكتوبر ٢٠٠٧

مشكلة مسلسل «الملك فاروق».. أنها وضعتنا فى حرج بالغ.. فنحن معجبون بالمسلسل.. لكننا غير معجبين بردود الأفعال المتسرعة التى تهاجم ثورة يوليو.. بحجة أنها اضطهدت فاروق ولم تكتف.. وإنما شهوت صورته عامدة متعمدة!!.

والله العظيم إنهـا فكرة.. أن تعـود الملكيـة من جـديد.. بعـد ٥٥ سنة جمهورية.. تماما كما عادت فى إسبانيا بعد ٤٠ عاما من حكم فرانكو.. وسوف ندعـو جـلالة الملك أحـمـد فـؤاد من سكنه الاختـيـارى فى مـدينة لوزان السويسرية.. ليعود من جديد مليكا مفدى على البلاد والعباد..!.

يحتاج الملك الجديد أحمد فؤاد إلى «نيولوك» وبعض الرتوش والتعديلات الواجبـة.. وسـوف نوكل إلى بعض مـدرسى اللغـة العـربيـة تعليـمـه لغـة بلاده الجـديدة.. وهى اللغـة التى لا يعـرفـهـا أبدا.. وسـوف نكلف بعض مـدرسى الجغرافيا والتاريخ تلقينه ما تيسر من جغرافيا بلاده وتاريخها.. حتى لا يصبح مثل الأطرش فى الزفة.. أو مثل نجيب الريحانى فى رائعته «سلامة فى خير».. وقد تولى العرش وهو جاهل بالمعلومات الأساسية عن أصول الحكم وأحوال المملكة..!.

سوف يعود الملك إذن ولا نمانع.. والفضل للمسلسل الرمضانى الذى شد الناس كثيرا.. صحيح أنه يظل عملا فنيا.. كاتب الدراما فيه ينتقى من أحداث

التاريخ.. فيستبعد ما يرى أنه لا يتوافق مع رؤيته الدرامية.. ويضيف أحداثا وشخصيات يعتقد أنها تفيد وجهة نظره الفنية.. لكن من المؤكد - وأتكلم بجد - أن المسلسل الناجح كشف لنا أن هناك رغبة من المصريين في التعرف على تاريخ بلادهم.. وسيرة الزعماء المؤثرين في الأحداث التي لم تعاصرها الأغلبية المعجبة بالمسلسل..!.

حدث ذلك تماما مع فيلم (ناصر ٥٦).. عندما كشف عن وجه الزعيم جمال عبدالناصر الإنساني إبان تأميم قناة السويس.. وتكرر الأمر مع «أيام السادات» التي حكى فيها الفيلم مشوار الرئيس الراحل قبل الثورة وبعدها.. وها هو الأمر يتكرر مع مسلسل «الملك فاروق».. بما يغري بكتابة مسلسلات أخرى حول النحاس وسعد زغلول وعرابي وعزيز المصري.. ولا مانع من الملك أحمد فؤاد والخديو توفيق إذا لزم الأمر..!.

مشكلة مسلسل «الملك فاروق».. أنها وضعتنا في حرج بالغ.. فنحن معجبون بالمسلسل.. لكننا غير معجبين بردود الأفعال المتسرعة التي تهاجم ثورة يوليو.. بحجة أنها اضطهدت فاروق ولم تكتف.. وإنما شوهت صورته عامدة متعمدة!!.

وهناك من يبالغ فيؤكد أن هناك قطاعا من الناصريين منزعجون للغاية من نجاح المسلسل.. ونقول لهم إطلاقا.. لأننا نضع الأمور في سياقها الحقيقي.. وكاتب هذه السطور ينتمي إلى جيل ثورة يوليو الذي جاء على موعد مع القدر.. وأعتقد أنه بفضل هذه الثورة الرائدة.. والحس الإنساني والاجتماعي لزعيمها الرئيس الراحل جمال عبدالناصر.. لما كنت قد تعلمت والتحقت بالمدارس وتخرجت في الجامعة.. وقد شهدت مع أبناء جيلي العديد من التحولات على يد خالد الذكر جمال عبدالناصر.. شاهدنا التحولات الاجتماعية الجبارة.. بانضمام جماهير الشعب من هامش الحياة السياسية والاقتصادية.. إلى قلبها وبؤرتها تماما.. وقد صار ٩٩ في المائة من جموع الشعب من المنتفعين بالثورة.

ولعل هذا هو ما يمثل انتقادا للمسلسل.. فالمسلسل لطيف.. يطرح رؤية خاصة لمولانا الملك المعظم.. يقدمه إلينا برفق.. بكثير من الحنو والتعاطف.. وكأن هناك رغبة مسبقة في إنصافه والدفاع عنه.. فراحت كاتبة المسلسل تجند أدواتها من أجل هذا الهدف المسبق.. وهو الدفاع عن الملك فاروق.. فقدمت لنا حدوتة في قالب رومانتيكي.. يستبعد ما يسيء إلى الصورة..

ويصـور المفاسـد والمجـون والسلبـيات والأخطاء الفـادحـة.. فى صـورة وردية مـتـعـاطفـة.. ويطرح نظرية أن الملك الفاسـد لم يكن فاسـدا هكذا من البـاب للطاق.. وإنما لأن هناك من ساعدوه وفرشوا له الطريق ودفعوه دفعا لطريق الفساد.. وأنه طبقا لتلك النظرية لم يكن سوى ضحية للآخرين.. وهى نظرية صحيحة.. تنطبق على جميع المجرمين والسفاحين.. لأن القاتل ليس قاتلا بالوراثة.. وإنما هو كذلك لأنه ضحية للظروف والأشخاص والبيئة المحيطة.

نقول إن المسلسل لطيف نعم.. لكنه استبعد الشعب تماما من الحساب.. فلم يصور لنا ما يدور فى الشارع المحيط بالقصور.. لم يقدم صورة بانورامية لما يدور خارج قاعات الرقص والاحتفالات.. لم يصور تحكم الإقطاع بالفلاحين عبيد الأرض.. لم يصور عمال التراحيل والحفاة من أغلبية الناس.. وقد اكتفى بتصوير القصور والحفلات والمؤامرات اللطيفة ودسائس الحريم فى مجتمع النصف فى المائة يعيش على هامش حياة المصريين..!!.

شىء طبـيـعى وإيجـابى أن يحب الناس المسلسل الذى قـدم لهم الملك فى صـورة رومـانتيكية مـيلودرامـيـة.. والناس تحن إلى سـيـرة ملوكهـا وحكامهـا.. والمسـألة مفـهـومـة إذن.. لكن غيـر المفـهـوم تلك الكتابات العـجـيـبـة تتـسلل إلى الصـحف.. يحـاولون جـرنا إلى خناقـة مـفـتـعلة.. بحـجـة أن ثوار يوليـو شـوهوا عـامـدين صورة فـاروق.. والثورة لم تفعل.. وإنما فـعل ذلك المقربون من الملك يحـاولون خطب ود الثـوار الجـدد. وفـعلهـا الكتـاب الرسـمـيـون فى الجـرائد والمجلات.. وهم كتاب يكتبون دائما مع التيار السائد.. وقد ظهر فى السـاحـة وقـتهـا كتـاب واسع الانتـشـار اسـمه «ليـالى فـاروق» من تأليف مـصطفى أمـين المقرب جـدا من السـراى.. وعندك مـذكرات كريم ثابت التى كتبـهـا المستشـار المقرب من الملك فاروق.. الثورة إذن لم تشوه الصورة.. وإنما قام بالمهمة السادة الأفاضل كتاب كل العهود..!.

أهلا بالملكية من جديد.. ومرحبا بجلالة الملك المعظم.. الذى ندعوه للعودة ليظهر فى كارت بوستـال.. أو يعمل فى هيئة تنشيط السياحة.. تماما كالهنود الحمر فى أمريكا وكندا.. وهناك يحتفظون بهم من أجل فـرجة السيـاح.. ومن أجل التقاط صور تذكارية لماض لن يعود..!!.

جريمة تزوير عهد !

د. رفعت السعيد
مجلة روز اليوسف
٢٦ أكتوبر ٢٠٠٧

يأتى مسلسل الملك فاروق محاولا أن يقدم لنا مجتمعا مصنوعا وحوارات ما كان لها أن تجرى فى ظل نظام ملكى إقطاعى عميل للاحتلال ومتهادن معه فيقدمه فى صورة براقة وجذابة وخالية من الوحوش التى عاثت فسادا وإفسادا فى ظل نظام قام على العسف وعلى تدمير الدستور وعلى التلاعب بمصالح الشعب وأهم من هذا وذاك على امتصاص دماء جماهير العمال والفلاحين وافقارهم بلا حدود.

وفاروق الوديع المسالم المهذب المعادى للإنجليز لم يوجد أصلا ولو وجد لما كانت ثمة حاجة للإطاحة به فاروق هذا ظل طوال حكمه يطارد الدستور كى يطرد حزب الأغلبية من حكومة يستحقها وظل يناور بين سيد قديم وهو الاحتلال البريطانى وبين سيد جرى استجداؤه كى يأتى هو أيضا ليحتل أرض مصر أى القوى النازية والفاشية ولست أريد هنا أن استغرق فى تفاصيل تاريخية موثقة فقط أذكر بأن فاروقا حاول الاتصال بالألمان عبر صهره سفير مصر فى إيران ثم بالإيطاليين محاولا أن ينحاز لهم وأن يوهمهم أن دخول جيوشهم إلى مصر سوف يتم استقباله بالترحاب من شعبها.

وجال القصر الملكى هم الذين دبروا مظاهرات هتفت تنادى جيش روميل القريب من العلمين بهتافات إلى الأمام يا روميل وثالوث القصر الشهير على

ماهر - البندارى - المراغى والذين لم يأت اختيارهم عبثا هم الذين دبروا أكثر المؤامرات ضد الدستور خروجا على أبسط قواعد الديمقراطية واحترام إرادة جماهير، وهم الذين قدموا كل الدعم المالى والسياسى والإعلامى لجماعة كانت مغمورة بلا أثر ولو ضئيل ليتحولوا بها إلى قوة سياسية مؤثرة هى جماعة الإخوان وذلك بهدف استخدامها لإرهاب خصوم القصر الملكى وخاصة حزب الوفد.

وفوق هذا وذاك قدم لنا المسلسل صورة القصر وحاشيته ورجاله والطبقة التى عاشت فى كنف القصر فى صورة متألقة تغلفها لمحات محدودة من خلافات شخصية ونسى أن خلف هذا الديكور الجميل فلاحين جرى استنزاف دمائهم وحرمانهم من أبسط حقوقهم وعمالاً جرى سحقهم وفقراء ماتوا جوعا، نسى أن النظام كان بمجمله بملكه وقصره وحاكمه نظاما إقطاعيا طاغيا مفتقدا لأبسط قواعد العدالة إلى درجة أن مضابط البرلمان بمجلسيه النواب والشيوخ تشهد حوارات مخجلة لا أدرى لماذا لم يورد المسلسل بعضا منها على الأقل لكى يكمل الصورة حوارات رفض أصحابها الموافقة على اعتماد مالى لنشر التعليم الإلزامى بحجة بسيطة هى أن تعليم أبناء الفلاحين سوف يفسدهم فيتمردون ويتحولون إلى أفندية يلبسون جزمة وشراباً فيفسدون ولا يصلحون لشىء.

وعندما تقدم أحد أعضاء مجلس الشيوخ بمشروع قانون بمنع الحجز على ممتلكات الفلاح الفقير وفاء لديون البنوك والمرابين صاح الشيوخ غاضبين مؤكدين أن مثل هذا القانون يعلم الناس الضلال ويروج للشيوعية.

وعلى ايه.. ولكى نأتى إلى كلمة سواء أود أن ألخص الأمر كله فيما يلى:

لو جاء مسلسل الملك فاروق هذا فى ظل صعود النموذج الاقتصادى والاجتماعى الذى جاء على أنقاض العهد الملكى الفاسد وأكررها أيضا عن عمد لما اهتم أحد بمتابعته بل لرفضوه فورا أقصد رفضوه جماهيريا وليس حكوميا.

وثانيا لسنا مطالبين بالاختيار بين سيىء وأسوأ، نحن تخلصنا عبر ثورة وطنية من نظام شديد السوء سادته تصرفات وقيم اجتماعية ومجتمعية باغية وطاغية غير أن تلاحق الهزائم التى منى بها هذا النموذج الذى بنته

الثورة لا يعنى على الإطلاق أن نترحم على ما فات فما فات كان أسوأ بكثير بل بكثيـر جـدا، نحن مطالبـون بأن نواصل رفضنا وإداننا لنظام إقطاعى استبدادى استغلالى استنزف دماء الفقراء وعاش تحت أقدام الاحتلال، ومطالبون أيضا برفض كل الأخطاء والخطايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى نمت وتغذت على حالة من امتهان الديمقراطية والشفافية ومن تفشى الفساد فى النموذج الذى تلاه، ومطالبون وهذا هو الأهم ببناء مجتمع وطنى ديمقراطى يسوده العدل الاجتماعى فهل هذا كثير؟

وثالثا: لست ضد المسلسل الخاص بالملك فاروق لكننى ضد تحويل المادة التاريخية إلى شىء مغاير شىء لم يكن موجودا بالفعل وفى الواقع وضد تجميل القديم نكاية فى القائم، فقط أرى أن القديم البائد كان رديئا ومغايرا لمصالح الوطن والشعب وأرى أن الأخطاء التى تراكمت بعد ثورة يوليو وفى ظلها قد ألبست الحق بالباطل وأحاطت الفعل الثورى بالمحاذير والأخطاء وأسلمته إلى أيد استولت على مقدراته بسبب من افتقار الديمقراطية الحقيقية والشفافية الفعلية وأن علينا أن نسعى معا لبناء غد جديد غد ديمقراطى حقا ليبرالى حقا ويطبق عدلا اجتماعيا حقا ليمنح المواطن حقه فى خبز وعمل وسكن وعلاج وحرية فهل هذا كثير؟

أعتقد .. لا.

ويبقى أخيرا أننى ممن يعتقدون أن التاريخ أقصد التاريخ الذى وقع فعلا فى الماضى قد تعرض للاغتصاب مرتين فيما يتعلق بهذا الموضوع مرة عندما قامت ثورة يوليو فانهالت المطارق بالحق وبالباطل على ما كان قبل يوليو، كل ما كان قبلها لم يترك كتبة التاريخ نقيصة إلا أوردوها فى حق هذا الزمان ناسين بعضا مما كان فيه من إيجابيات وإن كانت قليلة أو حتى قليلة جدا ثم أعيد اغتصابه مؤخرا فى مسلسل فاروق عندما جرى تنظيفه من كل خطأ فتبدى براقا متألقا على خلاف الحقيقة.

تلك الحقيقة التاريخية التى كثيرا ما تتوه فى خضم تلفيقات وإضافات وخيالات وافتعالات كاتب السيناريو فى أى دراما تحاول أن تحشو الحادث التاريخى بما لم يحدث فعلا.

وكل ما أقصده هو إدانة النظر بعين واحدة لتاريخ مجتمع ما فى حقبة

تاريخية ما، فنورد سلبيات فقط أو إيجابيات فقط، وكل ما أتمناه هو أن نرى عملا دراميا ينظر للمرحلة التاريخية، أى مرحلة تاريخية بعينين، عين ترى الإيجابيات، وأخرى ترى السلبيات، ومعهما عقل عاقل يحلل ويستخلص معطيات التفاعل بين الإيجابى والسلبى.

لكننى أزعم أننى لم أشهد بعد دراما من هذا النوع فالتاريخ عند كتاب الدراما مجرد أبطال فقط أو خونة وشريرين فقط، أما الناس العاديون فهم غير موجودين، ليس لأنهم غير موجودين فى الواقع وإنما لأنهم لا يستثيرون اهتمام المشاهد.

النظام الملكى لفظ أنفاسه قبل قيام الثورة

سعد هجرس
مجلة روز اليوسف
٢٦ أكتوبر ٢٠٠٧

ليس مـهـمـا أن نتـفق أو نخـتلف مـع الآراء الصـريحـة أو الضـمنيـة التى يحملها أى عمل درامى حتى لو كان هذا العمل يتناول حقبة تاريخية معينة أو شخصية تاريخية مثل الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان.

فـلا يوجد تفسيـر واحـد ووحيد للتـاريخ كما لا يمتلك أحد كائنا من كان حق ادعاء احتكار الحكمة، فليس هناك من يحمل توكيل رواية التاريخ، ولذلك فإن من حق الدكتورة لميس جابر والمخرج السورى حاتم على وغيرهما تقديم عـصـر فـاروق وشـخـصيـة الملك بالمعالجـة التى تروق لهـمـا، وهو فى النهـاية مسلسل تليفزيونى وليس وثيقة تاريخية ولا ينبغى المبـالغة فى ردود الأفعال مدحا أو قدحا تجاه الرؤية الخاصة التى حكمت تناول المسلسل لهذه الفترة من تاريخ مصر الحديث ولآخر ملوك مصر.

لكن اللافت للنظر هو ذلك الاهتـمـام الجـمـاهيـرى الكاسح بهذا المسلسل ومـا رافق هذا الاهتمام الاستثنائى من نوستالجيا أو حنين جماعى إلى هذا الماضى الملكى كـمـا لو كـان الفـردوس المفـقـود حـتى يكاد المرء يتـصـور أن المصريين جميعا أصبحوا ملكيين ومن أنصار الملكية.

ولا يكفى أن نعزو هذه المشاعر الجمعية إلى تركيز المسلسل على جانب يكاد يكون وحيدا من المشهد الكلى للواقع المصرى فى تلك الفترة، وهو جانب

الحياة فى القصور الملكية وسرايات الباشوات والبكوات وأحياء الصفوة الراقية النظيفة والأنيقة والسيدات الفاتنات بملابسهن البديعة مقارنة بالخيم الكئيبة التى ترتديها المصريات حاليا وغير ذلك من مظاهر الأبهة والرفاهية.

ولا يكفى أن نعزو ذلك أيضا إلى اكتشاف الأجيال الجديدة أن ما قرأته وسمعته وتم تلقينه لها عن مساوىء العهد البائد ليس كله صحيحا، وأن الصورة لم تكن كلها سوداء بل كانت هناك حياة سياسية حية، وأحزاب سياسية متنافسة و انتخابات حرة أحيانا ومعارك فكرية محترمة حتى الفساد الذى صدر من أجله كتاب أسود كان حول أمور تافهة إذا ما قورنت بالفساد المستشرى هذه الأيام.

هذه الاكتشافات الجديدة التى ركز عليها المسلسل يمكن أن تفسر اهتمام الناس بهذا العمل الدرامى لكنها لا تفسر هذه النوستالجيا الجماعية التى تترحم على أيام الملكية بل تتوق إلى عودتها كما لو كانت هذه العودة إلى الماضى هى الحل لكل مشاكل الحاضر التى تحاصر المواطن فى الريف والمدينة وتسحق روحه وتجعل الدنيا فى نظره أسود من قرن الخروب.

والمدهش أن هذه النوستالجيا الجماعية أصبحت متكررة بصورة لا تخلو من التناقض، فإذا كان المصريون قد أظهروا هذا القدر الكبير والمتدفق من الحنين إلى الملكية بعد مشاهدة مسلسل الملك فاروق فإنهم أظهروا قدرا مشابها من الحنين إلى العصر الناصرى، وإلى شخصية الرئيس جمال عبدالناصر الكاريزمية بعد مشاهدة فيلم ناصر ٥٦ كما لو كانت غالبية الشعب المصرى من عتاة الناصريين، كما أظهروا مشاعر قريبة من ذلك تجاه الرئيس أنور السادات بعد تجسيد الفنان أحمد زكى لشخصيته فى الفيلم السينمائى الشهير حتى يكاد المرء يتصور أن معظم المصريين ساداتيون قلبا وقالبا.

والمشترك فى هذه الحالات المتناقضة هو الحنين إلى الماضى بدرجات مختلفة، كما لو كانت العودة إلى الماضى هى الحل، والمشترك أيضا هو أن هذه الحالات على اختلافها تأخذ شكل الظاهرة التى يشترك فيها ملايين المواطنين من طبقات اجتماعية مختلفة والأمران ينطويان على قيم سلبية

يجدر الانتباه لها فنحن أولا إزاء شكل من أشكال عقلية القطيع، حيث يندفع الناس بصورة شبه جماعية إلى الهرولة خلف فكرة أو شخص دون تمحيص أو تدبر وهذا بدوره تعبير عن غياب العقل النقدى الذى يقلب الأمور على وجوهها المختلفة، ويصل إلى الأحكام والاستنتاجات بناء على تفكير عقلانى وموازنة بين الآراء المختلفة.

بدلا من ذلك يكفى مسلسل تليفزيونى أو خطبة عاطفية لتجييش المشاعر وتحريك الوجدان حيث يتحول الوطن إلى حلقة ذكر كبيرة ومولد صاحب يسير فيه الجميع معصوبى الأعين.

وغياب العقل النقدى بدوره نتيجة وليس سببا، فهذا الغياب مسئولية نظام تعليمى بائس قائم على الحفظ والتلقين لا على تنمية ملكات التفكير والإبداع ومسئولية مؤسسات دينية رسمية وغير رسمية أغلقت باب الاجتهاد منذ سنوات وعقود وتفرغت لمحاربة المثقفين والمفكرين وأفسحت المجال للخرافة والانقياد خلف الخزعبلات، ومسئولية مؤسسات إعلامية روجت لقيم الامتثال والإذعان وحاربت التعددية لسنوات طويلة وارتدت الزى الموحد أعواما تستعصى على الحصر، ومسئولية أحزاب ظلت معزولة فى أبراج عاجية تلف وتدور فى فلك النخب حاكمة وغير حاكمة، بينما الناس عاديون مثلى ومثلك خارج جدول أعمال الجميع وخارج حسابات الكل.

لكن المثير للاستغراب أكثر من ذلك فى سلوك عقلية القطيع هو تناقضه مع المصالح المباشرة لمعتنقيه، فهؤلاء الذين ظهرت عليهم أعراض الحنين إلى الملكية أغلبيتهم الساحقة من المواطنين الغلابة الذين كانوا سيقبعون فى بير السلم الاجتماعى لو أن النظام الملكى قد استمر فى الوجود.

ومصير معظمهم سيكون مظلما لأن الملكية كانت مقترنة بنظام اجتماعى بالغ التخلف والوحشية، وكل هذه الأبهة التى ظهرت على شاشة التليفزيون كانت حكرا على نصف فى المائة من المصريين، أما الغالبية الساحقة من المصريين الحقيقيين فكانت تعيش فى الفقر المدقع والجهل والمرض والحفاء وتعانى من كل صنوف التمييز والاستغلال والاضطهاد والتهميش.

صحيح أن الفترة التى أعقبت سقوط النظام الملكى حفلت بالعديد من السلبيات والأخطاء وبخاصة فى مجال اغتيال الديمقراطية وخنق الحريات

ثم فى مجال الفساد واختلال هياكل التوزيع واعتصار الطبقة الوسطى واتساع نطاق الفقر وتراجع المكتسبات الاجتماعية وعودة الرأسمالية المتوحشة والممارسات الاحتكارية وفتح الأبواب أمام الديناصورات المتعددة الجنسيات فى عصر العولمة، لكن النجاة من هذه الكوارث والتحديات المرعبة لا تتحقق بالعودة إلى الماضى أو التشبث بالقبور وسكانها سواء كانوا من الملوك أو من الصعاليك وإنما تتحقق باللحاق بالمستقبل والتفاعل مع متطلباته ومستجداته، فحتى لو أن الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان كان حيا ويحكم مصر المحروسة الآن لما استطاع أن يحافظ على دعائم النظام الملكى الذى لفظه أنفاسه الأخيرة حتى قبل انقضاض الضباط الأحرار على أطلاله ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

لكن تبقى هناك حقيقة لا مفر من تأملها ألا وهى أن المصريين قد ضاقوا بالحاضر، وأنهم يريدون الهجرة منه بأى صورة من الصور حتى لو كانت هجرة إلى الماضى الذى ولى ولن يعود، والذى لم يكن بأى حال من الأحوال أفضل من الواقع الذى نعيشه رغم قسوته وتحدياته.

وهذا يضع على عاتق الجزء الناطق من الأمة مسئولية صياغة وبلورة خطاب جديد خطاب للأمل واستشراف المستقبل ونهضة مصر.

ما نحن إلا عبيد إحساناتهم !!

شفيق أحمد على
مجلة روز اليوسف
٢٦ أكتوبر ٢٠٠٧

هل قرأت شيئا لحمزة الإدكاوى.. أو سمعت.. يوما عن عبدالكريم ناجى؟!

فى الغالب إجابتك ستكون بالنفى.. لكن المؤكد أنك قرأت أو سمعت هذه الأيام بالذات عن الدكتورة لميس جابر صاحبة أحدث محاولة لغسيل سمعة الملك والملكية والأسرة العلوية فى مسلسل الملك فاروق الذى قالت الدكتورة لميس جابر إنها أنفقت من عمرها عشر سنوات كاملة فى البحث والقراءة قبل كتابة هذا المسلسل ويا ليتها ما قالت!!

لماذا لأنها أولا لم تحترم عقول مشاهديها وتخبرهم فى تتر المسلسل أو بأى شكل مناسب آخر لم تخبر مشاهديها بالمصادر والمراجع العلمية والتاريخية التى قالت إنها قرأتها أو اعتمدت عليها فى كتابة هذا المسلسل أو غسيل سمعة الملك فاروق وأسرته.

ولأنها ثانيا لو كانت خلال كل هذه السنوات العشر قد خطفت رجلها إلى مكتبة مدبولى فى ميدان طلعت حرب واشترت منها مثلا كتاب «فاروق وسقوط الملكية فى مصر» للدكتورة لطيفة محمد سالم أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب جامعة بنها، ناهيك عن كتب الدكتور يونان لبيب رزق أو الدكتور رءوف عباس أو الدكتور عاصم الدسوقى أو غيرهم من المؤرخين

المحترمين لو كانت الدكتورة ليس جابر قد قرأت على الأقل كتاب الدكتورة لطيفة سالم ما كانت قد أوقعت نفسها فيما وقع فيه حمزة الإدكاوى أو عبدالكريم ناجى فهل تعرف ما الذى فعله كل منهما بالضبط؟!!

قبل أن تستغرقنا الإجابة عن السؤال.. أعرف أن كتاب فاروق وسقوط الملكية فى مصر يزيد على ألف صفحة أو بالضبط ١٠٣٢ صفحة لكنه فى نفس الوقت موثق ومحقق وصادر عام ١٩٨٩ أى قبل السنوات العشر إياها وبعد وفاة عبدالناصر والسادات صاحبى الصلة المباشرة بثورة يوليو التى أطاحت بالملك فاروق.. فضلا عن أن مؤلفة الكتاب - أى الدكتورة لطيفة سالم - حاصلة على درجة الدكتوراة فى التاريخ المعاصر والحديث وأنا بالمناسبة لا أعرف إن كانت الدكتورة ليس جابر حاصلة هى الأخرى على درجة الدكتوراة وفى أى تخصص أم أنها فقط طبيبة.

وبالمناسبة أيضا هذا لا يعنى أننى أنكر عليها حقها فى أن تكتب عن أى حدث تاريخى أو شخصية تاريخية وإنما يتحتم عليها أن تقرأ عن هذه الشخصية أو عن هذا الحدث من كل المصادر ومن كل وجهات النظر وأن تلتزم الأمانة التاريخية فيما تكتب، شأنه فى ذلك شأن أى مؤلف أو كاتب أو صحفى حقيقى مدقق ومحقق، لا هؤلاء الذين يبدأون الكتابة برأى أو نتيجة مسبقة ثم ينتقون من الأحداث ما يؤيد هذه النتيجة.

أقول: إن كتاب فاروق وسقوط الملكية فى مصر للدكتورة لطيفة سالم يزيد على ألف صفحة لكن الدكتورة ليس جابر لو قرأت منه صفحة ٣٨٣ فقط لعرفت كيف تقابل فاروق مع ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا وقتها وكيف أثمرت هذه المقابلة ما أسماه الكتاب تبعية فاروق لبريطانيا وكيف أصبح فاروق يؤتمر بأمر السفير البريطانى فى أمور كثيرة، لا فى فضيحة ٤ فبراير ١٩٤٢ فقط وقت أن حاصرت الدبابات البريطانية قصر الملك فاروق وأنذره السفير البريطانى إما أن يكلف حزب الوفد بتشكيل الوزارة أو يستقيل فرضخ فاروق وقتها وتمسك بالعرش حتى لو كان مهانا وتابعا للإنجليز.

ولو قرأت الدكتورة ليس صفحة ٩٢٤ أو صفحة ٩٢٨ من نفس الكتاب لعرفت نزوات فاروق وفضائحه وماذا كان يفعل بالضبط مع النساء بشهادة رئيس وزراء مصر السابق حسين سرى.

وأيضا تقارير السفير البريطانى ولو قرأت الدكتور ميس صفحة ٩٤٧ أو صفحة ٩٥٢ من نفس الكتاب لعرفت تفصيلا كيف استباح فاروق لنفسه ولحاشيته أموال الدولة المصرية وأموال الأوقاف وكيف كان يتلقى الرشاوى والعمولات.

وبالمناسبة نعلم أن محمد على باشا رأس الأسرة العلوية والذى جلس على عرش مصر فى ١٨٠٥/٥/١٧ هو الجد الأكبر للملك فاروق ونعلم أيضا كما قالها الخديو توفيق لأحمد عرابى إن أسرة محمد على توارثتنا وتوارثت حكم مصر من وقتها وحتى السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ أى طيلة ١٤٧ عاما وزيادة ونعلم أيضا أن محمد على باشا مولود فى مدينة قولة الألبانية عام ١٧٦٩ وكان يعمل وهو صبرى قبل مجيئه إلى مصر فى بيع الدخان جنديا انكشاريا فى الجيش العثمانى أى لم يأت من ألبانيا أو من تركيا إلى مصر حاملا على ظهره أطيانا أو قصورا أو أبعديات ورغم ذلك من يرجع إلى ما كتبه المؤرخان المحترمان الدكتور رءوف عباس والدكتور عاصم الدسوقى فى كتابهما المشترك عن كبار الملاك والفلاحين فى مصر من عام ١٨٣٧ وحتى عام ١٩٥٢ أو من يقرأ صفحة ٤٧ من كتاب فاروق ملكا لكاتبنا الراحل المحترم أحمد بهاء الدين أو يقرأ صفحة ٩٤٧ من نفس كتاب الدكتورة لطيفة سالم «فاروق وسوط الملكية فى مصر».. سوف يفاجأ بكارثتين الأولى هى أن محمد على باشا رأس الأسرة «العلوية» كان يحتكر لنفسه ولأبنائه التجارة فى كل شىء، وكان ينظر لمصر على أنها «أبعديته» الخاصة وأنه المالك الوحيد لكل ما فيها حتى أنه أصدر مرسوما قال فيه نصا: (البلاد والقرى فى كل البر المصرى الحاصل فيها تأخير فى دفع ما عليها من الجبايا والعطايا والأموال يضبط على مشايخها، ويرسلون إلى اللومان - أى إلى السجن - يصير التنبيه على النظار - أى الوزراء - بذلك وليكن معلوما لكم ولهم أن مالى لا يضيع منه شىء وسوف آخذه من عيونهم!!

هذا باختصار عن الجد الأكبر للملك فاروق، أما والده الملك فؤاد فقد مات عن تركة من الأراضى الزراعية تبلغ مساحتها ٤٩ ألفا و٣٠٠ فدان خص ابنه فاروق منها ١٥ ألفا و٤٠٠ فدان وتنازل فاروق من هذه المساحة لزوجته الملكة فريدة عن ألفى فدان، وبالتالى كانت ثروة فاروق عام ١٩٣٧ هى

بالضبط ١٣ ألفا و٤٠٠ فدان وبعد خمسة عشر عاما أى عام ١٩٥٢ وقت خروج فاروق من مصر كانت جملة الأراضى التى يملكها قد قفزت من ١٣ ألفا و٤٠٠ فدان إلى ٩٦ ألف فدان أملاكا خاصة ومثلها تقريبا أراضى أوقاف، أى يديرها ويستولى على أموالها لنفسه!!

قد يرى أحدنا أن كل المراجع اوالمصادر التى ذكرتها مراجع مصرية أو مكتوبة بعد قيام ثورة يوليو وعليه، ولضيق المساحة سأحيل الدكتورة لميس جابر إلى كتابين بريطانيين على طريقة «وشهد شاهد من أهلها» أى شاهد من أهل «المحتل» المتواطىء مع أحفاد محمد على.

الكتاب الأول: هو «آخر ملوك مصر» لهيوج ما كليف والذى ترجمه أحمد فوزى باسم «الملف السرى للملك فاروق».

والكتاب الثانى والأهم هو كتاب «تاريخ المسألة المصرية» للمفكر والمؤرخ البريطانى تيودور رتشتين، والذى ترجمه إلى العربية عام ١٩٢٣ أى منذ ٨٤ عاما كل من عبدالحميد العبادى ومحمد بدران وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٢٣ عن لجنة التأليف والترجمة والنشر ولو كانت الدكتورة لميس جابر قد قرأت الكتابين أو قرأت فقط كتاب تاريخ المسألة المصرية لعرفت من البريطانيين أنفسهم كيف تآمرت أسرة محمد على مع الاحتلال البريطانى واستقوت به.

ولقرأت فى نفس الكتاب وفى كتاب «القضية المصرية» الصادر عن المطبعة الأمريكية عام ١٩٥٥ ما جملته ٤٩ وعدا بريطانيا كاذبا بالجلاء عن مصر وبأن القوات البريطانية وفقا لمستر جلادستون رئيس وزراء بريطانيا وقتها ما جاءت إلى مصر إلا من أجل التعجيل بالإصلاح والاستقرار ومن أجل حماية الخديو توفيق - جد الملك فاروق - من عرابى ومن معه من العصاة الأشقياء هكذا نصا!! وعلى ذكر عرابى ورفاقه «العصاة» لو كانت الدكتورة لميس جابر قد خطفت رجلها أيضا إلى دار الكتب وقرأت مثلا صفحة ١٣٩ من الجزء الخامس لكتاب سليم النقاش «مصر للمصريين» الذى صدر هو الآخر عام ١٨٨٤ أى من ١٢٣ عاما فى عمق التاريخ لقرأت الدكتورة لميس بنفسها ذلك المنشور النادر والفاجر الذى أصدره نفس الخديو توفيق جد الملك فاروق ضد من وصفه توفيق «بالعاصى المغرور والشقى المذكور أحمد عرابى»!!

يقول المنشور نصا: «نحن محمد توفيق خديو مصر نعلن لجميع المصريين بأن الشقى العاصى أحمد عرابى قد ارتكب آثاما فظيعة جعلت دول أوروبا ناقمة على مصر وباتت الآن تعتبر المصريين أمة غير متمدينة وهذه الجرائم والآثام منحصرة فى عصيان عرابى المذكور وتحريضه لرعايانا على السير تحت لواء عصيانه لأوامر حضرتنا وهى الأوامر التى صدرت إليه بالانقطاع عن إغضاب الإنجليز وعدم منعهم من النزول إلى الإسكندرية التى أضرم فيها عرابى النار وخرج منها بجيشه قاصدا كفرالدوار على غير علم أو إرادة منا الأمر الذى أدى إلى نزول عساكر الأسطول الإنجليزى إلى الإسكندرية لإطفاء النار التى أضرمها عرابى فيها ولمنع النهب والمحافظة على راحة الأهالى.. ولقد رأينا أن قلوب كثير من رعيتنا لاتزال قاسية نحونا مائلة إلى عرابى بالرغم من أوامرنا السابقة لذلك أصدرنا هذا المنشور الثانى معلنين فيه أن كل شخص يعرف عنه أنه ميال أو ذو ضلع مع العاصى ابن العاصى والكافر ابن الكافر أحمد بن محمد عرابى عددناه عاصيا مستحقا لجزاء العصيان.. وكل من يصر على عصيانه وانقياده للشقى المذكور أعلاه سيكون مذنبا أمام الله.. وليعلم جميع المصريين بأن القائد العمومى للجيش الإنجليزى والذى نزل الإسكندرية ووصل بقواته إلى ثكنات العباسية قد رخصنا لحضرته بالتجول فى أنحاء البر المصرى لمطاردة عرابى وأعوانه من هؤلاء العصاة واستعمال كل الوسائط القاهرة لتبديد شملهم وسرعة القبض على رؤسائهم لمعاقبتهم بما يستحقون من أشد العقاب.. وبما أن العساكر الإنجليزية يعتبرون فى هذه الحالة نائبين عنا فى قطع دابر عرابى ومن معه من المفسدين العصاة حتى تستتب الراحة فى البلاد ويزول الشقاء عن العباد فإن عليكم للعسكر الإنجليز العون والإسناد وعلى كل مصرى يحب وطنه ويخشى خرابه أن يعامل عساكر الإنجليز لقاء ذلك بالإكرام ولا يتأخر عن مدهم بالمئونة وعلى الدوام فمن فعل ذلك فقد أدى ما لنا من حقوق الوطنية لديه واستحق رضا الله ورضانا عليه فضلا على المكرمة التى سيقدمها عسكر الإنجليز إليه وليعلم الجميع أن أصدقاءنا الإنجليز لا مطمع لهم فى القطر المصرى وسيعودون إلى بلادهم بعد أن يقوموا بإحلال الراحة والنظام ولن يمكثوا فى مصر رلا بضعة من الأسابيع والأيام!!

لو كانت الدكتورة لميس جابر قد رجعت بالمناسبة إلى عدد أول أكتوبر عام ١٨٨٢ من جـريدة الوقـائع المصـرية لقـرأت الوصف التـفـصـيلى للولائم والاحتفالات والأوسمة والنياشين والهدايا الثمينة التى قدمها الخديو توفيق جدا للملك افاروق إلى عساكر الإنجليز النجباء لتغلبهم على العاصى أحمد عرابى وأتباعه الأشقياء وإنقاذ البر المصرى من فتنة العصاة الجهلاء ولقرأت أيضا فى نفس عدد الجريدة الرسمية أن جناب الخديو المعظم قد أولم لقواد عساكر الإنجليز وليمة كبرى شائقة فى سراى الجـزيرة أعقبها حفل سمر باهر وساهر حفاوة وتكريما لهؤلاء القواد الإنجليز الذين شهدوا بأن هذه الليلة وما حصل فيها من بهجة واحتفالات كانت من الليالى المعدودة فى المسرات والتى أنعم فيها جناب الخديو توفيق على ستين من هؤلاء القواد الإنجليز بالهدايا والعطايا والأسلحة الفاخرة المحلاة بالجواهر الثمينة الساحرة مثل تلك التى حصل عليها كل من الجنرال ولسلى قائد عموم الجيش الإنجليزى والجنرال لو أول قائد تغلب على جيش عرابى ووصل بعساكره إلى القاهرة إذا حصل كل منهما معا على سيف مجوهر بالعقيق والذهب وحصل الأدميرال سيمور قائد عموم السفن الإنجليزية التى ضربت الإسكندرية على طبنجة مجوهرة بالزمرد والماس وفى آخر الحفل تفضل جناب الخديو وأنعم أيضا على نفس القواد الإنجليز من الحاضرين بأرفع الأوسمة والنياشين.

هذا هو - للأسف - بعض ما لم تقرأه الدكتور لميس جابر فيما يبدو.. رغم أنها قالت إنها قبل الكتابة انفقت عشر سنوات فى الإعداد والقراءة!! وعلى ذكر القراءة: لوزير الحرب الإسرائيلى السابق موشى ديان عبارة شهيرة ومريرة يقول فيها: «العرب لا يقرءون، وإن قرأوا لا يتعلمون شيئا مما يقرءونه.. وإن تعلموا سرعان ما ينسون الدرس الذى تعلموه.. إنهم.. باختصار أمة بلا ذاكرة».

حتى لا نصبح حقا أمة بلا ذاكرة ومن باب التذكرة لمن فقدوا الذاكرة أو خصخصوها بقى أن نتذكر معا وباختصار حكاية حمزة الإدكاوى وتوأمه عبدالكريم ناجى لنعرف حقيقة العلاقة بينهما وبين غسيل سمعة سنوات الملكية والأسرة العلوية فى مسلسل الملك فاروق للدكتورة لميس جابر بعد أن أصدر الخديو توفيق فرمانه الشهير بمحاكمة عرابى ورفاقه بتهمة عصيان

الأوامر التى كان جنابه قد أصدرها لعرابى بعدم التصدى للإنجليز أو منعهم من احتلال مصر.

يومها يقول أحمد عرابى فى مذكراته المسماة «كشف الستار عن سر الأسرار» إن النيابة كانت تسمى وقتها «قومسيون التحقيق».. وأن هذا القومسيون، كان قد أعد قائمة طويلة تتضمن أسماء ثمانين محاميا مصريا لكى يختار منهم عرابى من يود أن يوكل إليه شئون الدفاع عنه وعن رفاقه الذين أسمتهم عريضة الاتهام باسم «المذنبين من الدرجة الأولى» فاختار أحمد عرابى محاميا مصريا شهيرا فى ذلك الوقت اسمه عبدالكريم ناجى وطلب عرابى الإذن بمقابلته لكى يطلعه أولا على ما أسماه «بملابسات القضية».. لكن حضرة المحامى الكبير عبدالكريم ناجى بدلا من أن يذهب فى اليوم التالى مباشرة لمقابلة عرابى فى سجنه ذهب لمقابلة إسماعيل باشا أيوب رئيس النيابة أو رئيس قومسيون التحقيق وطلب منه أن يسجل على لسانه وفى محضر التحقيق رسميا أنه يرفض الدفاع عن المتهم أحمد عرابى فى مسألة عصيانه لأوامر جناب الخديو المعظم وما أجراه عرابى من حرب ضد العساكر الإنجليزية مخالفا المشيئة الخديوية لأنه أى حضرة المحامى لا يجد وسائل للمدافعة عن هذه المسألة المشهورة والمعلومة للكافة أما إذا كان المتهم العاصى أحمد عرابى يريد من حضرة المحامى أن يتوكل عنه لجريمة أو جناية أخرى فيقبل.. أى على بلاطة لا مانع عند حضرة المحامى الكبير من أن يترافع عن عرابى لو كان متهما لا قدر الله فى قضية دعارة أو جناية مخدرات أما أن يترافع حضرة المحامى عن قيام عرابى بواجبه وتصديه هو ورفاقه للإنجليز غزاة مصر فلا وألف لا ما دام هذا التصدى لم تأمر به المشيئة «الخديوية»!!

هذا عن عبدالكريم ناجى الذى انحاز وقتها للخديو وتخلى عن عرابى ورفاقه الذين خاطروا بأرواحهم لصد الغزاة البريطانيين عن مصر المحروسة، وكما هو واضح سقط عبدالكريم ناجى من ذاكرة التاريخ وبقى «عرابى وثورته»!

أما حمزة الإدكاوى أو حمزة فتح الله الإدكاوى وهذا هو اسمه الثلاثى فهو فى مذكرات أحمد عرابى من بلدة إدكو التى تقع بين رشيد وأبى قير على ساحل البحر المتوسط وأغلب سكانها يعملون بالصيد أو حياكة الملابس ويقول عرابى إن الإدكاوى كان فى البداية حائكا ابن حائك ولما نال قسطا من التعليم

ترك الحياكة وانقطع لفن الصحافة فأنشأ جريدة البرهان ثم ذهب مع الخديو للإسكندرية حين تحيز الخديو للإنجليز واحتمى بهم ونزل هو وعائلته إلى سفنهم فكتب الإدكاوى مقالة مفتراة وصفنى فيها والكلام مازال لعرابى بأنى جاهل وعاص وشقيق إبليس اللعين وما كان يصح أن أتجاسر وأحارب الإنجليز حينما استقدمهم جناب الخديو قائلا إنهم جاءوا لإحلال الراحة والنظام وسوف يرحلون بعد بضعة من الأسابيع والأيام هذا ما قاله حمزة الإدكاوى هو الآخر فى حق أحمد عرابى زمان.

وبالمناسبة زمان أيضا كان فى مصر محام شهير آخر اسمه إبراهيم الهلباوى والمحامى كما نعرف مهمته الدائمة هى الدفاع عن الحقيقة ولكن فى المحاكمة الشهيرة التى عقدها الإنجليز فى قرية دنشواى صباح الأحد ١٩٠٦/٦/٢٤ اسندت سلطات الاحتلال الإنجليزى فى مصر رئاسة هذه المحكمة إلى بطرس باشا غالى واسندوا إلى إبراهيم الهلباوى مهمة القيام بدور ممثل الاتهام ضد أهالى دنشواى لإثبات التهم عليهم.

وبالفعل نجح إبراهيم الهلباوى ليس فقط فى تبرئة جنود الاحتلال الإنجليزى من قتل أم صابر وحرق أجران القمح فى دنشواى وإنما نجح الهلباوى أيضا فى إخفاء جريمة الإنجليز وإثبات أنهم هم الضحايا وأن أهالى دنشواى هم المذنبون وبفضله ثم تعليقهم على أعواد المشانق.

بعدها.. لفظ المصريون إبراهيم الهلباوى وهاجمه فى الصحف مصطفى كامل وعباس العقاد وحافظ إبراهيم وأحمد لطفى السيد ومحمد حسنين هيكل بل إن عبدالعزيز جاويش على صفحات جريدة اللواء وصف إبراهيم الهلباوى بجلاد نشواى وراح المصريون يطاردونه كلما رأوه هاتفين «يسقط جلاد دنشواى».

ما سبق يؤكد أن كل عصر فيه دائما من ينحاز إلى الحقيقة ويدافع عن إرادة وخيارات الشعوب وفيه أيضا من ينحاز إلى الحاكم أو المحتل ويسعى إلى إخفاء جرائمه وغسل العيوب.. ومتناسيا الحكمة الشهيرة التى تقول: (مهما تكن كمية العطور التى تضعها على الماعز.. فإن رائحتها تظل دائمة رائحة ماعز»!!

فاروق ترك الحكم قبل الثورة بعشرة اعوام

د. محمد الرميحي

الملك فاروق وسيرته مهمة لمنطقتنا لأنه يؤسس إلى تغيير جذري سياسي في المنطقة ككل سارت عليه بلاد عربية كثيرة، فقد أسس انقلاب عسكري في مصر إلى سلسلة من الانقلابات العسكرية التي في الغالب استنزفت طاقة العرب، وعطلت من نموهم الشامل. وقد قيل الكثير عن حياة فاروق وتصرفاته وموقفه السياسي والاجتماعي، هناك كتب وأفلام ومدونات عدة تتناول عصر الملك فاروق وما حفل به ذلك الوقت من تغيرات في مصر وتأثيرها بعد ذلك على المحيط العربي.

فاروق لم يترجل عن الحكم في يوم ثلاثة وعشرين يوليو عام ١٩٥٢، ذلك التاريخ شهد خروج الملك في يخت المحروسة من مصر إلى أوروبا، إلا أن التاريخ الحقيقي لعزل الملك فاروق كان قبل ذلك بعشرة أعوام تقريباً، وهو في التاريخ المصري المشهور والمعروف، أي يوم الرابع من فبراير ١٩٤٢ حين أجبرت القوة الانجليزية المحتلة الملك على الاختيار بين أمرين، إما أن يعين مصطفى النحاس باشا رئيساً للوزراء أو أن يتنازل «بالقوة القاهرة» عن العرش في ذلك التاريخ دق أول إسفين لفقد فاروق عرشه.

التاريخ لا يرحم كما أنه لا يقبل العودة إليه بافتراضات، إلا أنه لو فرض أن دافع فاروق عن حقه كملك، ورفض تسليم النحاس الحكم، ومن ثم تم

إخراجه من السلطة البريطانية المحتلة، فمن يدرى ربما أصبح مثيلاً للمرحوم محمد الخامس فى المغرب الذى أخرجه الفرنسيون عنوة من حكمه، ولكنه عاد بطلاً مبجلاً فى عيون شعبه لو فعل ذلك الملك فاروق لربما تغيرت أمور كثيرة فى شرقنا العربى.

أحداث الرابع من فبراير ١٩٤٢ كانت الفاصل فى التاريخ المصرى ومن ثم العربى الحديث، لقد سقط مثالان فى عيون الجمهور المصرى، فاروق الملك الذى فضل أن يبقى فى الحكم خوفاً من حراب الانجليز، ومصطفى النحاس الذى قبل أن يعين رئيس وزراء من خلال حراب القوات المحتلة، هذا الأمر حقق العد العكسى لكل التجربة الليبرالية المصرية التى ترعرعت فيما بين فترة الحربين العالميتين.

تجربة الديمقراطية والأكثرية التى يمثلها حزب «الوفد» آنذاك وعلى رأسه مصطفى النحاس باشا، وتجربة الملكية الدستورية التى يمثلها الملك فاروق، كلاهما فى عيون النخبة المصرية أضحيا فاقدى الصلاحية، الفترة بين فبراير ١٩٤٢ وبين يوليو ١٩٥٢ وهى تقارب الأعوام العشرة، شهدت تهيئة الأرض السياسية فى مصر للتغيير الجذرى، فلا الأحزاب عادت محترمة إذ قرر حزب الغالبية أن يتسلم الحكم تحت حراب المحتل وبرغبة عارمة منه، ولا الملكية الدستورية التى قررت أن تضحى بالكرامة الوطنية فى سبيل الاحتفاظ بالعرش المزعزع. تلك اللحظة التاريخية من عام ١٩٤٢ كانت الإسفين الأول الذى دق فى نعش التجربة الليبرالية المصرية الحديثة، وهى تقدم لنا درساً بالغ الأهمية يقول إن الأنظمة تسقط قبل أن تتلاشى بالفعل بوقت طويل.

انتهى فاروق بعدها إلى حقيقة أن الحاكم المطلق هو المندوب السامى فى قصر الدوبارة، المقر الرسمى، فتفرغ هو لمتابعة مغامراته الصغيرة، السياسية والاجتماعية فى آن، وانتهى حزب الغالبية بعد أن طلب رضا المندوب السامى فى كل ما يقوم به من عمل سياسى. وتنبه الجمهور فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يوم إعلان انقلاب الجيش على واقع كان لا يحتاج إلا إلى بضعة ضباط ليغيروا المشهد السياسى من دون رجعة، ومن دون خطط طويلة الأجل للدولة التى ورثوها أو المجتمع الذى أصبح فاقداً للثقة فى الحرس القديم، وتم التغيير إلى درجة أنه لم يتظاهر أحد احتجاجاً، لقد سقط الحكم كثمرة يانعة.

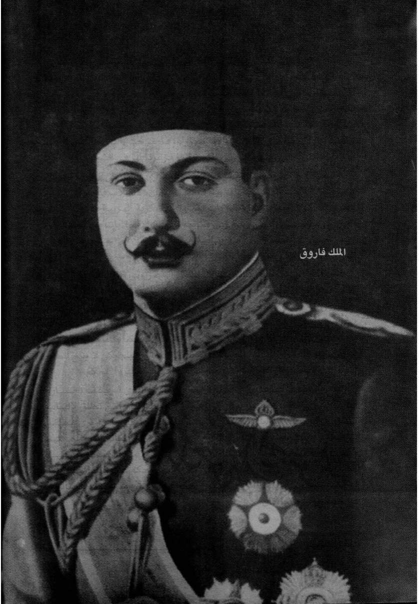
قصـة الانقـلاب المصـرى على فـاروق هى قصـة كـلاسـيكيـة فى كل التـاريخ الإنسانى، فالأحداث الكبرى لا تحدث فجأة، بل يؤسس لها قبل ذلك بفترة زمنية طويلة يخالها من يعيشها أنها «طبيعية» وهى فى الحقيقة تنخر فى مؤسسات الدولة حتى تصبح هشيماً يذر فى الفضاء من دون تأثير، وهكذا استقبلت جماهير غفيرة ثلة الضباط وكان على رأسهم آنذاك محمد نجيب بالورود والزغاريد، لم يبك على الماضى إلا قلة معزولة، فأصبحت «الثورة» المصرية بعد أيام قليلة مقبولة من جمهور عريض خرج مؤيداً مزغرداً لها فى الشوارع.

القصة لا تنتهى هناك، فبغير انقلاب عسكرى سابق فى سورية لم يكن عصر الانقلابات العسكرية العربية قد بدأ، إلا أن الانقلاب المصرى أسس لانقلابات كرت سبحتها الانقلابات بقيادة العسكرية العربية فى طول بلاد العرب وعرضها، إلا من رحم ربى فكانت سلسلة الانقلابات من ليبيا إلى اليمن مروراً بالسودان إلى موريتانيا إلى بغداد ومن ثم العديد من الدول العربية، أسس لها وقاد إليها الانقلاب الناجح فى القاهرة.

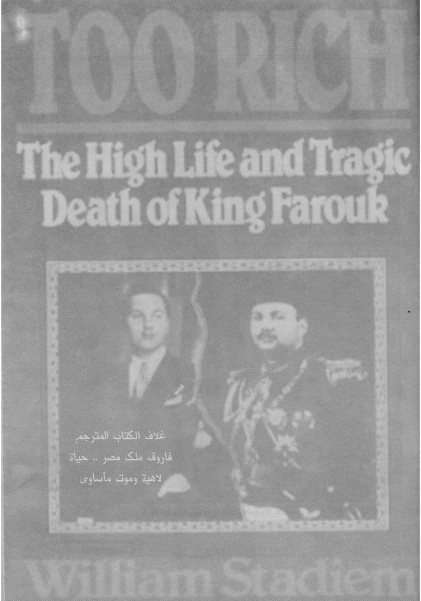
بعد أكثر من خمسين عاماً يأتى المسلسل التليفزيونى «الملك فاروق» ليعيد بعض الضوء إلى تلك الحقبة، حقبة يخضع فيها الملك فؤاد «والد فاروق» لرأى رئيس وزرائه سعد باشا أنه كملك دستورى لا يحق له تعيين أعضاء مجلس الشيوخ، هو قرار يختص به مجلس الوزراء المنتخب، و يخضع فؤاد لذلك الرأى بعد طلب المشورة من المستشار الدستورى، الذى كان بلجيكياً بالمناسبة، وقد قرر أن الدستور المصرى آنذاك، المصمم على غرار الدستور البلجيكى لا يتيح للملك التصرف إلا من خلال الوزارة الشرعية القائمة، فهو «يملك ولا يحكم».

بعد خمسين عاماً من تجربة «الحكم الثورى» الذى لم يكتف بخسارة الأوطان، بل وفقد البشر يرى المراقب أن «الشعارات» التى تطلق لإلهاب مشاعر الجمهور المضلل، تؤسس للخسارة المطلقة، وكثيراً ما يرى مطلقو الشعارات أن النكوص عن تلك الشعارات يؤدى إلى تآكل المكانة السياسية لهم فيزيدون إطعام جماهيرهم شعارات أخرى، لأن القاعدة الجماهيرية غيب عقلها. المأساة أن الإنسان العاقل يؤمن بأن الأمور يحكم عليها بنتائجها. أما الإنسان السياسى فهو يؤمن أن الأمور يحكم عليها متى ما حققت مصالحه فى الشعبية، وهكذا كان.

ملحق الصور



الملك فاروق



غلاف الكتاب المترجم
فاروق ملك مصر .. حياة
لاهية وموت مأساوى



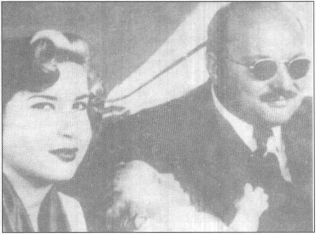
● الملك فاروق بين الملكتين أمه وزوجته



● الامير فاروق ولى العهد بين شقيقتيه



.. وجلس فاروق على العرش وهو فى
سن السادسة عشرة



● فاروق يحمل طفله أحمد فؤاد مع زوجته ناريمان فى جزيرة كابرى.



● الملك مع شقيقاته الثلاث فى مرحلة الطفولة.



● فوزية شقيقة فاروق.



● فايزة أجمل
الشقيقات الثلاث.



● الملك فاروق يستقبل شاه إيران خلال الاتفاق على زواج الأميرة فوزية.



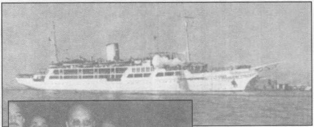
● بورتريه للملك وهو طفل.



● حفل زفاف فاروق وفريدة.



● فاروق يتذوق احد الاطعمة فى حفل عام.



● اليخت المحروسة حمل فاروق واسرته من الإسكندرية إلى نابولى.



● فاروق بالزى البحرى وخلفه الضباط الذين ظلوا موالين له.

● قصر المنتزه آخر محطات فاروق قبل رحيله من مصر.





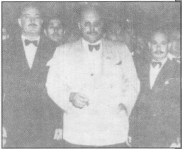
● ارما كابيس تدخل قلب الملك.



● .. وناريمان صادق تخرج



● الملك مع زوجته ناريمان وطفلهما



● الملك فاروق وسط حراسه فى أوروبا.



● فاروق يتوسط باقة من النساء فى حفل بقصر عابدين عام ١٩٤١م.



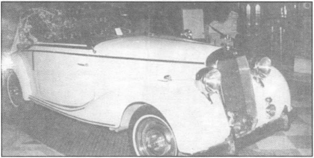
● الأميرة فوزية تعود شاحبة وحزينة إلى مصر بعد طلاقها من شاه إيران.



● لقطة عائلية لأسرة الملك.



● حفل زفاف فاروق وفريدة.



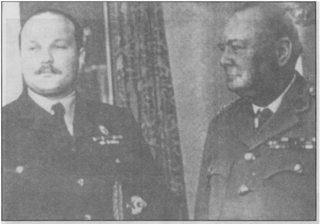
● احدى السيارات الملكية



● عقد قران شاه إيران على الأميرة فوزية.



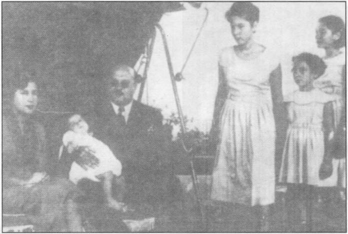
● الملك وفريدة اثناء حفل الزفاف.



● مع ونستون تشرشل.



● .. ومع صديقته الايطالية فى المنفى



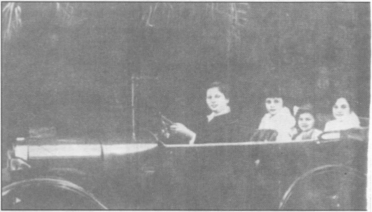
● الملك فاروق فى المنفى مع ناريمان وابنه أحمد فؤاد وبناته من زوجته الأولى فريدة



● الملك بالزى البحرى على يخته المحروسة.



● الملكة نازلى.



● فاروق مع شقيقاته فى مرحلة الطفولة.



● لقطة عائلية لأسرة الملك فاروق.



● الملك اثناء زيارته لأوروبا.



● الملك مع عدوه الأول مايلز لامبسون.



● الملك مع وزرائه على ماهر.. وعدوه اللدود مصطفى النحاس.



● الملك يتوسط زوجته ناريمان ووالدتها.



● فاروق فى المنفى فى احد المقاهى الايطالية.



● فاروق ولامبسون .. عداء مستحكم لكن الظروف اجبرتهما على اللقاءات.



● فاروق ولامبسون وزوجته الليدى لامبسون.



● ناريمان زوجة الملك الثانية والأخيرة.



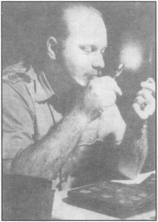
● رياض غالى مع نازلى وابنتها فتحية.



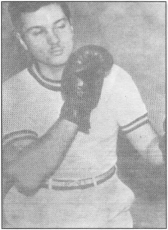
● الملك مع أولاده فادية وفريال وفؤاد بعد خروجه من مصر.



● فاروق مع احب شقيقاته إلى قلبه.



● فاروق بالملابس العسكرية.



● فاروق يتدرب على الملاكمة.



● فريدة



● فاروق مع احدى صديقاته فى روما.



● احدى صديقات الملك مع زوجها.

● الملك وسط صديقاته



● بنات الملك



● فاروق الأول على
عملة نقدية



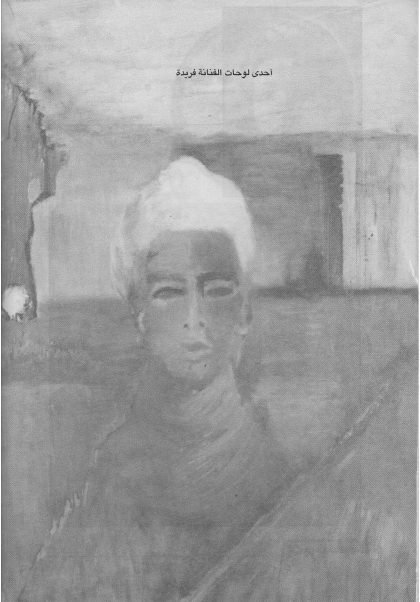
● الملك فاروق
على طابع بريد
تذكارى فئه
جنيه



● الملكة
فريدة



● الملك فاروق والملكة
فريدة وابنتهما



أحدى لوحات الفنانة فريدة



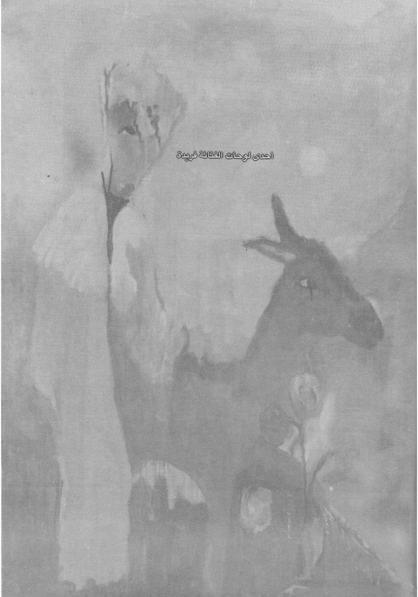




● الفنانة فريدة
فى مرسمها



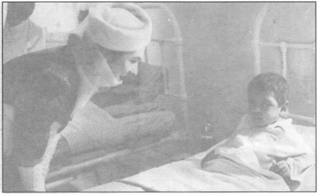
الوجوه
المتعددة
للملكة
فريدة



أحدى لوحات الفنانة فريدة



● الملكة
فريدة
وابنتها
اثناء نزولها
من القطار
الملكى



● الملكة فريدة اثناء زيارتها لاحدى المستشفيات



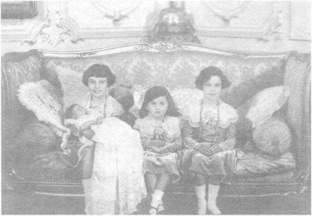
● الملكة فريدة



● فريدة



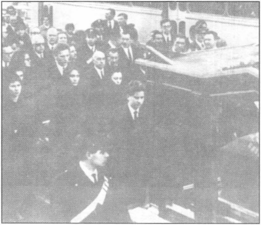
● الملكة فريدة فى لحظة سعادة مع ابنتها



● بنات الملك فاروق من زوجته الملكة فريدة



● الملك
وسط
حراسه



● جنازة
الملك
يتقدمها
ابنه الامير
أحمد فؤاد

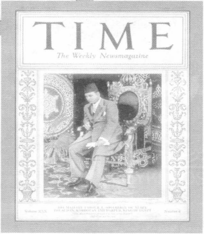


الملكة فريدة على غلاف مجلة
لايف الأمريكية

● الملكة فريدة



● غلاف مجلة تايم الأمريكية للملك فاروق .. ومن خلفه أبو الهول والاهرامات



● غلاف مجلة تايم الأمريكية للملك فاروق .. فى لحظة تفكير عميق

رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٢٣٦١٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N -977-236-594-4

طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة



المترجم

أحمد هريدى

- رئيس تحرير مجلة الشعر ونائب رئيس تحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون.
- ثلاث جوائز وثلاث شهادات تقدير من نقابة الصحفيين المصريين.
- شهادة تقدير من نقابة الفنانين التشكيليين المصريين.

صدر له من الكتب المؤلفة:

● الحب يسألكم المغفرة (ديوان شعر)

● أمريكا.. سرى جداً (أدب رحلة)

● وردة الشمال.. أيام فى استوكهولم (أدب رحلة)

● هبة الجبل.. رحلة إلى لبنان (أدب رحلة)

● رحلة إلى المغرب (أدب رحلة)

صدر له من الكتب المترجمة:

● شعب يوليو.. رواية للروائية نادين جوديمر

● بيتر آرنت (من فيتنام إلى بغداد).. مذكرات أشهر مراسل عسكرى

سعر خاص
١٠ جنيهات